إرواء
الظمأن بأخبار الشيطان

الجزء الأول

تصنيف

أبو أنس المصرى السلفى

حلمى بن محمد إسماعيل الرشيدى

غفرالله له ولوالديه

البحيرة / كفر الدوار / الكيماويات

دار البشير
للثقافة والعلوم

اسم الكتاب: إرواء الظمأن بأخبار الشيطان

التـأليف: حلمي بن محمد إسماعيل الرشيدي

الصف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

عدد الصفحات: **392**

عدد الطبعات: (الطبعة الأولى **2011**)

التوزيع النشر : **دار البشير للثقافة والعلوم**

مصر - طنطا

تليفون : 0167467492 -0162836461

darelbasheer@hotmail.com

dar_elbasheer@yahoo.com

الإيداع القانوني : **2011/2910**

الترقيم الدولي : **I.S.B.N.978/977/278/407 /3**

1432 هـ

2011 م

إهداء

إلي كل مسلم ومسلمة
أيقنا أن كلام اللّه حق
وأخبار النبي (ﷺ) صدق ،
وما نقل الصحابة عنه هو
الذي جاء به عن ربه أنه
(ﷺ) لم يكتم شيئا عن
أمته ، بل بلغ كل ما نزل
إليه من ربه ، وترك أمته
علي البيضاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

إرواء
الظمأن بأخبار الشيطان

تصنيف

أبو أنس المصرى السلفى

حلمى بن محمد إسماعيل الرشيدى

غفرالله له ولوالديه

مقدمـة

وبعد...

فلقد مكثت في الإعـداد لهـذا الكتـاب ثلاث سنوات، أجمع الأحاديـث الخاصـة بالـشيطان منقريـب أو بعيـد مـن بطـون الكتب، وجرَّت الكتب والأحاديث كلهـا تقريباً وما كان مطبوعاً على رأيهـا الكتـب والمصنفات مثل:- مصنف عبد الـرزاق- ومصنف ابن أبي شيبة – المعاجم مثـل معجـم الطـبراني الكبـير والأوسـط والـصغير وكتاب الدعاء، ومعجم ابن الأعرابي وكل كتب ابن أبي الدنيا المطبوعغ منها، والأجزاء والفوائد، والأظراف ثم كتب اللغة، والتاريخ، ثم ما أُلف في التخديرمن الشيطان قديماً وحديثاً وما أُلف في السحر قديماً وحديثاً، وما لا أذكره الآن من مؤلفات.

وحاولت قدر جهدي أن أجمع كل شاردة وواردة تمت لهذا الموضوع بصلة.

ثم مكثت عامين آخرين أرتب وأكتب وأحقق الأحاديث، لهذا تجدني قـد خرّجـت كل الأحاديث التي ذكرتها على كثرتها، مع بيان حالها من صـحة وضـعف، ثـم قمـت بترتيب الكتاب على الأبواب والفصول بدأت بالقرآن ثم الـسنة، ومـا للـشيطان مـن خواص فيها.

وقد أطلت القول في **"عبادة الشيطان"** وذلك للأهمية ومـا بينتـه مـن أسـباب. ثـم الفصل الخاص بالسحر وأنه من عمل الشيطان مبيناً جذور السحر وتاريخه وأنواعـه، ثم لبس الجن للإنس والأدلة الصحيحة عـلى ذلـك ثـم صـف الـشيطان، وأسـلحته، وخواص الجن، وخلقهم، وأحوالهم ثم الجـن مـع الرسـل والأنبيـاء،ثم الـشيطان في المسجد والبيت والسوق..إلخ.

ثم ختمت الكتاب بالجزء الخاص بالتداول والتحصينات. ومـع هـذا كلـه أجـدني مقصراً، وهذه آفة بني جنسي، وكلُّ واحدٍ يؤخذ من قوله ويُرد، إلاّ النبيﷺ.

فإن كان في كتابي هذا ما يوافق المنقول والمعقول فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وإن كان فيه خطأ أو تقصير فمني ومن الشيطان والله ورسوله برءاؤ من هذا الخطأ والتقصير.

إني أسأل الله تعالى أن أكون قد أحسنت، وأوفيت. وهذا المصنَّف فيض من فيض، وقليل من كثير مما يكشف حيل إبليس، وبيان أمره للناس.

ومما دفعني إلى تأليف هذا الكتاب أنني رأييت الشيطان لا يخرج من ديار المسلمين لا ليلاً ولا نهاراً، خواصّهم قبل عوامّهم، مما ساعد على ارتفاع نسبة الطلاق بين المسلمين حتى بلغ من ثمانين في المائة، وإن لم يكن طلاق يكون القتل الذي أصبح يضاهي نسبة المواليد اليومية بل يزيد وكما أخبر النبيﷺ وهو **"الهرج الهرج"** وهو القتل القتل واستطاع إبليس أن يمزق شمل الأمة، ثم مزق شمل الدول، ثم مزق من الداخل، إلى فرق وأحزاب....

وأضرب لك مثالاً.

1- **الكرة** :-

عندنا في بلدنا أربعة عشر فريقاً كُرويّاً، لكل فريق جماهيره ومشجعوه عقدوا له الولاء، وأعطوا له الحب والإنتماء.

فصار الناس منقسمين إلى أربعة عشر فريقاً بحسب الولاء والنصرة والإنتماء، وإذا ما تقابل فريقان كرويّان وجدت الحميّة الكرويّة والتعصّب الكروي ظاهر بين المتفرجين، وإذا ما انتصر فريق على آخر، حطم جماهير الفريق المهزوم كل شئ، ومنهم من يموت بالسكتة القلبية، ويمكن أن يموت من كلا الفريقين جماعة بسبب التشابك اليدوي الذي يقع من الجماهير بعد كل مبارة فهذه أربعة عشر فرقة ذهب ولاؤهم سُدى، وانتماؤهم الديني أدراج الرياح... كم بقى من الأمة في الدولة الواحدة؟!!

2- **الأحزاب** :-

عندنا في مصر أكثر من عشرين حزباً سياسياً، ولكل حزب جريدة أو مجلة أو صحيفة...إلخ.

ولكل حزب أتباع، حزب وطني، وحزب وفدي، ومعارض، وحزب يساري وآخر يميني...!!

وتفرق الناس المتبعين للسياسة إلى أحزاب وفرق بحسب الأنتماء، والولاء...

(**وهذا الحزب الآخر ؟؟**)، وهذا يقول وآخر يعارض القول، وهذا تابع للدولة والآخر مناهض لها...إلخ.

لكم بقى من أفراد الشعب، إذا كان معظم الشباب كرويّاً ومعظم الشيوخ سياسيين؟

3- **الفن بكل أنواعه وجميع صوره** :-

أ- الغناء :-

انقسم الناس بحسب حبهم للغناء إلى أقسام فهذا يحب غناء النساء، وأخر يحب غناء الرجال.

وجماعة يحبون غناء مغنية بعينها وجماعة ينتمون في الغناء إلى أخرى، فهذه أربعة أقسام.

وكل فريق بحسب حبه للغناء والمغنيين... يتعصب ويحب ويكره، ويوالى ويعادل، ووجد الشيطان بينهم مرتعاً خصباً. وفريق يحب الغناء الشرقي، وفريق آخر يحب الغناء الغربي والغربي انقسم إلى أقسام، فهذا يحب الغناء والمغنيين الأمريكان وآخر إلى مغنيين إيطاليين...إلخ.

وهذا يحب الغناء البلدي (**الموال**) و(**الإنشاء**) وآخر يحب الغناء المتطور...إلخ.

فانظر يرحمك الله إلى أي مدى فَرَّق الشيطان بين عُشَّاق الأغاني.. والمغنيين**!!**

ب- التمثيل :-

هذا يحب السينما وفريق آخر يحب المسرح.

وأصحاب الفن المسرحي انقسموا إلى فريقين، فريق يهوى القديم، وفريق يهوى الجديد. وفريق يهوى الدراما، والآخر يهوى الفُكاهه.

فهذه أربعة أقسام عند أصحاب الفن المسرحي ولعل هناك أنواع أخرى لا أعرفها.

أما السينما – فريق يهوى الأفلام الفُكاهيه، وآخر الدرامية. ولدينا أفلام عربية قديمة وحديثة، وأفلام اجنبية قديمة وحديثة وأفلام هندية قديمة وحديثة...إلخ.

وأفلام تعلم الإجرام، وأخرى تعلم السفالة والإسفاف وتحمل الإساءة إلى الدين والخلق...إلخ.

وهذا فريق يهوى أفلام فلان بن فلان، وآخر يهوى الممثل الفلاني وهذا يهوى أفلام فلان في الدراما، وآخر يهوى أفلام فلان في **"الفكاهة والضحك "** وانقسم أصحاب الأفلام إلى عشرات بل مئات الأقسام....وهذه هي أمة محمد -ﷺ - والأدهى من ذلك من يهتم بالباليه... وصق عليهم قول الشيطان ماركس حينما قال **"لأنسيَّهم الله بالمسرح والسينما والتلفاز"** وقد كان.

والشيء المحزن جداً جداً جداً أنهم صنعوا أفلاماً دينية – بزعمهم – شوَّهوا فيها الدين، والسيرة النبوية، ودلَّسوا فيها وزوَّورها على الناس، ثم مثلوا الشخصيات الإسلامية ذات القيمة الكبيرة في نفوس الناس أمثال أبي بكر وعمر وخالد وعمرو بن العاصي ومعاوية، ثم مالك وأحمد، وأبو حنيفة والشافعي، وابن تيمية وابن المبارك وابن القيم وغيرهم.

وأتوا بشخصيات سيئة السمعة في مجال التمثيل لكي يمثلوا هذه الشخصيات الإسلامية.

ومازالت محاربة الفضيلة في السينما المصرية على قدم وساق.

4- **الدين** :-

عندنا في بلدنا فريق ديني تابع للأزهر، ولا يحق لأحدٍ أن يتكلم في الدين إلاّ هم، وليس لأحدٍ حق الفتوى إلاّ الأزهري الذي تلقى تعاليم دينه من الأزهر... فقط!!!

أشبه برجال الدين في الكنيسة- عندما قامت الثورة ضد الكنيسة في أواخر القرن السابع عشر الميلادي ضد رجال الدين الذين حكموا على كل الأكتشافات بالضلال والفشل وحاربوا العلم، وقع اصطدام ما بين الشعب ورجال الكنيسة ساعتها خرجت الأقوال المأثورة التي تقول **"دع مالقيصر لقيصر، ومالله لله"** الذي يرغب في الدين يذهب إلى الكنيسة **"والدين لله والوطن للجميع"** لا دين في سياسة ولا سياسة في دين..إلخ !!

فالأزهر له حق في الخطابه، والفتوى، والتعليم والتدريس الديني فقط... وقصروا تعاليم الدين عليه، ومن تكلم في الدين غيرهم حتى لو كان أعلم الأرض لا يسمح له ولا يؤبه به.

والأزاهرة اختلفوا فيما بينهم على الله تعالى.

فجماعة يقولون أن الله ليس داخل العالم ولا خارج عنه، وباين منه ولا منفصل عنه، وفريق يقول بالاتحاد والحلول.

وفريق يقول أن الله في كل مكان، وحاربوا من قال أن الله على العرش استوى.

وفي مجال الفقه، فريق حنفي، وآخر شافعي، وهـذا مـالكي، ورابـع حنـبلي، وفيـه زيدي، وظاهري...إلخ.

وكل واحد من هؤلاء تعصَّب لمذهبه، أدى هذا التعصُّب إلى الاختلاف الشديد على وّضْع قانون سماوي يحكم به البلاد، مما أدى إلى استيراد أحكام وقوانين مستوردة من بلاد الكفار.

أما غير الأزهريين.. ففريق منهم صوفي وهو الأغلب الأعم.

وانقسموا إلى فرق وشـيع، فهـذا رفـاعي، وهـذا برهـامي، وهـذا شـاذلي، وآخـر مجهول... إلى أكثر مائة طريقة وكلهم يعبدون غير الله تعالى.

وفيهم البهائي، والشيعي، والشيوعي، والرأسمالي...إلخ.

وأما الفريق المتبقي، فانقسم إلى :-

- إخواني- ولكنهم الآن انسخلوا من الدين وأصبحوا سياسيين وحزبهم سـياسي، يريدون الوصول إلى سدة الحكم..

- تكفيري- يكفَّر المجتمع إلا من كان على طريقته.

- توقَّفي- يتوقف في أمر المسلم ثم يحكم عليه.

- جهادي- ليس له هم إلاّ الجهاد فقط ولا يفقه عنه شئ.

- تبليغ ودعوة – يخرج عن أهله ويتَّركهم جياع ولاتربية باسم الدعوة، ولا يعرف عن التوحيد شيئ.

- عوام – وهم الأغلب يصلون بالتقليـد، ويـصومون كـذلك، ولا يعرفـون لمـاذا يصلون؟

- السلفي- وهم أتباع السلف الصالح، لكن غاب هذا المفهوم عن معظم المنتمـين لهذه الدعوة المباركة، وهم بحاجة إلى أن يفهموا ويعوا هذا المفهوم (**فهم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة**) وعم بحاجة إلى ائتلاف، وترك التنابز والاختلاف.

- وهناك في البلد قطع آخر هَمّ الصناعة والزراعة والحرف والبيع والشراء لا هَمّ عندهم إلاّ تحصيل المال والجري وراءه في كل مكان وهذه هي أمتنا داخل المصر الواحد، وقس على ذلك جميع الدول العربية والإسلامية، وما يحدث بينهم من شقاق واختلاف وعند كتابة هذه المقدمة كنا قد ضحَّيناً واحتفلنا بعيد الأضحى وفي هذا وقع الاختلاف، فبلد مثل لبييا كان وقفة عرفات كانت عندهم يوم الأربعاء الثامن من ذى الحجة وكان عيد الأضحى يوم التاسع وأما بلاد المغرب فكان العيد عندهم الحادي عشر من ذى الحجة واختلفوا حتى في وقفة عرفات وعيد الأضحى، ولو كان هذا الاختلاف في عيد الفطر، لكانت الخطب هيِّن، لكن يقع الاختلاف في عيد الأضحى، فهذا مما لا تستسيغه العقول السليمة.

وكذلك أيضاً وقع الاختلاف بيننا وبين الجزائر بسبب مباراة الكرة وبسبب الكرة وقع الاختلاف السياسي ووقع التهارش والتقاطع بين البلدين.

وهذا الاختلاف الذي غرسه الشيطان بتكليف من اليهود، أو اليهود بتكليف من الشيطان- بين الدول الإسلامية فرَّق شمل الأمة وقطع أوصالها، مما أدى إلى ضعف قوة المسلمين،ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وما ضربته لك منمثال هو واقع حي يعيشه الناس داخل البلد الواحد، فما بالك ولو أنه موجوداً في كل البلاد الإسلامية، فكيف ترى بعد حال أُمتنا؟

أليس هذا المصنف وغيره بحاجة إلى الاعتناء والتدبر والإقتناء ولا أريد أن أطيل على القارئ في هذه المقدمة أكثر من ذلك وأدعه يتصفح هذا المؤلف، وهو يدعو لصاحبه ومن سطره بيده، وأفنى فيه وقته.

وإني أسأل الله تعالى أن يعصمنا جميعاً وسائر الموحِّدين من الشيطان الرجيم، وأن يباعد بيننا وبينه كما باعد بين المشرق والمغرب، وأن يصرف عنا كيده، وأن يشفي صدرنا من وسوسته وأن يجعل كيده في نحره، وتدبيره في تدميره، وأن يجعل هذا العمل خالصاً صواباً، وأن يتقبله مني، وأن يجعله زادنا إلى حسن المصير إليه، وأن ينفع به، ويكون سبباً في ضعف كيد الشيطان، وأن يتقبله ويرزق له القبول، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

صلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

جاء في كتاب الإقناع في مسائل الإجماع للإمام الحافظ أبي الحسن ابن القطان رحمه الله ت/ 628هـ

ذكر الإيمان بالجن :

أجمع المسلمون من أهل السنة على الإيمان بالجن، وعلى أن لهم ثواباً وعليهم عقاب، وعلى أنهم مأمورون مكلفون. انظر "**فتح الباري**" (6/ 396- 397) ومراتب الإجماع (ص 174)

وأجمعوا على أن الجن يأكلون ويشربون ويجامعون ويُولد لهم.

وأجمعوا أن لإبليس ذرية.

وأجمعوا على أن الشياطين أمكنهم الله تعالى من أن يتحول أحدهم وينتقل من حال إلى حال، فيتمثل مرة في صورة، ثم مرة في أخرى، ومرة يصل إلى السماء فيسرق السمع، ومرة يصل إلى قلب ابن آدم يوسوس ، ومرة يجرى من ابن آدم مجرى الدم.

وأجمعوا على أن الإيمان بأن الشياطين تتخبط من بني آدم من سلَّطها الله عليه ... كما شاء وكيف شاء .

البَابُ الأَوَّلُ

أســـماء الشيطـــان

في أسماء الشيطان

اعلم أن الشيطان له أسماء كثيرة في القرآن والسُّنّة وأكثر أسم استعمله القرآن وجاء في السنة هو **"الشيطان"** فقد ورد ذكره في ثمانية وستين موضعاً في كتاب. الله تعالى في إحدى وثلاثين سورة من سور القرآن. وجاء بلفظ الجمع **"الشياطين"** في سبعة عشر موضعاً من كتاب. الله، في اثنتى عشر سورة

ولفظه ﴿شَيَٰطِينِهِمْ﴾ في موضع واحد في البقرة الآية 14. وجاء منوناً في موضعين بلفظ ﴿شَيْطَٰنًا﴾ في سورة النساء الآية رقم 117، والزخرف أية رقم 36.

إذا.. فإن الشيطان، جاء مفرداً ومجموعاً في ثمانية وثمانين موضعاً في القرآن الكريم، في ستة وثلاثين سورة، أما في السُّنة، ففي مواضع كثيرة تفوق الحصر، لأجل ذلك سأبدا به في التعريف والله المستعان.

1- **[الشيطان]** :

الشيطان: مأخوذ من شَطَنَ، إذا بَعُد عن الخير، ومنه شَطُنت الدار: أي بَعُدت. وبئر شَطُون: قعرها بعيد.

وشَطَن عنه : بَعُد. وأشْطنَهُ: أبعده. والشَّاطنُ: البعيد عن الحق.

والشيطان: كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب.

قال جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غَزَلٍ وهُنَّ يهويَنْنى، إذا كنتُ شيطاناً.

وتشَيْطَن الرجل. وشَيْطَن إذا صار كالشَّيطان، وفعل فعله

قال رؤبة: "شافٍ لَبغْى الكلب المُشْيطن"

وقيل: الشيطانُ فُعلان. من شاط يشيط: إذا هلك واحترق. مثل: هَيْمان، وغيمان، من هام، وغام.

قال الأزهريُّ: الأول أكثر. قال: والدليل على أنه من شَطَنَ قول أُميّة بن أبي الصَّلت يذكر سليمان ﷺ : " **أيُّما شاطنٍ عَصَاهُ عكاه** ".

أراد: أي شيطان [1]

وقد ردّ القول الثاني ابن جرير، وابن عطية، رحمهما الله.

قال ابن جرير: "الشيطان في كلام العرب، كل متمرد من الجن والإنس والدواب، وكل شيء، وكذلك قال ربنا جل ثناؤه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام:112] فجعل من الإنس شياطناً مثل الذي جعل من الجن... قال: وإنما سُمّى المتمرد من كلّ شيء شيطاناً لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسة وأفعاله، ويُعد من الخير" [2]

قال ابن عطية: "ويردُّ على هذه الفرقة أن سيبويه حكى أن العرب تقول: تشيطن فلان إذا فعل أفاعيل الشياطين، فهذا يبين أنه تفعيل من شطن. ولو كان من شاط لقالوا: تشيّط" [3]

واستدلّ الطبري وابن عطية وغيرهما بما أنشده أمَية بن أبي الصلت:

أيما شاطن عصاه عكاه ورماه في السجن والأغلال

قال الطبري: " لو كان فعلان من شاط يشيط، لقال: أيما شائط، ولكنه قال: أيما شاطن، لأنه من شطن، يشطن، فهو شاطن" [4]

قال الزَّجّاج: ومعنى الشيطان في اللغة: " الغالي في الكفر، المتبعدُ فيه من الجنَ والإنس" [5]

قال الفيروزآبادي: شاط يشيط: احترق غضباً.

وقيل: منه اشتقاق الشيطان، لكونه مخلوقاً من قوة النار، ولكونه من ذلك أختصَّ بالقوّة الغضبيّة والحميّة الذميمة، والأصح: أنه من شطن أي: " تباعد. ومنه بئر شطون" [6]

---

(1) اللسان مادة شطن.
(2) تفسير الطبري (1/ 49).
(3) تفسير ابن عطية (1/ 76).
(4) تفسير الطبري (1/ 49).
(5) معاني القرآن (1/ 115).
(6) بصائر ذوي التمييز (3/ 319- 320).

وقال الفخر الرازي: الشيطان: مأخوذ من "**شطن**" إذا بَعُد فحكم عليه بكونه بعيداً [1] .

قال ابن كثير: الشيطان في لغة العرب مشتقُ من شَطَن إذا بَعُد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كلِّ خيرٍ.

وقيل: مشتقُ من شاط لأنه مخلوق من نار.

ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى. ولكن الأول أصح وعليه يدل كلام العرب" [2]

ثم ذكر كلام سيبويه السابق.

ثم قال: قال تعالى ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [الأنعام:112] وفي مسند أحمد عن أبي ذرٍّ – رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يا أبا ذر " تَعوَّذ بالله من شياطين الإنس والجن"

فقلت: أو للإنس شياطين؟

قال: "**نعم**" [3]

وعن أبي ذرٍّ أيضاً: قال رسول الله ﷺ : "**يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود**"

فقلت: يا رسول الله! ما بال الكلب الأسود من الأحمر والأصفر؟

فقال: "الكلب الأسود شيطان"[4]

قال ابن وهب: أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ركب برذوناً – بغل – فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلا بتختراً، فنزل عنه وقال: "**ما حملتموني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي**"

قال ابن كثير: إسناده صحيح.

(1) معاني الزجاج (4/ 306).
(2) تفسير ابن كثير (1/ 27 – 28).
(3) إسناده ضعيف جداً، وسيأتي تخريجه.
(4) صحيح – وسيأتي مخرجاً.

قال أبو عبيدة: الشيطان:" اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوانات"[1]

ومما يدل على إطلاق اسم الشيطان على الإنس والحيوانات، بل والطيور ما رواه مسلم (505) (506) من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال:

"إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه، وليدرأ ما استطاع، فإن أبي فليقاتله، فإنما هو شيطان"

وستأتي أحاديث كثيرة جداً في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

وعلى الحيوانات، ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه رأي رجلاً يتبع حمامة فقال: **"شيطان يتبع شيطانه"** [2]

وكذلك ما سيأتي أن على زروة سنام كل بعير شيطان، وأنها أي: الإبل: خلقت من الجن.

ولقد عقدت باباً في تمثيل الشيطان بالحيوانات وغيرها.

والشيطان أقبح الصور، وأفظع المناظر.

قال الزَّجّاج: إن الشيء إذا استقبح شُبّه بالشيطان، فقيل: كأنه وجه شيطان، وكأنه رأس شيطان، والشيطان لا يُرى ولكنه يُستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، لو رُئي لرُئي في أقبح صورة، قال امرؤ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ولم تُر الغول قط ولا أنيابها، ولكن التمثيل بما يستقبح أبلغ في باب المذكر، يمثل بالشيطان، يستقبح من المؤنث يشبه بالغول [3]

قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:65] قال: **"وشبه برؤوس الشياطين، دلالة على تناهيه في الكراهة، وقبح المنظر، لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخالطه خير"** [4]

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب مادة شطن (ص 268).
(2) أخرجه أحمد (2/ 345) وأبو داود (4940)، وابن ماجة (3765) وهو حسن.
(3) معاني الزجاج (4/ 306).
(4) الكشاف (3/ 342).

وقال القرطبي: "يعني الشياطين بأعيانها، شَبَّهها برؤوسهم لقبحهم، ورؤوس الشياطين مُتصوّر في النفوس وإن كان غير مرئي، ومن ذلك قولهم لكل قبيح: هو كصورة الشيطان، ولكل صورة حسنة: هو كصورة ملك، ومنه قوله تعالى – مخبراً عن صواحب يوسف عليه السلام ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:31] وهذا تشبيه تخيلي"[1]

قال ابن كثير: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) تبشيع لها وتكريه لذكرها.

قال وهب ابن مُنبه: شعور الشياطين قائمة إلى السماء وإنما شبهها برؤوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين، لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر"[2]

والنقول عن العلماء في قبح الشيطان، وسوء منظره كثيرة، وسوف نتعرف عليها من خلال هذه الدراسة المستفيضة عنه إن شاء الله.

(1) تفسير القرطبي (15/ 87).

(2) تفسير ابن كثير (4/ 28).

وهذا جدول للمواطن التي ذكر فيها في القرآن مفرداً

م	اسم السورة	عدد المرات	الآيات
1	البقرة	5	26، 168، 208، 268، 275
2	آل عمران	3	36، 155، 175
3	النساء	7	38، 60، 76، 76، 83، 119، 120
4	المائدة	2	90، 91
5	الأنعام	3	43، 38، 142
6	الأعراف	6	20، 22، 27، 175، 200، 201
7	الأنفال	2	11، 48
8	يوسف	3	5، 42، 100
9	إبراهيم	1	22
10	الحجر	1	17
11	النحل	2	63، 98
12	الإسراء	4	27، 53، 53، 64
13	الكهف	3	44، 44، 45
14	طه	1	120
15	الحج	4	3، 52، 52، 53
16	النور	2	21، 21
17	الفرقان	1	29
18	النمل	1	24
19	القصص	1	15
20	العنكبوت	1	38
21	لقمان	1	21
22	فاطر	1	6

م	اسم السورة	عدد المرات	الآيات
23	يس	1	6
24	الصافات	1	7
25	ص	1	41
26	فصلت	1	36
27	الزخرف	1	62
28	محمد	1	25
29	المجادلة	4	10، 19، 19، 19
30	الحشر	1	16
31	التكوير	1	25

مواطن الجمع			
1	البقرة	3	14، 102، 102
2	الأنعام	3	71، 112، 121
3	الأعراف	2	27، 30
4	الإسراء	1	27
5	مريم	2	68، 83
6	الأنبياء	1	82
7	المؤمنون	1	97
8	الشعراء	2	210 – 221
9	الصفات	1	65
10	ص	1	37
11	الملك	1	50

2- **إبليس** :

وهذا الإسم قد ورد في القرآن في أحد عشر موضعاً، في تسع سور من سور القرآن، في البقرة موضع برقم (34) وفي الأعراف موضع برقم (11) وفي الحجر موضعين برقم (31) (32) وفي الإسراء موضع برقم (61) وفي الكهف موضع برقم (50) وطه موضع برقم (116) والشعراء موضع برقم (95) وسبأ موضع برقم (20) وص في موضعين (74) (75).

أما معنى "**إبليس**"

بَلَسَ: أَبْلَسَ الرجلُ: قُطع به.

وأبْلَيس: سكت، وأبْلَسَ من رحمة الله: أي يَئِسَ ونَدِمَ ومنه سُمّى إبليس.

قال تعالى ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم:12] وإبليس، لعنة الله: مشتقُ منه لأنه أُبلس من رحمة الله، أي: أُويس.

قال أبو إسحاق: لم يصرف لأنه أعجمي معرفة.

والُمبْلسُ: اليأس، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب قد أبلس وقيل: إن إبليس سُمي بهذا الإسم لأنه لما أُويس من رحمة الله أبلس يأساً.

والُمبْلسُ: الساكت من الحزن أو الخوف.

والإبلاسُ: الحيرة

قال أبو بكر: الإبلاس معناه في اللغة: القُنُوط، وقطع الرجاء من رحمة الله تعالى – ويقال: أَبْلَسَ الرَّجُل: إذا انقطع فلم تكن له حجة[1]

وأبليس اسم أعجمي، ولذلك لا ينصرف للعجمية والعلمية – ذهب إلى هذا القول: الزَّجَّاج، وأبو على الفارسي، وابن الأنباري – وقال: "**أنه أعجمي مجهول الاشتقاق**"[2]

واستبعدوا أن يكون "**إبليس**" مشتقاً

(1) اللسان مادة "بلس: والقاموس المحيط مادة (البلس).

(2) أنظر معاني القرآن (1/ 194) وتفسير ابن عطية (8/ 311) الأضداد لابن الأنباري (336 – 337).

وقد ردَّ هذا القول الحافظ في "**الفتح**" (6/ 391)

وقد ذكر جماعة أنه مشتقُ وأنه أسم عربي مشتقُ من الإبلاس. وهو اليأس من رحمة الله تعالى، وإنما لم ينصرف لأنه معرفة ولا نظير له في الأسماء، فشبه بالأعجمية، وممن قال بالاشتقاق وأنه عربي، ابن جرير الطبري، وأبو عبيدة.

ولو تتبعنا أدلة الفريقين نجد أن من قال بالاشتقاق وأنه أسم عربي هو الذي يترجح عندى والله أعلم، ولو تتبعنا القائلين بذلك نجد أنهم الأكثر، وكل منهم ذكر أدلتة، ولكن يصعب عرض هذه الأدلة، ومناقشتها، خاصة وأن إبليس لا يستحق كل هذا الاهتمام في تعريفه، ولقد صرحت اللغة أنه ملعون، وصرح القرآن أنه ملعون، وحذرت الأدلة السُّنية منه ومن غروره، وتلبيساته.

قال ابن كثير – رحمه الله – (4/ 44):

"**وسماه الله تعالى إبليس، إعلاماً له بأنه قد أُبلس من الرحمة**" أي طُرد من رحمة الله، وآيس من رحمة الله تعالى.

وأخرج الطبري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: " **إبليس أبلسه الله من الخير كله وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته** " .

ولقد ذكر الله تعالى إبليس في أحد عشر موضعاً، تسعة مواضع مقرون بالسجود، وأنه أبي واستكبر، فمرة يوصفه بالإيباء، ومرة يوصفه بالاستكبار، وأما الموضعين الآخرين، موضع منها استخدم جنوده، كما في "الشعراء (95) والآخر استخدم الظن كما في سبأ (20) فكما أن صفته الإيباء والاستكبار؟ فهو يغرس في نفوس أتباعه هذه الصفات، حتى أنك لتجد ذلك جلياً عندما بعث رسول الله ﷺ "**أن أبليس وضع عرشه على الماء واستدعى سراياه**.." "**الحديث وسياتي في باب** "أسلحة الشيطان في معركته ضد الإنسان" **فهو يستخدم كل الأسلحة غير المشروعة لإضلال البشر، والقضاء على إيمانهم، والتشكيك في خالقهم ومعبودهم** ". فكما أنه طُرد من رحمة الله تعالى وأُبلس وتحَّير، وخرج بفسقه عن رحمة الله تعالى، فهو يريد أن يكون سبباً في طرد البشر من رحمة الله تعالى.

ولنا مع إبليس في هذا الكتاب حديثاً آخر سيكون مفصلا إن شاء الله.

3 – **الغَــرُور**.

وهذا الأسم مما أطلقه القرآن على الشيطان أيضاً، والغرور بفتح الغين.

وغرر، غرَّه يغُرُّه غرّاً أو غُروراً، فهو مغرور وغرير، خدعة وأطمعة بالباطل.

والغُرُور: ما غرّك من إنسان وشيطان وغيرهما، وخَصَّ يعقوب به الشيطان. وقوله تعالى ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان:33] قيل: الغَرور الشيطان.

وقال الزَّجّاج: ويجوز الغُرور، بضم الغين، وقال في **"تفسيره"** الغُرور: الأباطيل.

والغَرور: الشيطان يَغُرُّ الناس بالوعد الكاذب والتَّمْنية.

قال الأصمعي: الغَرُور الذي يَغُرُّك. والغُرور، بالضم، الأباطيل، كأنها جمع غَرَّ مصدر غَرَرتْهُ غرَاً[1]

قال أبو عبيدة: كلُّ شيء غرّك حتى تعصى الله تعالى، وتترك ما أمرك سبحانه به، فهو غرور ، شيطاناً أو غيره"[2]

وقال الطبري: الغَرور بفتح الغين: هو ما غرَّ الإنسان من شيء كائناً ما كان، شيطاناً كان، أو إنساناً، أو دُنيا"[3].

قال ابن الأثير: وسُمّى الشيطان غروراً، لأنه يحمل الإنسان على محابّه، ووراء ذلك ما يسوء.

وقال الحافظ في **"الفتح"** (11/ 255):

والغرور كل ما يغر الإنسان، وإنما فُسِّر بالشيطان لأنه رأس في ذلك.

وقال الرازي في **"تفسيرة"** (29/ 227) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد:14]

" الغرور بفتح الغين، هو الشيطان، لإلقائه إليكم أن لا خوف عليكم من محاسبة ومجازاة "

---

(1) لسان العرب مادة غرر.

(2) روح المعاني للألوسي (21/ 108).

(3) تفسير ابن جرير (21/ 86).

وقال ابن جرير(12/ 116) في قوله تعالى ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان:33] "ولا يخدعنكم بالله الشيطان،فيمنِّيكم الأماني، ويعدكم من الله العِدَات الكاذبة، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله"

قال ابن الجوزي في التلبيس "(ص45) بتحقيقي:

" **التبليس إظهار الباطل في صورة الحق، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والرديء جيداً** "

وقد روى البخاري مُعلقًا مجزوماً به عن مجاهد أنه فسَّر الغرور بالشيطان ووصله ابن جرير (21/ 87) (22/ 117) وانظر "**الفتح**" (11/ 254).

ومن تتبع أقول المفسرين يجد أنهم أجمعوا على هذا التفسير.

وقال ابن عطية (14/ 306): "**الغرور: الشيطان بإجماع من المتأولين**"

هذا وقد ورد الغرور – بالفتح – في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى سورة لقمان آيه (33) وسورة فاطر آية (5) والحديد آية (14)

أقول: من أمعن النظر في أقول المفسرين وأهل اللغة يجد أنهم اتفقوا على أن "الغرور" كل ما غَرَّ من شيطان وإنسان وغيرهما.

لكن لما كان الغرور يقع أصله من الشيطان للإنسان، فهو الذي يدفع الإنسان إلى الشيطنة، والأبلسة، والغرور وغيرها مما هو موصوف به الشيطان، يرجع هذه الصفات إلى الشيطان، فيكون الغرور هو الشيطان أولاً وأخيرًا، فيكون "الغرور" على الحقيقة هو الشيطان والله أعلم.

(4) **الأسم الرابع: الوسواس**.

هذا الاسم ورد في القرآن في ثلاث مواطن، في سورة الأعراف أية رقم (20) في قوله تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾

وفي سورة طه آية رقم (120) في قوله: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾

وفي سورة الناس ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾

ولقد أطلق في هذه السورة في حين أنه قيد بالشيطان في الموضعين السابقين.

الوَسْواس: الشيطان. وقد وَسْوسَ في صدره وَوَسْوسَ إليه وقوله تعالى ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾ أراد ذي الوسواس وهو الشيطان الذي يُوسوس في صدر الناس.

وقيل في **"التفسير"** إن له راساً كرأس الحَيَّة يجثم على القلب، فإذا ذكر العبد الله خنس، وإذا ترك ذكر الله رجع إلى القلب يوسوس.

قال الفرَّاء: الواسواس: بالكسر المصدر. وكل ما حَدَّث لك أو وَسْوس، فهو اسم . وفلان المَوسْوس: بالكسر: الذي تعتريه الوساوس.

قال ابن الأعرابي: رجلُ مُوَسْوس ولا يقال: رجلُ مُوَسْوَس.

قال أبو منصور: وإنما قيل مُوَسْوس لتحديثه نفسه بالوَسْوَسة.

قال تعالى ﴿وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥ﴾ [ق:16]

قال رؤبة يصف الصياد: وسْوَسَ يْدعُو مُخلِصاَ ربّ الفَلَق .

يقول: لما أحسَّ بالصيد وأراد رميه َوسْوَس نفسه بالدعاء حذر الخيبة.

وقدَ وسْوَست إليه نفسه وسوسة ووِسْواساً، بالكسر، ووَسْوس الرجل: كَلَّمه كلاماً خَفِّيا. ووسْوسَ إذا تكلم بكلام لم يبينه.

الوَسْوَسة والوَسْواس: الصوت الخفي من ريح. والوسواس: صوت الحْلى، وقدَ وسْوَس وَسْوَسة ووسواسا بالكسر. والوسْوسة والوسْواس: حديث النفس.

يقال: وسَّوْسَتْ إليه نفسه وسوسة ووسواسا، بكسر الواو، والَوسْواسُ، بالفتح، الاسم مثل الِّزلزال والزَّلزال، والوسواس، بالكسر، المصدر. والوسواس بالفتح: هو الشيطان وكل ما حدَّثك ووَسْوس إليك، فهو اسم . وقوله تعالى ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [الأعراف:20] يريد إليها ولكن العرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل.

ويقال: لهمس الصائد والكلاب وأصوات الحلي: وسواس.

قال الأعشي:

تَسْمَع للحَلْي وَسْواساً إذا انصرفت   كما استعان بريحٍ عِشْرِقُ زَجِلُ

والهمس: الصوت الخفي [1]

قال الجوهري، ومكى بن أبي طالب: "الوسواس: الشيطان [2] أنه قال: الوسواس: إذا وُلِد خنسهُ الشيطان، فإذا ذكر الله تعالى ذهب، وإذا لم يذكر الله تعالى ثبت على قلبه"

وأخرجه ابن جرير (30/ 355) **بلفظ عنه:**

"الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس"

قلت: روى مسلم في " صحيحه" (389) من حديث ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ..قال:

"إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة، أحال لهُ ضُراطٌ حتى لا يسمع صوتهُ، فإذا سكت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته،فإذا سكت رجع فوسوس"

وأخرج أحمد (1/ 253) وأبو داوود (2/ 51) بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أُحدث نفسي بالشئ لأن أخِرَّ من السماء، أحبّ إليَّ من أن أتكلم به، فقال النبي – ﷺ – **" الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة "**.

قال ابن الأثير: الوسواس: اسم الشيطان[3].

والوسوسة أحد أسلحة الشيطان التي يستخدمها ضد الإنسان، وذلك لزحزحته عن الإيمان بالله، فهو تارة يأتيه ليشكّكهُ في نفسه فإذا استسلم له ولم يرد هذه الوسوسة. انتقل إلى تشكيكه في غيره ومن حوله، فإذا وقع في ذلك، شكّكه في ربه فيأتيه فيقول له من خلقك؟ فيقول: الله هو الذي خلقني، فيقول له: من خلق الله؟!..

(1) اللسان مادة وسس. وفتح القدير (5/ 627-628).

(2) انظر الصحاح (3/ 988) والعمدة في غريب القرآن (ص316).

(3) النهاية في غريب الحديث (5/ 186).

وربما جاءه فوسوس له في أشياء كثيرة وجد الشيطان له منفذ عنده، ولأن هذا يصعب التحرز منه، فإن الله تعالى بمنه وكرمه تجاوز عن مثل هذه الوسوسة كما في الحديث الذي رواه البخاري (2528) وسلم (124) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **"إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها مالم تعمل به أو تكلم"**

وهذا السلاح هو أحد أسلحة الشيطان الخطيرة جداً على النفس وعلى القلب لذلك أفردنا لهذا السلاح باباً، وكيفية العلاج في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

الأسم الخامس " الطاغوت "

الطاغوت: "قال ابن عباس: هو الشيطان" [1] وكذا قال كل من : مجاهد، والشعبي، والضحاك، وقتادة، والسدى[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه – **الجبت:** السحر. والطاغوت: الشيطان[3].

وقال الزَّجَّاج: "الطاغوت" : الشيطان وكل معبود من دون الله فهو طاغوت، والدليل على أن الطاغوت الشيطان قوله ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء:60][4].

قال الجوهري: الطاغوت: الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلالة[5].

قال الفيروزآبادى: الطاغوت: اللّات والعُزَّى، والكاهن، والشيطان، وكل رأس ضلالة، والأصنام، وكل ما عُبد من دون الله، ومردة أهل الكتاب[6]

قال ابن عطية: الطاغوت: كل ما عبد من دون الله تعالى، والطاغوت أيضا: الشيطان[7].

قال الواحدي: قال جميع أهل اللغة: الطاغوت كل ما عبد من دون الله، وقال ابن عباس، والمفسرون: الطاغوت، الشيطان.

---

(1) الوسيط للواحد (1/ 367).
(2) تفسير الطبري (5/ 131).
(3) الصحاح للجوهري (مادة طغا).
(4) القاموس المحيط (مادة طغا).
(5) تفسير ابن عطية (12/ 519).
(6) اللسان مادة طغا.
(7) تفسير الطبري (5/ 132 – 133).

قال الأخفش: الطاغوت يكون من الجن والإنس.

قال شمر: الطاغوت يكون من الأصنام ويكون من الشياطين.

وقال أبو إسحاق: الطاغوت، كل معبود من دون الله عز وجل جبتٌ وطاغوتٌ وقيل: الجبت والطاغوت الكهنة والشياطين(1).

ولفظه "**الطاغوت**" ذكرت في ثمانية مواضع من كتاب الله تعالى الأول: في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:256]

قال الإمام البغوي في "تفسيره" (1/ 314). (فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ) يعني الشيطان.

وأخرج ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم عن عمر أنه قال ذلك.

قال ابن كثير في "تفسيره" (1/ 363): ومعنى قوله في الطاغوت إنه الشيطان قوى جداً فإنه يشمل كل شرٍّ كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والإستنصار بها.

الموضع الثاني أيضا في قوله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ﴾[البقرة:257]

قال ابن كثير (1/ 363): ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ۗ﴾ [البقرة:257] إنما أولياؤهم الشيطان.

وذكر ابن الجوزي في "زاد المسير" (1/ 306) أن ابن عباس وعكرمة وآخرون فسروا الطاغوت في الآية: بالشياطين

وقال القاسمي في "محاسن التأويل" (3/ 326): ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة:257] أي الشياطين وسائر المضليين عن طريق الحق.

الموضع الثالث ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء:51] قال مجاهد والشعبي وزيد بن أسلم: "**الطاغوت**" الشيطان.

(1) معاني القرآن (2/ 78).

وقال عكرمة: الجبت والطاغوت، هما صنمان كان المشركون يعبدونها من دون الله.

الموضع الرابع: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء:60].

الموضع الخامس في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:76]

قال ابن جرير ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء:76]يعني: في طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من أهل الكفر بالله.

قال ابن عطية في "تفسيره" (4/ 134):

وتدل قرينة ذكر الشيطان بعد ذلك على أن المراد بالطاغوت هنا الشيطان .

قلت: وتدل الآية على أن للشيطان أولياء.. نصراء وأحباء.. من الإنس ، يستخدمهم جنود للإفساد في الأرض، وهو من جملة الأسلحة التي يتسلح بها الشيطان في معركته ضد الإنسان.

فهو يتخذ من البشر أولياء، ودعاة، ومبشرين، وجنود، كما سيأتي بيانه.. إن شاء الله..

الموضع السادس في قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:60]

قال البغوي في تفسيره (3/ 75):

"وعبد الطاغوت: أي جعل منهم من عبد الطاغوت، أي أطاع الشيطان، فيما سوّل له، وتصديقها" وفي قراءة ابن مسعود **(ومن عبدوا الطاغوت)**.

الموضع السابع في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل:36]

قال الطبري (14/ 103): **" يقول: ابعدوا عن الشيطان واحذروا أن يغويكم، ويصدكم عن سبيل الله، فتضلوا "** .

وقال القرطبي في "تفسيره" (5/ 456):

﴿ٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾أي: اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال.

الموضع الثامن من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾[الزُّمَر:17]

روى ابن جرير بأسانيده إلى مجاهد، وابن سيرين والسُّدِّى: أن الطاغوت ها هنا "الشيطان".

وذكر القرطبي(8/ 207): أن ابن زيد أيضا قال: أنه الشيطان" **والذي يترجح عندي في هذا الموطن وجميع المواطن غير المقيدة أنه الشيطان فحيث أطلق فهو الشيطان**". والله أعلم.

تعريف الجـن

الجن: ذكر في القرآن في اثنتين وعشرين موضعا في "الأنعام" أربعة مواضع[100- 112- 128-130] وفي "الأعـراف في موضـعين [38-179] والأسراء في موضـع [88] وفي "الكهـف" في موضـع [50] والنمـل" في موضـعين [17- 39] وسـبأ في ثـلاث مواضـع [12 و14و 41] وفـصلت في موضـعين [25- 29] والأحقـاف في "موضـعين" [18و 29] والـذاريات في موضـع [56] والـرحمن في "موضـع"[33] وسورة الجن في ثلاثة مواضع [1و 5و 6].

أما "الجان" فقد ذكر في سبعة مواضع:

الحجر موضع [27] والنحل موضع [10] والقصص في موضع [31] والرحمن في أربعة مواضع [15 و 39و 56و 74].

أما تعريف الجن:

الجِنُّ خلاف الإنس ، والواحد جِنِّيٌّ، سُميت بذلك لأنها تخفى ولا تُـرى والجِنّـيُّ: منسوبٌ إلى الجِّن أو الجِنَّة.

والجِنّـة: الجنُّ ومنه قوله تعالى (**مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**) وقال الزَّجَّـاج: التأويـل عندي قوله تعالى ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① مَلِكِ ٱلنَّاسِ ② إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ④ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ⑤ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ نورالذي هو من الجنِّ والناس . معطوف على الوسواس، والمعنى من شرِّ الوسواس ومن شرِّ الناس

قال الَّليث: والجِنَّةُ الجنونُ أيضاً. وفي التنزيل العزيز (أم به جِنةٌ) والأسـم والمـصدر على صورةِ واحدةِ. ويقال: به جنةٌ وجنونٌ ومَجَنَّة. وأنشد:

من الَّدارمٌيينَ الذين دماؤهم

شفاءٌ من الداء المَجَنّة والخَبْل

والجِنَّة : طائفُ الجنِّ

والمجنَّة: الجُنُون. والمَجَّنُة: الجِنُّ. وأرضُ مَجَّنَة: كثيرة الجّن.

والجانُّ : أبو الجنِّ خُلِقَ من نار، ثم خُلق منه نسلُه.

والجانّ: الجُّن، وهو اسم جمع، كالحامل والباقر. وفي التنزيل العزيز قوله: (**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ**)

وقرأ عمرو بن عبيد: (**فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَأنٌّ**) بتحريك الألف وقلبها همزة. كما قرأ أيوب السختياني (**وَلاَ الضَّألين**)

قال أبو عمرو: الجاُّن من الجّن، وجمعُه جِنَّانٌ، مثل حائط وحيطان.

قال الشاعر:

فيها تَعَّرفُ جِنَّانُها
مشادبُها دائراتٌ أُجُنْ

وقال الخطفي جد جرير يصف إبلاً:

يرفعن بالليل إذا ما أَسَدَفَا
أعناقَ جِنّانٍ وهاماً رُجَّفا

وفي حديث زيد بن مقبل: جنَّان الجِبال: أي الذين يأمرون بالفساد من شياطين الإنس أو من الجنِّ

والجِنَّة بالكسر: اسم الجنِّ

وفي حديث: أنه نهى عن ذبائح الجن. قال: هو أن يبني الرجل الدار فإذا فرغ من بنائها ذبح ذبيحة. وكانوا يقولون: إذا فعل ذلك لا تضر أهلها الجنُّ.

والجن: ولد الجان:

قال ابن سيدّه: الجُّن نوعٌ من العالم تسموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار، ولأنهم استجنو من النار فلا يرون. والجمع جنان، وهم الجنَّة[1].

والجان أو الجن مخلوق من النار، بنص القرآن والسُّنة.

فقال تعالى ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحِجر:27]

(1) اللسان مادة جنن.

قال القرطبي (385/5)**: "أي: من قبل خلق آدم"** قال الحسن البصري: يعني إبليس، خلقه الله تعالى قبل آدم عليه السلام" **وسُمّي جانا لتواريه عن الأعين"** (1) .

وأخرج الطيالسي بسند صحيح عن شعبة عن أبي إسحاق قال: دخلت على عمرو الأصم أعوده فقال: **" ألا أُحدّثك حديثاً سمعته من عبد الله بن مسعود** - رضي الله عنه - **يقول: هذه السموم جزُء من سبعين جزءًا من السموم التي خُلق منها الجان ثم قرأ الآية"**

وأخرجه ابن جرير (14/ 24) عنه.

وأخرجه ابن جرير (14/ 21) عن ابن عباس – رضي الله عنهما - أنه قال: **"السموم الريح الحادة التي تقتل"** وفي رواية: **"أن الجان خلق من لهب النار"** وفي رواية: **"من أحسن النار"**.

أما السنة :

فأخرج مسلم (4/ ص60/ ص229) وأحمد (6/ 153-168) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار، وخلق بنو آدم مما وصف لكم"

قال ابن كثير(541/4)**: " ومقصود بالآية: التنبيه على شرف آدم** عليه السلام ، **وطيب عنصره، وطهارة محتده"**.

الحدّة: النشاط والسرعة في الأمور والمضاء فيها"

خلق الله إبليس من الجن كما قال تعالى ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف:50]

وامتنع هذا الَّلعين عن السجود لآدم استكباراً وافتخاراً معللاً ذلك بقياس فاسد فقال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:12]

قال الجوهري: مارج من نارٌ، نار لا دخان لها خُلق منها الجان، السموم الريح الحارة تؤنث، يقال منه: سمّ يومنا فهو يوم مسموم، والجمع سمائم.

(1) انظر تفسير ابن كثير (4/ 540) وفتح القدير للشوكاني(3/ 183).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف:50] .

قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره(5/174):

قال الله تعالى منبها بني آدم على عدواة إبليس لهم ولأبيهم من قيلهم ، ومقرِّعـاً لمـن اتبعه منهم وخالف مولاه، الذي أنشأه وابتدأه، وبألطاف رزقه غذاه، ثم بعد هذا كلـه والى إبليس يقول الله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ) أي: لجميع الملائكـة، (ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ) أي: سجود تشريف وتكريم وتعظيم، كما قال تعالة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:28،29]

قوله: (فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ) أي: خانه أصله، فأنه خُلق من مارج من نار، وأصل خلق الملائكة من نور- كما روى مسلم في الحديث السابق- فعند الحاجة نضح كل وعاء مما فيه، وخانه الطبع عند الحاجة، وذلك أنه كان قد توسـم بأفعـال الملائكـة وتشبه بهم، وتعبد وتنسك، فلهذا دخل في خطابهم، وعصى بالمخالفة، ونَبّه تعالى ها هنا على أنه (مِنَ ٱلْجِنِّ) أي: إنه خُلق من نار، كما قال تعـالى﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[ص:76]

قال الحسن: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل البشر" أخرجه ابن جرير (15/ 170) بسند صحيح.

فالأدلة القرآنية، والأدلة الحديثية، والآثار السلفية قاطعة بأن إبليس خلق من النار، وأنه لم يكن من الملائكة طرفة عين،وكل ما ورد من أقوال على أنه كان من الملائكة فلما عصى وتمرد أصبح كطائفة الجن فلا يـصح مـن هـذه الأقـوال شيء، وكلهـا مقطوعـة وسانيدها لا تصح، والله أعلم. ولقد ذكر الله تعالى للجن سـورة كاملـة باسـمه وهـي سورة "**الجن**" في الجزء التاسع والعشرين .

والجن وجودهم معلوم من الدين بالضرورة:

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى " (19/ 10)

"لم يخالف أحدٌ من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمداً إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك...

وقال في (13/19):

"جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن، وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب ، وكذلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد حام، وكذلك جمهور الكنعانيين واليونان من أولاد يافث، فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن" .

وفي **"أكام المرجات"** (ص4) أن إمام الحرمين الجويني ذكر **"أن العلماء أجمعوا في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشيطان، والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم، ولا يراغم هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين" .**

قال شيخ الإسلام:

"وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترا معلوماً بالضرورة ، ومعلوم بالضرورة أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالارادة بل مأمورون منهيون، ليسوا صفات وأعراض قائمة بالإنسان أو غيره، كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواترا عن الأنبياء تواترا تعرفه العامة والخاصة، فلا يمكن لطائفة من المنسبين إلى الرسل الكرام أن تنكرهم" .

البَابُ الثَّانِي

خصائص الشيطان في القرآن

خصائص الشيطان في القرآن

وأعني بهذا الاسم أن كل اسم ورد ذكره في القرآن من الأسماء الخمسة المذكورة، وبيان كيده، وطرق محاربته للإنسان، والوسائل والآلات والمعدات، والجنود، والحرب النفسية والعصبية التي يستخدمها الشيطان مع الإنسان، ولم أذكر في هذا الباب كل الأسلحة التي استخدمها لأن بقية الأسلحة جاءت في السنة كما لم أذكر الوسائل التي يتقى بها الإنسان هذا الكيد، والحصون التي يتحصن بها من الشيطان، لأن هذا باباً آخر في الكتاب منفصلاً.

أولاً: الشيطان في القرآن

(1)

إيقاع الإنسان في الذل والإزالة

قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ [البقرة:36]

قال القرطبي- رحمه الله- (1/ 290-291):

قوله تعالى: (**فأزلهما**) قرأ الجماعة " **فَأَزَلَّهما**" بغير ألف، من الزَّلة وهي الخطيئة، أي استزلهما وأوقعهما فيها.

وقرأ حمزة "**فأزالهما**"[1] بالف، من التَّنحية، أي: نَحَّاهما، يقال: أزلته فزال.

قال ابن كيسان: فأزالهما من الزوال أي: صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية.

قلت: وعلى هذا تكون القراءتان بمعنىً، إلاَّ أن قراءة الجماعة أمكن في المعنى، يقال منه: أزْلَلْتهُ فَزَّل، وذلَّ على هذا قوله تعالى ﴿ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾ [آل عمران:155] . قال: الوسوسة إنما هي إدخالهما في الزلل بالمعصية، وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخاله في الزلل، فيكون ذلك سبباً إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه وقد قيل: إن معنى أزلهما من زلَّ عن المكان إذا تنحى، فيكون في المعنى كقراءة حمزة من الزوال.

قال امرؤ القيس:

يُزِل الغلامُ الخِفَّ عن صَهَواته ... وُيلْوى بأثواب العَنِيفِ المثقَّل

وقال أيضاً:

كُمَيْتٍ يُزِلّ اللّبدُ عن حال متنِهِ ... كما زلَّت الصّفْواء بالمتنزِّل

قال القرطبي:

(**فأخرجهما مما كانا فيه**) إذ جعل أزال من زال عن المكان فقوله: (**فأخرجهما**) تأكيد وبيان للزوال، إذ يمكن أن يزولا عن مكان كانا فيه إلى مكان آخر من الجنة، وليس كذلك وإنما كان إخراجهما من الجنة إلى الأرض، لأنهما خُلقا منها، وليكون آدم أول

---

(1) قراءة سبعية متواتر – انظر تقريب النشر (ص91).

خليفة في الأرض، ولم يقصد إبليس – لعنه الله – إخراجهما منها وإنما قصد إسقاطه من مرتبته وإبعاده كما أُبعد هو، فلم يبلغ مقصده ولا أدرك مراده، بل ازداد سُخْنَةَ[1] عين وغيظ نفس، وخيبة ظن.

قال في "**اللسان**".

"إذا زَلَّت قَدَمهُ قيل: زلَّ. وإذ زلَّ في مقالٍ أو نحوه قيل: زلَّ زلَّة، وفي الخطيئة ونحوها.

وزلَّ في رأيه ودينه يزلُّ زلاً وزُلُولاً وزِّليلي تُمدُّ وتقصر.

عن اللحياني، وأزلَّه هو واستزلَّهُ غيره، وكذلك زلَّ في المنزلة، وأزلَّ فلان فلاناً عن مكانه إزلالاً وأزَالهُ وقرئ: (**فأزلهما الشيطان عنها**) وقرئ: "**فأزالهما**".

(**فأزالهما**) **أي:** فنحاهما، وقيل: أزلَّهما الشيطان أي: كسبهما الزَّلَّة[2].

فالمعنى: أن الشيطان أكسبهم الذُّل كما أزلَّهما: نَحَّاهم عن المكانة فيكون هذا من خصائصه أن يستنزل العبد بالمعصية، أي يجعله زليل، وهكذا كل صاحب ذنب تجده مزلولا بسبب ذنبه.

كما أن إزالة العبد من مكانته العلمية أو الإيمانية من خصائص الشيطان، بل هي أهم الخصائص، لأن الإنسان هو سبب تنحيته عن مكانه وسبب طرده من السماء، ولعنه، فتربص بالعبد كي يزحزحه عن إيمانه ودينه، فإن نحَّاه عن مكانته إلى مكانه أقل، فعل، وإن نحَّاه عن دينه بالكلية فهذا غاية المراد.

---

(1) سُخنة العين: ضد قرة العين وسخونة العين بكاءها.

(2) اللسان مادة (**زلل**).

(2)
خطوات الشيطان

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة:168]

والنهي عن اتباع خطوات الشيطان ورد في عدة مواطن منها هذا الموطن وفي نفس السورة برقم [208] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة:208]

والموطن الثالث قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام:142]

والموطن الرابع ويعتبر أوضح وأبين المواطن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:21]

فهذه هي المواطن الخمس التي ذُكر فيها خطوات الشيطان.

أما الموطن الأول فقال القرطبي (1/603): قوله (حلالا طيبا) سُمى الحلال حلالا لانحلال عقد الحظر عنه.

قال سهل بن عبد الله: النجاة من ثلاثة: أكل الحلال، وأداء الفرائض والاقتداء بالنبي ﷺ.

وقال أبو عبد الله السَّاجيُّ واسمه سعيد بن يزيد: " خمسُ خصالٍ بها تمام العلم وهي: معرفة الله عز وجل ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السُّنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يُرفع العمل" .

قال سهل: ولا يصح أكل الحلال إلا بالعلم، ولا يكون المال حلالاً، حتى يصفو من ستِّ خصال: **"الربا والحرام والسُّحت والغُلول والمكروه والشُّبهة"**.

ثم قال القرطبي: قوله (**ولا تتبعوا**) نهى (**خطوات الشيطان**) (**خطوات**) جمع خطوة، وخطوة بمعنى واحد.

قال الفرّاء: الخَطوات جمع خطوة، بالفتح، وخُطوة (**باضم**) ما بين القدمين.

وقال الجوهري: وجمع القلّة خَطْوات وخُطُوات وخَطَوات، الكثير خُطاً والخَطْوة (**بالفتح**) المرة الواحدة، والجمع خَطَوات (**بالتحريك**) وخطاء، مثل: رَكْوة ورِكاء.

قال امرؤ القيس:

لها وثباتُ كوكب الظِّباء فوادٍ خطاءُ ووادٍ مَطَر

والمعنى: ولا تقفوا أثر الشيطان وعمله، وما لم يرد به الشرع فهو منسوب إلى الشيطان.

قال ابن عباس: (**خطوات الشيطان**) أعماله.

وقال مجاهد: خطاياه.

وقال السُّدّي: طاعته.

وقال أبو مجلز: هي النذور في المعاصي

قال القرطبي: والصحيح أن اللفظ عام في كل ما عدا السُّنن والشرائع من البدع والمعاصي.

قال ابن كثير(434/1):

"لما بَّين تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه المستقل بالخلق، شرع يبين أنه الرزَّاق لجميع خلقه، فذكر ذلك في مقام الإمتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيباً، أي: مستطاباً في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي: طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما كان زينَّه لهم في جاهليتهم، كما في حديث عياض بن حمار الذي في "صحيح مسلم" (4/ 63/ 2197)، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يقول الله تعالى: (**إن كل ما أمنحه عبادي فهو حلال**) وفيه: "**وإني خلقتُ عبادي حُنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم**".

ثم حكى ابن كثير الأقوال التي ذكرها القرطبي وذكر أقوالاً أُخرى توسع فيها عن معنى الخطوات فنقل عن عكرمة أنه قال: " **خطوات الشيطان نزغاته** " .

قال الشعبي: "نذر رجل أن ينحر ابنه فأفتاه مسروق بذبح كبش. وقال " **هذا من خطوات الشيطان**"

وقال أبو الضُحى عن مسروق: أُتي عبد الله بن مسعود بَضْرع وملح فجعل يأكل ، فاعتزل رجل من القوم، فقال ابن مسعود: ناولوا اصاحبكم فقال: لا أريده. فقال: أصائم أنت؟ قال: لا. قال: فما شأنك؟ قال: حّرمتُ أن أكل ضَرْعاً أبداً. فقال ابن مسعود: هذا من خطوات الشيطان، فاطعم وكفَّر عن يمينك" رواه ابن أبي حاتم.

وقال أيضا: حَدّثنا أبي، حَدّثنا حَسَّان بن عبد الله المصري، عن سليمان التَّيمي، عن رافع، قال: غضبت على امرأتي. فقالت: هي يوماً يهودية، ويوماً نصرانية، وكل مملوك لها حُرّ، إن لم تطلق امرأتك. فأتيت عبد الله عمر فقال: إنما هذه من خطوات الشيطان، وكذلك قالت زينب بنت أُمّ سَلَمة، وهي يومئذٍ أفقه امرأة في المدينة، وأتيت عاصماً وابن عمر فقالا مثل ذلك.

وروى عبد بن حُميد عن عكرمة عن ابن عباس قال: "ما كان من يمين أو نذر في غضب، فهو من خطوات الشيطان، وكفارته كفارة يمين".

وروري سعيد بن داود في "**تفسيره**" حَدَّثنا عَبَّاد بن عَبَّاد المصلبي عن عاصم الأحول، عن عكرمة في رجل قال لغلامه: " **إن لم أجلدك مائة سوط فامرأته طالق، قال: لا يجلد غلامه، ولا تطلق امرأته، هذا من خطوات الشيطان**"

هذا بعض ما ورد عن السلف في تفسيره "**خطوات الشيطان**"

أقول والله تعالى أعلم:

أن الله تعالى قرن خطوات الشيطان بأمر من الأكل الحلال وذلك ليبين أن شهوة الطعام والشرب أحد مداخل الشيطان للإنسان هو يريد أن يفسد عليه هذا المدخل بتزيين الحرام له.

وأن يسول له الباطل خوفا من الفقر، والبعد عن الاحتياج للبشر، وإلقاء الشبهات في الحلال، وأن تواجده عسير، والحصول عليه إزلال للنفس، فيُجَمّل له الحرام،

ويدخل له من باب الضروريات، ففي مجال البيع والشراء، يـزين لـه الحـرام، فيتبـايع بالعينة، وجميع البيوع المحرمة، بُحجه الناس يتعـاملون بـذلك، والواقـع المـر يفـرض علينا، واحتياج الناس يدعوه إلى ذلك..هكذا..

نفس الاستدراج الذي وقع عندما عُبدت الأصنام أول مَـرّة، ونفـس الاسـتدراج الذي وقع للمشركين فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا لشركاءنا، فما كان لله فهو يـصل إلى شركائهم...

ويظل يستدرجه الشيطان حتى يقع في البيوع المحرمة، ثم يتعاطى الحرام ويـصعب بعد هذا الاستغناء عنه، لأنه أخـذ عـلى وضـع معـين، ومعيـشة معينـة مـن الـصعب التخلص منها حتى ولو كانت كلها من حرام...

فإذا استسلام للخطوات أوصله إلى الوقوع في الحرمات.. كمن حام صول الحمـى يوشك أن يقع فيه، وغاية الشيطان في هذا كلـه أن يوصـل اللقمـة الحـرام إلى معدتـه، فيتغذى بالحرام، وينبت جسده من هذا الحرام...ثم يدعوا فلا يُستجاب له...ثم يكون من أهل النار؟ لأن كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به، ثم ينـشأ أولاده عـلى هـذا الصنيع، فتنبت أجسادهم من الحرام، فيقع العقوق من الأبناء والنشوذ من الزوجـات ثم ينهار البيت ومعه ينهار المجتمع..

ولذلك قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ [البقرة:172] عقب هذه الآيات...فحذر الناس جميعاً من اتباع خطوات الـشيطان في تـرك الحـلال وأخذ الحرام، عاد فأمر المؤمنين بالأكل الحلال، ومن الطيبـات مـن الـرزق، ثـم يبـين عليهم ما حُرّم عليهم.

وبعد ما نهى عن إتّباع خطوات الشيطان، وأن عداوته لنـا ظـاهرة العـداوة، عـاد مظهراً زيادة في إيضاح العدوة فقال: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:169].

فهذه ثلاثة أوامر مهلكات مبيدات للعبد، الأولى ما أسـؤها، والثانيـة أشـد منهـا، والثالثة أشد وأشد وأنكى...

(السُّوء)

قال القرطبي (605/1)**:** "سُمّى السُّوء سوءاً لأنه يسوء صاحبه بسوء عواقبه وهو مصدر: ساء يسوء سوءاً ومساءةً إذا أحزنه، وسُؤته فسيئ إذا أحزنته فحزن، قال تعالى: ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المُلك:27] .

قال الشاعر:

إن يك هذا الدهر قد ساءني فطالما قد سّرني الدهرُ
الأمر عندي فيهما واحـــد لذاك شكرٌ ولذاك صبرُ

أقول: والسُّو: الفجور والمنكر

والسُّو: اسم جامع للآفات والداء.

فالشيطان- لعنه الله – يأمر العبد بالسوء، حتى إذا فعل السوء وارتكبه، ساءه ذلك كمن ظهرت سؤته فافتضح.

والسّوء: بداية الخطوات، فإذا خطاها الإنسان وتجاوزها، وأصبح قلبه معلقا بالقبائع ساقه ذلك غلى ارتكاب الفجور والمنكرات فإذا اعتاد ذلك، أمره بالخطوة الأشد والأعظم، وهي (**الفحشاء**) قال مقاتل: إن كل ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنه الزنى، إلا قوله ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ [البقرة:268] فإنه منع الزكاة.

قلت: فيه نظر.

أقول: الفحشاء ذكرت سبع مرات في القرآن الكريم.

الأول والثاني- سبق في الآيتين السابقتين.

والثالث: في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف:24]

والفحشاء هنا على المعنى الرجح الزنا.

قال القرطبي: السوء الشهوة، والفحشاءالمباشرة. وقيل: السوء الثناء القبيح والفحشاء الزنى. وقيل: السوء خيانة صاحبه، والفحشاء: ركوب الفاحشة.

والموطن الرابع: ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:90]

والخامس: في قوله ﴿يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:21]

والسادس في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:28]

والسابع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:45]

ومن تأمل هذه اللفظة يجد أنها أعم من الزنى، واللواط، والسحاق، وغيرها من أنواع الفواحش.

قال في "اللسان" مادة"فحش" :

الفُحش والفحشاءُ والفاحشة: القُبحُ من القول والفعل وجمعها: الفواحش . وأفحش عليه في المنطق أي: قال الفُحش. والفحشاءُ: اسم الفاحشة. والمتفحّش الذي يتكلف سبَّ الناس ويتعَّمدهُ.

وفي الحديث " **إن الله يُبغضُ الفاحِشَ المتفحِّش**" والفاحش في الحديث: كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي.

قال ابن الأثير: وكثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا ويسمى الزنا فاحشة قال تعالى ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق:1] قيل: الفاحشة:خروجها من بيتها بغير إذن زوجها.

قال الشافعي- رحمه الله- : "أن تبدو على أحمائها بذرابة لسانها فتؤذيهم وتلُوك"

وكل خصلة قبيحة: فهي فاحشة من الأقوال والأفعال.

أقول: وقد ذكر لفظة **"الفاحشة"** ثلاثة عشر مرة في القرآن: في سورة آل عمران (135) والنساء (15) ، (19) ، (22) ، (25)، والأعراف (28) ، (80) والإسراء (32) والنور (19) والنمل (254) والعنكبوت (28) والأحزاب (30) والطلاق (1).

وهي تدور بين الزنى، واللواط، والزواج الحرام، وقبح القول ونقل الكلام، كما جاءت لفظة **"الفواحش"** في أربعة مواطن، في قوله ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ

﴿مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:151] وهي أعم. فهي تشتمل الفواحش الظاهرة للناس، والخافية عنهم، والظاهرة من الأقوال والأفعال، الخفية بالقلب والجوارح.

ومثلها في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:33] ففي هذه الآية جعل الشرك والقول على الله بغير علم من الفواحش، والبغي، فهي أعم، فتدخل فيها كل معصية قولية أو فعلية، أوظاهرة أو باطنة، فالرياء والشرك الخفي من ذلك. والله أعلم.

والموطن الثالث: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الشورى:37] فالفواحش من الكبائر، بل منها أكبر الكبائر، وأعظم العظائم.

والموطن الرابع: في قوله﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم:32] والفواحش القولية والفعلية الظاهرة والباطنة حرام الأقتراب منها لقوله تعالى﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ ولفظ التحريم ظاهر مما يدل على شدة حرمته، لأن الحرام جاء مصرحا به، وهذا من أقوى الأدلة على التحريم. وقال أيضا ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ وهذا صريح في التحريم، ظاهر التهديد، واضح الوعيد.

وأخرج البخاري(4634)، ومسلم (4/ 214/ 33) عن ابن مسعود. ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **"لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حّرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"**.

وأخرجه البخاري (9/ 230) ومسلم (2/ 1136/ 17) عن سعد بن عبادة قال: لو رأيت مع امرأتي رجلا لضربته بالسيف غير مُصْفحِ- فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: **"أتعجبون من غيرة سعد! فوالله لأنا أغير من سعد، والله أغير مني، من أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"**

وأخرج أحمد (2/ 326) بسند حسن عن أبي هريرة – ﷺ – قيل: يا رسول الله، إنا نغار. قال: **"والله إني لأغار، والله أغير مني، ومن غيرته نهى عن الفواحش"**.

أما الخطوة الثالثة، التقول على الله بغير علم: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:169] فهذه أعظم الخطوات وأشدّها خطورة، فربما كانت الخطوة الأولى وهي

"**السؤ**" والثانية وهي "**الفحشاء**" خطورتها قاصرة على صاحبها، فمن فعل السوء وقال به، وفعل الفحشاء وقال بها، فلا تضر إلا فاعلها أو قائلها بخلاف التقوّل على الله بغير علم فضرر ذلك متعدٍ إلى غيره، فهو يضر الغير بذلك قبل أن يضر نفسه .

والتقول على الله تعالى أكبر الكبائر على الإطلاق، فليس بعدها شيء، لأن الله تعالى ذكره بعد الشرك به فقال مبيناً الترتيب التصاعدي في الحرمة ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:33]

والشيطان إنما يريد هذه، ويضع نصب عينيه للوصول إليها لأنه يعلم أن ضلال المفتي متعدٍ إلى غيره، فإذا أغواه بالإفتاء وأضله وجعله يُفتي بخلاف الحق والصواب، فهذه غاية الشيطان ومراده من المفتي، لأجل ذلك قال عمر بن الخطاب: اثنان إذا صلحا صلحا الناس لصلاحهما وإذا فسدا فسد الناس بفسادهما: العلماء والأمراء. وعن أبي الدرداء مثله.

ولأن المفتى مُوقّع عن الله تعالى ، وعن رسول الله ﷺ ، فهو يتدخل ليغويه ويضله لأجل أن يضل الناس وينحرفون عن منهج الحق والصواب.

فالتقول على الله أعظم المصائب وأعظم الكبائر.

لأجل ذلك كان منصب المفتي خطير، ومركزه وعر، ومكانته صعبة، ولعل هذا من الأسباب التي جعلت النبي ﷺ يقول لخالد بن الوليد: "**أنزلهم على حكمك ولا تنزلهم على حكم الله وحكم رسوله ﷺ ، لأنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟!** "

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** ﴾ [النحل:116] .

ولأجل هذه الآية تورع العلماء والأئمة من قول الحلال والحرام حتى لا يقعون في الحرج والإثم، فكانوا يقولون: نحب، ونكره، دليل على الحل والحرمة كما تورعوا عن الافتاء، وكانوا يهربون من هذا المنصب الخطير، كما كانوا يتورعون من الإجابة وكانوا يحفظون "**لا أدري**" كما يحفظون العلم وكانوا يقولون. لا أدري نصف العلم.

أما الموطن الثاني فهو أعظم من الموطن السابق وهو قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة:208]

قال ابن كثير – رحمه الله:

"يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين به المصدِّقين برسوله- أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك.

ثم نقل عن ابن عباس، ومجاهد، وطاوس، والضحاك، وعكرمة، وقتادة، والسُّدى، وابن زيد أنهم قالوا في قوله تعالى (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ) يعني: الإسلام.

ونقل عن بعضهم أنهم قالوا: الطاعة".

"ونقل عن ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة والربيع، والسُّدى، ومقاتل بن حيان، وقتادة والضحاك: جميعا في قوله تعالى(**كَافَّةً**) أي في الإسلام جميعا. وقال مجاهد. أي أعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر.

قال ابن كثير: ومن المفسرين من يجعل قوله (**كافة**) حالا من الداخلين، أي ادخلوا في الإسلام كلكم، والصحيح الأول، وهو أنهم أُمروا أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام، وهي كثيرة جداً ما استطاعوا منها" (1) .

قلت: قرأ الكسائي وغيره " **ادْخُلُوا فِي الإسلام كَافَّةً**" وهذا نداء من العلي الخبير – الذي يعلم ما كان وما سيكون – لأهل الإيمان الذين آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد – ﷺ – نبياً ورسولاً، والحشر والنشر والجنة والنار والصراط وبجميع. الغيبيات بأن يدخلوا في الإسلام كله، لايؤمنون ببعض، ويتركوا بعضه، وألاّ يستدرجهم الشيطان عن دينهم بإتباع خطواته، فيبتعدون عنه شيئا فشيئا حتى يذهب أصله، فيعبدون الله بالبدع والاستحسان.

ولقد أخبر الله تعالى في هذه الآية أن من المسلمين لن يدخلوا في الإسلام كله، لذلك خاطبهم بالدخول فيه بالكلية.

---

(1) التفسير (1/ 532).

كما أخبر النبي ﷺ أن من أمته سوف يخرجون من الدين، ويمرقون منه كما يمرق السهم من الرَّميّة كما في الحديث الصحيح الثابت: " **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفسُ محمدٍ بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار**" [(1)]

وفي رواية " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة " [(2)]

فهذه الفرق جميعاً اتبعت خطوات الشيطان، ولبَّس عليهم إبليس، واتبعوا ظنه، ودخلت عليهم الشُبه التي ألقاها إليهم...

فالخوارج...اتبعوا خطوات الشيطان وتركوا كثيرًا من منهج الحق، وابتعدوا عن الصواب... فساروا فرقة ثم فرق.

والشيعة...اتبعوا خطوات الشيطان وتركوا الدين كله إلا بعض شعائر تقربوا بها لغير الله– فساروا فرقة ثم فرق.

والمعتزلة...اتبعوا خطوات الشيطان وتركوا الاعتقاد الحق، والمنهج الحق، وضلوا في كثير من أصول الدين وفروعه فساروا فرقة ثم فرق.

والمرجئة، والمعطلة، والمشبّهه، والجبرية، وغيرهم من الفرق وكلها ظهرت من قرب نهاية الرسول ﷺ حتى نهاية حياة شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله– ولم يبق منها إلاّ غبرات.

كما ضحك الشيطان على كثير من الفرق المستحدثة، واتبعوا خطوات الشيطان، فأخذوا من الدين بطرف، وعملوا بجزء، وتركوا بقية الأجزاء.

فالأخوان...أخذوا من الدين كما يأخذ المخيط إذا أُدخل اليم، وتركوا الباقي وضحك عليهم إبليس حتى ملاء فيه بالضحك، وحتى سقط على الأرض منهم، ولبَّس عليهم أن الدين كله في السياسة والوصول إلى سدة الحكم!!

---

(1) أخرجه ابن ماجه..راجع الصحيحة(1492)، عن عوض بن مالك.

(2) أخرجه الأربعة عن أبي هريره وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (1083).

جماعة التبليغ... ضحك عليهم، ودخل عليهم من كل باب، وقال لهم الـشيطان أن الدين في تقصير الثياب، والمسبحة الطويلة، وحمل الأمتعة والخروج إلى الله تعالى لدعوة الناس إليه، والويل كل الويل لمن تعلم التوحيد، فأخذوا جانبا من الدين وغالوا فيـه، وتركوا كل الجوانب... بل حرموا على أنفسهم الاقتراب منها!!

والجهاد...قالوا أن الدين كله ما هو إلاّ الجهاد في سبيل الله تعالى، فتركوا كـل شـئ وتمسكوا بهذه الشعيرة وتركوا بقية الشعائر، ولبّس عليهم إبليس الخروج على الحـاكم وأن ترك الجهاد كفر، واستباحة الأموال والأعراض في بعـض الأحيـان للوصـول إلى السلاح الذي يرد الخارجين عن الدين إلى حظيرة الإسلام...!!!

والتكفير والهجرة...جماعة نـشأة تحـت وطئـت الظلـم، ولـبّس علـيهم إبلـيس أن الحكومات كافرة، وأن أموالهم مستباحة، ودمـائهم، فخرجـوا مـن الـسجن ليكفـروا المجتمع والحكومة...وكان تلبس إبليس عليهم شديد...!!

الصوفية...لم يجد إبليس جماعة باض فيهم وفرخ مـن هـذه الجماعـة، فأعـادهم إلى عبادة الأوثان من جديد، وغالوا في الشيوخ، الأموات منهم والأحياء، وضربوا حولهم الهالات والأوهام والكرمات المصطنعة التي لم تكن لأصحاب النبي ﷺ ، بـل لم تقـع للنبي ﷺ نفسه...!!

ومن شدة تلبيس إبليس عليهم فرّقهم إلى عشرات الفرق، وكل فرقـة عـلى طريقـة ومنهج...واتبعوا خطوات الشيطان وخلعوا عباءة الإسلام، ولبـسوا عبـاءات مختلفـة ليس للدين فيها نصيب، وكانت خطوات الشيطان فيهم سريعة، وكانت واسعة جـدا إلى درجة أنهم أصبحوا يعبدون غير الله تعالى...فلم يجد الشيطان أي تعـب وجهـد في إخراجهم من الدين... وما بقى معهم من الدين. هوامش، المخلوطه بالجهل، المعجونة بالشرك...!!

وجماعة التوقف والتبين، وجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أخر هذه الجماعات التي أخذت من الدين بسهم وتركت كل الأسهم، هؤلاء جميعا ضـحك عليهم إبليس، واتبعوا خطواتـه، وخرجـوا معـه مـن الـدين كلـه...إلى بعـضه أو جزءه...

ولقد نادى الله تعالى هؤلاء جميعا بنداء الإيمان بأن يدخلوا في الدين كله، وأن يعملوا بشرائع الدين كله فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة:208]

وقال في حق من اتبع الشيطان وظنه:

﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سبأ:20]

فنداء لكل الفرق، ولكل الجماعات، بأن يدخلوا في الإسلام كافة، وأن يعملوا بشرائع الدين كلها، كما نوجه هذا النداء إلى الحكومات بأن يُحَكّموا الدين، ويطبقوا شرائع الدين في الأحكام والسياسات والأعراف، ولا يغتروا بمن يقول لهم : **"أنتم تطبقون خمسة وتسعين بالمائة من الأحكام"!!!!!!!!**

وأعلم أيها المسلم أن الشيطان يستخدم أتباعه، ويدخل لهم من مدخلين:

الأول: الشهوات، فسدَّ الله عليه المدخل بالآية الأولى.

الثاني: الشبهات، وقد سدَّ الله عليه هذا المدخل بالآية الثانية.

ولقد صرح الله تعالى لمن اتبع خطوات الشيطان النتيجة التي سوف يصل إليها باتباع خطواته فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ [النور:21]

فالله تعالى لم ينهي أهل الشرك والكفر وغيرهما عن إتباع الخطوات الشيطانية وذلك لأنهم شياطين، وأن مراد الشيطان فيهم تحقق، فلا حاجة فيهم، ولا مأرب للشيطان بعد أن أوصلهم لغايته...وإنما نادى أهل الإيمان...ثم بيّن أن مراد الشيطان أن يأمرهم ولا يأمرهم إلاّ بعد أن يستعبدهم، فعند إذ يأمرهم فيطيعون وينقادون. له..وبما يأمرهم...بالسوء والفحشاء...

فاحذورا عباد الله خطوات الشيطان، والله تعالى لم يقل لكم لاتتبعوا الشيطان، لأن الشيطان لم يأمر أحداً بعبادته، ولكن يأمرة باتباع الخطا، والاقتراب من الفواحش ولا يأمر بها...

(3)
وعـــد الشيطان

قال تعـالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة:268]

وقال تعالى: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء:120]

وقال تعالى: ﴿وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء:64]

وقـال تعـالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾ [إبراهيم:22]

قال القرطبي في تفسير الآية الأولى من سورة البقرة (2/281): **(يعـدكم)** معنـاه: يخوفكم. **(الفقر)** أي: بالفقر لئلا تنفقوا، فهذه الآية متصلة بما قبُـل، وأن الـشيطان لـه مدخل في التثبيط للإنسان عن الإنفاق في سبيل الله، وهو مع ذلك يأمر بالفحشاء وهي المعاصي والإنفاق فيها.

وقيل: أي بألا تتصدقوا فتعصوا وتتقاطعوا.

وقولـه ﴿بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ الوعـد في كـلام العـرب إذا أطلق فهو في الخير وإذا قيد بالموعود ما هو فقد يُقدَّر بـالخير وبالـشرِّ كالبـشارة، فهـذه الآية مما يقيد فيها الوعد بالمعنيين جميعاً.

قال ابن عباس- رضي الله عنهما - في هذه الآية اثنتان من الله تعالى واثنتان من الشيطان.

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ "إن للشيطان لَمّـةً بـابن آدم، وللملك لَمّة، فأما لَمّة الشيطان فايعاد بالشر والتكذيب بالحق وأما لَمّة الملك فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فليعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾قال: رواه الترمـذي وقال: حديث حسن صحيح وهذا الحديث سيأتي قريبا ومعه تخريجه.

قال القضاعي في **"نظم الدرر"** (1/ 522).

ولما رغب سبحانه وتعالى في الإنفاق وختم آياته بما يقتضي الوعد من أصدق القائلين بالغنى والإثابة في الدارين أتبعه بها للعدو الكاذب من ضد ذلك فقال محذرا من البخل – في جوا ب من كأنه قال: هذا ما لا يشك فيه فما للنفوس لا توجد غالبا إلا شحيحة بالإنفاق:- (**الشيطان**) أي الذي اسمه أسوأ الأسماء، فإنه يقتضي الهلاك والبعد، وأحد الوصفين كاف في مجابهته فكيف إذا اجتمعا (**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ**) المانع من الإنفاق. قال الحرَّالي: الذي لخوفه تقاطع أهل الدنيا وتدابروا وحرصوا وادخروا وكل ذلك لا يزيل الفقر، كل حريص فقير ولو ملك الدنيا وكل مقتنع غني، ومن حق من كان عبدا لغني أن يتحقق أنه غني يغني سيده، ففي خوف الفقر أباق العبد عن ربه؛ والفقر فقد ما إليه الحاجة في وقت من قيام المرء في ظاهره وباطنه – انتهى. (**وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ**) المبطلة له من المن والأذى وغيرهما من مستلذات الأنفس وربما كان فيها إتلاف الأموال وإذهاب الأرواح. وقال الحرالي: وكل ما اجتمعت عليه استقباحات العقل والشرع والطبع فهو فحشاء، وأعظم مراد بها هنا البخل الذي هو أدوأ داء، لمناسبة ذكر الفقر، وعليه ينبني شر الدنيا والآخرة ويلازمه الحرص ويتابعه الحسد ويتلاحق به الشر كله انتهي وفيه تصرف.

ولما ذكر ما للعدو من الشر أتبعه سبحانه وتعالى بما له من الخير فقال مصرحا بما تقدم التلويح به: (**والله**) أي الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى الرحيم الودود (**يعدكم مغفرة منه**) لما وقع منكم من تقصير، وفيه إشعار بأنه لا يقدر أحد أن يُقدّر الله حقَّ قَدْره لما له من الإحاطة بصفات الكمال ولما جبل عليه الإنسان من النقص (**وفضلاً**) بالزيادة في الدارين، وكل نعمة من فضل؛ ثم أكد ذلك بقوله: (**والله**) أي المحيط بكل كمال (**واسع**) لتضمنه معنى حليم غني، وأتبعه بقوله: (**عليم**) إشارة إلى أنه لا يضيع شيئا وإن دقَّ. قال الحرالي: وفي إشعاره توهين لكيد الشيطان ووعد كريم للمفتون بخوف الفقر وعمل الفحشاء لما علمه من ضعف الأنفس وسرعة قبولها من الوسواس- انتهى. فختم آخر آيات الأمثال بما ختم به أولها ترغيبا وترهيبا.

وقال النيسابوري في " غرائب القرآن ورغائب الفرقان" (2/ 602– 603)، ثم إن الله تعالى لما رغَّب في أجود ما يملكه الإنسان أن ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال (**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ**) أما الشيطان فيشمل إبليس وجنوده، وشياطين الإنس والنفس الأمارة بالسوء.

والوعد يستعمل في الخير والشر. قال تعالى: (**النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**) وأصل الفقر في اللغة: كسر الفقار وقرئ (**الفُقُر**) بضمتين، و(**الفَقَر**) بفتحتين.

(**وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ**) يغريكم على البخل، ومنع الصدقات: إغراء الآمر للمأمور.

والفاحش عند العرب: البخيل. والتحقيق أن لكل خلق طرفين ووسطاً فالطرف الكامل للإنفاق: هو أن يبذلك كل ماله في سبيل الله، والطرف الأفحش: أن لا ينفق شيئا لا الجيد ولا الردئ والوسط: أن يبخل بالجيد وينفق الردئ فالشيطان إذا أراد نقله من الأفضل إلى الأفحش، فمن خَفيٍّ حيلته أن يجرّهُ إلى الوسط وهو وعده بالفقر. ثم إلى الطرف، وهو أمره بالفحشاء. وذلك أن البخل صفة مذمومة عند كل أحدٍ، فلا يمكنه أن يجره ابتداء إليها إلا بتقديم مقدمة في التخويف بالفقر إذا أنفق الجيد من ماله، فإذا أطاعه زاد فيمنعه من الإنفاق بالكلية، وربما تدرج إلى أن يمنع الحقوق الواجبة، فلا يؤدي الزكاة، ولا يصل الرحم، ولا يرد الوديعة، فإذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه، ويتسع الخرق فَيقْدم على المعاصي كلها.

ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان أردفها بذكر إلهامات الرحمن فقال (**والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً**) فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة، والفضل إشارة إلى ما يحصل في الدنيا من الخلف.

عن النبي ﷺ : "**إن الملك يُنادي كُل ليلةٍ: اللَّهُمَّ أعط مُنفقاً خَلفًا وممسكاً تلفا**" (1) فالشيطان يعدكم الفقر في غد الدنيا، والرحمن يعدكم المغفرة في غد العقبى، ووعد الرحمن بالقبول أولى، لأن الوصول إلى غد الدنيا مشكوك فيه؛ وغد العقبى مقطوع به.

(1) أخرجه أحمد (3/ 306) والبخاري (زكاة) (37).

وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بآفة أخرى،وعند وجدان العقبى لا بد من حصول المغفرة، فإن الله تعالى لا يخلف الميعاد.

ولو رفض بقاء المال، فقد لا تمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف أو مرض أو مهّم، بخلاف الانتفاع بها في الآخرة فإنه لا مانع منه.

وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال، فإن ذلك ينقطع ويزول ، بخلاف الموعود في الآخرة فإنه باق لا يزول.

وأيضاً لذَّات الدنيا مشوبة بالآلام والمضار البتة، فلا لذة إلا وفيها ألم من وجوه كثيرة، بخلاف لذات الآخرة فإنه لا نغص فيها ولا نقص.

المراد بالمغفرة:

والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب؛ والتنكير فيه للدلالة على الكمال والتعظيم، لاسيما وقد قرن به لفظه منه، فإن غاية كرمه ونهاية جوده مما يعجز عن إدراكها عقول الخلائق.

وقال العلامة اللألوسي في "روح المعاني" (54/3).

(**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ**) استئناف لبيان سبب تيمم الخبيث في الإنفاق وتوهين شأنه والوعد في أصل وضعه لغة شائع في الخير والشر، وأما في الاستعمال الشائع فالوعد في الخير والإيعاد في الشر حتى يحملوا خلافه على المجاز والتهكم، وقد استعمل هنا في الشر نظراً إلى الوضع، لأن الفقر مما يراه الإنسان شراً، ولهذا يخوف الشيطان به المتصدقين فيقول لهم: لا تنفقوا الجيد من أموالكم وإن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا، وتسمية ذلك وعدا مع أنه اعتبر فيه الإخبار بما سيكون من جهة المخبر، والشيطان لم يضف مجئ الفقد إلى جهته للإيذان بمبالغة اللعين في الإخبار بتحقيق مجيئه، كأنه نزله في تقرر الوقوع منزله أفعال الواقعة حسب إرادته، أو لو قوعه في مقابلة وعده تعالى على طريق المشاكلة، ومن الناس من زعم أن استعمال الوعد هنا في الخير حسب الاستعمال الشائع، والمراد أن ما يخوفكم به هو وعد الخير، لأن الفقر للإنفاق أجل خير، ولا يخفى أنه بمراحل عن مذاق التنزيل، وقرئ – الفقر – بالضم والسكون وبفتحتين وضمتين، وكلها لغات الفقر، وأصله كسر فقار الظهر (**ويأمركم بالفحشاء**) أي الخصلة الفحشاء وهي البخل وترك الصدقات والعرب تسمى البخيل فاحشا قال كعب:

أخي يا أخي لا فاحشا عند بيته ولا برم عند اللقاء هيوب

والمراد بالأمر بذلك الإغراء والحث عليه، ففي الكلام استعارة مصرحة تبعية، وقيل: المراد بالفحشاء سائر المعاصي وحملها على الزنا – نعوذ بالله وجوز أن تكون بمعنى الكلمة السيئة فتكون هذه الجملة كالتأكيد للأولى، وقَدَّم وعد الشيطان على أمره لأنه بالوعد يحصل الاطمئنان إليه فإذا اطمأن إليه وخاف الفقر تسلط عليه بالأمر، إذ فيه استعلاء على المأمور (**والله يعدكم**) في الإنفاق على لسان نبيكم ﷺ (**مغفرة**) لذنوبكم ، وعن قتادة لفحشائكم والتنوين فيها للتفخيم وكذلك وصفها بقوله (**منه**) فهو مؤكد لفخامتها وفيه تصريح بما علم ضمنا من الوعد كما علمت مبالغة في توهين أمر الشيطان (**وفضلاً**) أي رزقا وخلفا- وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما – فتكون المغفرة إشارة إلى منافع الآخرة وهذا إشارة إلى منافع الدنيا.

وقال ابن كثير رحمه الله (1/700):

(**الشيطان يعدكم الفقر**) أي: يخوفكم الفقر، لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله.، (**ويأمركم بالفحشاء**) أي: مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمأثم والمحارم ومخلفة الخلاق، قال تعالى (**والله يعدكم مغفرة منه**) أي: مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء.(**وفضلاً**) أي: في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر.

أقول:

لقد أخبرنا الله العليم الخير الذي يعلم ما كان وما سيكون، أن إله الشر يعد أتباعه ومواليه، الفقر الذي يذهب بفقار الظهر، ويخوفهم به، ويجعل من الفقر شبح يخيف به أتباعه والذين يصغون له، ويستمعون إليه.

والعجب أنه لم يخف وعده، ولم يدلس عليهم في أمر الوعد، بل صرح وبجح وقال: أنا أعد أتباعي الفقر، ومع هذا التصريح والتبجيح، اتبعه الناس وتمسكوا به، وزادهم له حُباً، فانساقوا له انسياق الأعمى، وانقادوا له انقياد الزليل. وفوق هذا يأمر بالفحشاء، والفحشاء ملازمة للفقر، حتى لو كان فاعلها أغنى الأغنياء، فإن فعله للفحشاء يُفقره، ويُذله، ويلقي عليه الصغار يخيفه من كل شئ.

أما إلاهنا إله الخير سبحانه، فهو منجز وعده لأنه سبحانه لا يخلف الميعاد، فقال **(والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم)** فلقد وعدنا ربنا وخالقنا ومولانا جلَّت قُدرته مغفرة منه لذنوبنا ومعاصينا وسيئاتنا، ومع هذه المغفرة، فضلاً...لعل الفضل: الجنة، لأنه سبحانه قرن فضله بواسع رحمته وعلمه، ولا يكون الفضل الواسع إلا الجنة، والله أعلم، حتى ولو لم تكن الجنة، فإن فضله مفضي إلى الجنة، ومع هذا الوعد الحق، والخبر الصدق، تقعقع الناس عن هذا الفضل، وانشغلوا عن هذه المغفرة...بماذا؟ انشغلوا بوعد الشيطان مخافة الفقر، فتجد الناس اليوم يهرعون إلى أفران الخبز من ساعات الليل المتأخرة التي تكون فيها المغفرة، وفيها فضل الله يتنزل، وأبواب السماء المفتحة، ونزول الرب سبحانه إلى سماء الدنيا وينادي على عبيده- هل من تائب- هل من مستغفر؟ وهم يتسابقون إلى الأفران مخافة الجوع، ومخافة الفقر، وما وعدهم به الشيطان.

مع أن المحتاج يرفع يده إلى الله الغني سبحانه، لكي يغنيه من فضله، والمستغفر ينتظر وقت السحر ليستغفر، والتأب ينتظر ثلث الليل ليرفع يده إلى الله باكيا ليقبل توبته...وكل محتاج ينتظر وقت هطول الرحمات، ونزول رب البريات، ليغفر السيئات ويقضي الحاجات.

ولقد زدت بصيرة بهذه الآية هذه الأيام، عندما يعمل الرجل العمر الطويل للبحث عن المال وجمعه، أو يسافر إلى بلاد بعيدة لأجل الوصول إلى المال.. ثم تدعوه إلى الصدقة والإنفاق في سبيل الله، فلا يستجيب، وإن استجاب فيكون على استحياء وبالقليل، والقليل جداً، وكل ذلك مخافة الفقر، ثم بعد أيام يصنع عرساً لابنته أو لابنه، فينفق عليه الانفاق الباهظ، ويأتي بالمغنيين والمغنيات، وخلافهم...فهو قد استجاب إذا لأمر الشيطان بعدم الانفاق مخافة الفقر، واستجاب له في فعل الفحشاء... والله المستعان.

وقوله في الآية الثانية ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾

قال القرطبي (3/344)**:** قوله تعالى **(يعدهم)** المعنى: يعدهم أباطيله وترهاته من المال والجاه الرياسة، وأن لا بعث ولا عقاب، ويوهمهم الفقر حتى لا ينفقوا في

الخير.(**ويمنيهم**) كذلك (**وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**) لأي: خديعة. قال ابن عرفة: الغرور: ما رأيت له ظاهراً تُحبه وفيه باطن مكروه أو مجهول، والشيطان غـرور، لأنـه يحمل على محابّ النفس، ووراء ذلك ما يسوء.

وقال ابن كثير: (463/2):

(**يعدهم ويمنيهم**) وهذا إخبار عن الواقع، أن الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بـأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، وقد كذب وافترى في ذلك ولهذا قال: (**ومـا يعـدهم الشيطان إلا غرورا**) كما قال تعالى مخبراً عن إبليس يوم الميعاد (**وقال الشيطان لما قـضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم**)

قلت: إن الشيطان قد أعلن عن نفسه وبين أنه كَذَّاب أشر، وأنه مُخْلِف للوعد، وأن وعده سراب وأمانّيه خراب، وأن وعد الله هو الحق، وأن الله لا يخلف الميعاد، فقال الله تعالى مخبرا عن الشيطان (**إن الله وعدكم وعد الحق**) فهذه شهادة من إبليس وإن كـان الله غني عن هذه الشهادة، لكن عندما تأتي على لسان من له أتباع لأتباعـه، تكـون لهـا واقع على النفس. ثم قال الشيطان وقد أخـبر الله عنـه (**ووعـدتكم فـأخلفتكم**) فلقـد فضحه الله تعالى لنا، وجلى لنا أمره، وهتك سره، وبـين كذبـه، وأظهـر عـواره، وعـلى لسانه، فيقول عن نفسه (**فأخلفتكم**) أَبَعد هذا يتَّبعه عاقل، ويتمسك بضلاله بصير؟!!

وبعد هذا البيان الواضح.. يكون لأحدٍ حجة يتمسك بها للإحتجاج عن غَيَّه أمـام الملك لا يوم الدين في الميعاد الأكبر يوم الميعاد، يوم التناد؟!

(4)
تزيين الشيطان

قال تعالى : ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:43]

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ [الأنعام:137]

وقال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [النحل:63]

وقال تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [النمل:24]

وقال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [العنكبوت:38]

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الحِجر:39]

فهذه المواطن ذكر فيها تزيين الشيطان، إلاَّ موطن واحد لم يقرن بالشيطان، لكن لما كان نتيجة التزيين القتل، وقتل الأولاد والأبناء، ووقع للمشركين في عبادتهم وكفرهم عُلم أنه من تزيين الشيطان لهم.

وقد ذكر الله تعالى "**التزيين**" في القرآن الكريم في ستٍّ وعشرين موضعاً.

1 - في موضع نسب التزين إلى الله تعالى كما في قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحُجُرات:7]

وقال: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ ﴾ [الأنعام:108]

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [النمل:4]

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [المُلك:5]

ومثلها في الصافات وفصلت، والحجر، وق.

ونسب التزيين في مواضع إلى الشيطان كما سبق.

ثم ذُكر التزيين في القرآن ولم ينُسب إلى أحد، لكن سياق الآيات يوحي أنه من فعل الشيطان على الأكثر.

وقد يكون التزيين فطري كما في قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ [آل عمران:14]

وقد يكون التزيين بسبب إنحراف الفطرة وانتكاس الطبيعة البشرية، وسوء الاعتقاد كما قال تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة:212]

وأسوء نوع من هذه الأنواع أن يقع التزيين للعبد ثم يراه هو الحق، وهو الحسن، كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر:8]

قال ابن القيم- رحمه الله:-

"فأضاف التزيين إليه منه – سبحانه – خَلقًا ومشيئة، وحذف فاعله تارة، ونسبه إلى سببه ومن أجراه على يده تارة، وهذا التزيين منه سبحانه حسنٌ، إذ هو إبتلاء واختبار بعبده، ليتميز المطيع منهم والعاصي، والمؤمن من الكافر،... قال: وهو من الشيطان قبيح...وقال: فتزين الرب – تعالى – عدل، وعقوبته حكمة، وتزيين الشيطان إغواء وظلم، وهو السب الخارج عن العبد، والسبب الداخل فيه حُبُّه وبُغضهُ وإغراضه، والرب سبحانه خالق الجميع [1]

قلت: ومن نظر في تزيين الشيطان للعبد يجد أن التزيين أنواع وأكثره في **"العمل"**.

فالآية الأولى: التزيين في العمل جاء بعد قساوة القلب، والقساوة القلبية قد تدفع صاحبها إلى الوقوع في أعمال محرمة، لكن صاحبها يراها من منظار الغلظة القلبية أنها رحمة، وأنها أعمال طبيعية، لأنه يتصرف بدافع القسوة التي حالت بينه وبين الرحمة، والسماحة، والعفو، الرأفة، وجعلت على قلبه غشاوة.

---

(1) شفاء العلل (ص179).

فلا يرى هذا كله إلا ضد طباعه، فيألف مثل هذه الأخلاق، ثـم لا يحـسن غيرهـا، ويراها حسنة.

فالشيطان يزيين له الرحمة قسوة، والعفو ضعف، والإندفاع قوة، فيوقعه في الهلكة.

ومن نظر في الموطن الثاني يجد أنه – أي الشيطان – بعدما أمرهم بالتمسك بالشرك ودين الأباء والأسلاف، وجعلهم يقاتلون عليه ويموتون دونه، أمر بقتـل أولادهـم، ولعل عدم ذكر الشيطان هنا في الآية والله أعلم، أنه أمرهم بالكفر والتمسك بالـشرك وعبادة الأوثان، ثم تركهم لكفرهم، فهو قد أوصلهم إلى ما يريد ورحل، وجعل الكفر يتحكم فيهم ويزين لهم هذا الباطل كن "**متصوف**" فهو يتصرف بهوى هـذا المـذهب، لأن من يقضي هذا المذهب، التوسل بالأموات، والطواف حول الأضرحة، وغير ذلك من الشركيات...

وقس على ذلك جميع المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة.

ومن نظر في الآية الثالثة يجد أن التزيين وقع في مـوطن صـعب، في أرض المعركـة، وأوحى إليهم بالهزيمة، ثم أوقعهم في تزين العمل ثم تركهم... ونقص على عقبيه...

إذاً..الشيطان في أرض المعركة...

ومن نظر في آية سورة النحل يجد أن الشيطان زين للأمم السابقة في عدم اتباع الرسل، كما زين للمشركين في عدم اتباع النبي ﷺ فما فعله مع الذين من قبلنا فعله معنا، فمنهجه لا يتغير ودعوته في العصيان والتمرد لا تنقطع ولا يهدء ولا يرتاح حتى يرى البـشرية كلها مدفوع بها إلى الهاوية... الباطل حقاً، ويقاتلون عليه، ويموتون لأجله.

فالذي تمذهب بأحد المذاهب الباطلة، يرى مذهبه هو الحق وما عداه هـو الباطـل، فلو سألت صوفيا عن صوفيته فسوف يحدثك عنها بكل حرارة واندفاع وغـيرة... إلى حد ترى فيه أنه هو الحق وأنت على غيره،.... وربما لو طال المجلس واحتدت المناقشة لقال لـك: النبـي ﷺ ، وأبـو بكـر وعمـر وعـثمان وعـلى... وجميـع الـصحابة كـانوا متصوفة... ولقد سمعت هذا الكلام ورأيته على شاشة التلفاز من شيعي بغيض يمني تسلل إلى مصر ثم إلى التلفاز حتى أصبح له برنامجا يوميا في بث سمومه...

ولو حاورت ديمقراطيا.. يؤمن بالديمقراطية.. تجد من شدة تعصبه لهذا المذهب الباطل.. وربما قاتل من أجله.. ويعتصم لنشره، والدفاع عنه.. وينادي دوماً على منبر الديمقراطية أن فلانًا مات من أجل الديمقراطية..ويجب أن نعمل صنما له لأنه دافع عنها حتى آخر قطرة من دمه!!!

"ومن قاتل تحت راية عُمّيه يدعو إلى عصبية أو إلى جاهلية فمات فميتته ميتة جاهلية".

وتزيين الشيطان للإنسان لا ينقطع ولن ينقطع لأنه السلاح الذي عاش لأجله، وطلب البقاء لأجل أن يقاتل به، ويدافع عن الباطل تحت رايته فقال تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الحِجر:39].

هذه هي مهنته، ومهمته، تزيين الباطل للناس على أنه الحق، وقلما ينجو من هذا التزيين إلاَّ من عصمه الله تعالى واستخلصه من البشر.

قال ابن القيم في " إغاثة الهفات" (ص130): " ومن مكايده – أي الشيطان – أنه يُسمر العقل دائما حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، وينفره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله كم فتن بهذا السحر من إنسان؟ وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان؟ وكم حَلاّ الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة وشنع الحق وأخرجه في صورة مستحسنة وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة؟

وكم بهرج من الزيوف على الناقدين؟

وكم روج من الزغل على العارفين؟

فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم سبل الضلال كل مسلك وألقاهم من المهالك في مَهْك بعد مَهْلك، وزيّن لهم عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، ووأد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم بالفوز بالجنات، مع الكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه ووضعهم ذلك في قالب

التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:105]

والإعراض عما جاء به الرسول ﷺ في قالب التقليد، والاكتفاء بقوله من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس.

ولما طلب إبليس الإمهال إلى يوم الدين، وأن ، ينذره ربه إلى يوم يبعثون.. أول ما أغوى، أغوى آدم وأقسم له بالغواية أنه لمن الخالدين،فأكل هو وزوجته تحت تأثير الغواية، من الشجرة وعصى آدم ربه فغوى..

ووتتابع في غواية أبناءه وأحفاده... واستولى على كثير من نسله بالغواية..

وما هلك أكثر أهل الأرض إلا بالتزيين.. وما خرجت الفرق عن جماعة أهل السنة إلاَّ بالتزيين، فهو سلاح مدمر، يدمر العقول والقلوب والأعمال، ومؤثر جداَ في بني البشر.

أقوال المفسرين في أيات التزيين

ففي قوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحِجر:39]

وقد جمع إبليس لعنه الله في هذه الآية بين التزيين والغواية.

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله:–

"يقول تعالى مخبراً عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب: (**بما اغويتني**) قال بعضهم: أقسم بإغواء الله له.

قلت : ويحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضللتني(**لأزينن لهم**) أي: لذرية آدم عليه السلام (**في الأرض**) أي: أُحبّب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها، وأؤزهم إليها، وأزعجهم إزعاجا (**ولأغوينهم**) أي: كما أغويتني وقدرت على ذلك) (1) .

وقال القضاعي- رحمه الله :–

(**رب**) أي: ايها الموجود والمربي لي وعزتك (**بما أغويتني**) أي: بسبب إغوائك لي من أجلهم، وللإهتمام بهذا السبب قدَّمه على جواب القسم الدال على المُقسم به. وهو قوله (**لأزينن لهم**) أي: تزييناً عظيماً، المعاصي والمباحات والجارّة إليها الشاغلة عن الطاعة الصارفة عنها (**في الأرض**) أي: التي هي محل الغفلة وهو منها، والشيء إلى ما هو منه أميل، فهي بهذا التقدير مساوية لآية "ص" (**فبعزتك**) والتزيين: جعل الشيء متقبلاً في النفس من جهة الطبع والعقل بحقٍّ أو بباطلٍ (**ولأغوينهم**) أي: بالإضلال عن الطريق الحميدَّ (أجمعين) انتقاماً لنفسي (2)

قال صديق حسن خان – رحمه الله:–

(**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي**) الباء للقسم، و(**ما**) مصدرية، أي: أقسم بإغوائك إيّاي، واختار البيضاوي من "الأعراف" كونها للسببية، ونقل كونها للقسم بصيغة التمريض لأنه وقع

---

(1) نظم الدرر (4/ 223).

(2) أنظر التفسير الكبير (15/ 174) والكشاف (2/ 162) والبحر المحيط (4/ 504) وتفسير أبو السعود (2/ 364) وروح المعاني (10/ 15).

في مكان آخر،قال (**فعزتك**) والقصة واحدة إلا أن أحدهما أقسام بصفة ذاته، والثاني: أقسام بفعله، والفقهاء قالوا: الأقسام بصفات الذات صحيح، واختلفوا في القسم بصفات الأفعال، ومنهم من فَرَّق بينهم، ولأن جعل الإغواء مُقسماً به غير متعارف، قاله الكرخي.

قلت: وأقسامه هنا بإغواء الله له لا ينافي أقسامه في موضع آخر بعزة الله التي هي سلطانه وقهره لأن الإغواء له هو من جملة ما يصدق عليه العزة، وقال أهل العراق: الحَلِف بصفة الذات القدرة والعظمة والعزة يمين، والحَلفِ بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين،قيل: والأصح أن الأيمان مبنية على العُرف، فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينًا وما لا فلا.

وجواب القسم (لأزينن لهم) أي: لذرية آدم وأن لم يجر لهم ذكر للعلم بهم (**في الأرض**) أي: ما داموا في الدنيا والتزيين منه إما بتحسين المعاصي لهم وإيقاعهم فيها، و بشغلهم بزينة الدنيا وحُبّها عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلى غيره (**ولأغوينهم أجمعين**) أي: لأضلنهم عن طريق الهدى وأوقعهم في طريق الغواية وأحملهم عليها بإلقاء الوسوسة في قلوبهم، وذلك أن إبليس لما علم أنه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على إضلال الخلق بالكفر وإغوائهم، وفي الآية حجة على المعتزلة في خلق الأفعال وحملهم على التسبب عدولٌ عن الظاهر" [1] .

أما قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف:16] سيأتي الكلام عنها في "**غواية إبليس**" إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:48]

واختلف جماعة المفسرين في كيفية التزيين هنا على قولين:

الأول: أن التزيين كان بالوسوسة فقط، وهو قول الحسن و الأصم. وبه قال أبو

(1)فتح البيان في مقاصد القرآن (5/ 185- 186).

السعود والألوسي [1].

الثاني: التزيين كان عن طريق مجيئه في صورة سُراقة بن مالك بن جُعشم. وهو قول ابن عباس والسُّدى وعروة بن الزبير، وقتادة، ومحمد بن كعب، وابن جرير والفَرَّاء والبغوى والقرطبي وابن جزي وابن كثيروالشوكاني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين، وهو الحق إن شاء الله فلقد روى ابن جرير (10/ 18) والبيهقي في **"الدلائل"** (3/ 87) عن ابن عباس رضي الله عنهما – أن إبليس تمثل يوم بدر في صورة سُراقة بن مالك"

أقول: إن ظهور إبليس في صورة آدمي جاءت به أحاديث كثيرة، بل هو متواتر النقل عن الصحابة وغيرهم،والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة، انظر في جزء الشيطان في السنة" كما جاء إبليس وظهر في صورة حيوانات وهوام كثيرة، سوف نذكرها إن شاء الله في **" الشيطان في السنة"**.

فالتزيين هو أحد أسلحة إبليس القديمة جدًا،بل ربما كان أوّل الأسلحة على الإطلاق، ولهذا جَرَّبه مع آدم، وفلح في تزيينه، وما نزل آدم عليه السلام من الجنة إلا بسبب التزيين، فهو أول شئ استخدمه إبليس اللعين مع آدم عليه السلام، لذلك استخدمه مع ذريته.

وما ضلت البشرية وما تاهت وضاعت وبعدت عن الحقّ إلاّ بالتزيين، فلقد زين لهم الباطل، وزين لهم حب المعصية وقربها إليهم على أنها مُتعة الحياة، وأن الآخرة غير مضمونة الحصول، وهكذا.... خرّج البشرية وزجّها إلى النار وذلك بالتزيين... وبعد ما وصلت البشرية إلى الهاوية.... وقف ليخطب فيهم خطبته الشهيرة.

(1) تفسير ابن كثير (4/ 542).

(5)
إيقاع غوايـــة الشيطــان

قال تعالى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف:16]

وقال تعالى ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:82]

والغواية جاء معناها على هذا النحو:

غوى: الغيُّ: الضَّلالُ والخيبة. غَوى، بالفتح، غيّاً وغَوِيَ غَوايةً الأخيرة عن أبي عبيد: ضَلّ ورجلٌ غَاوٍ وغوٍ وغَوِيٌ وغَيَّان.

ضالٌ و أغواه هو، وأنشد للمقرشي:

فَمنْ يَلْقَ خيراً يَحْمِد الناس أمْرَهُ
ومَنْ يَغو لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما

وقال دريد بن الصَّمَة:

وهل أنا إلاَّ من غَزِيّه إن غَوتْ
غَويتُ، وإن تَرشُدْ غزَّية أرشُدِ؟

والغُّي جاء بمعنى آخر وهو: الفساد

قال ابن الأعرابي: الغيُّ الفساد.

قال ابن بري: غَوٍ هو اسم الفاعل من غَوِيَ لا من غَوِيٌّ وكذلك غوى، ونظيره: رَشَدَ فهو راشدٌ ورشيد فهو رشيدٌ وفي حديث **"من يُطع الله ورسوله فقد رشَد ومن يعصيهما فقد غوى"**[(1)]

وفي حديث الإسراء **"لو أخذت الخمر غَوَتْ أُمتُكَ"**[(2)] أي ضَلَّت، وفي الحديث **"سيكون عليكم أئمة إن أطعتموهم غويتم"** [(3)] أي إن أطاعوهم فيما يأمرونهم به من

(1) صحيح – وقد خرجته في **"فتح المجيد"**.
(2) متفق عليه– وخرجته في النهاية في الفتن.
(3) متفق عليه– وخرجته في النهاية في الفتن.

الظلم والمعاصي غووا: أي ضلوا. وفي حديث موسى وآدم عليهما السلام **"أغويت الناس"** [(1)] أي خيبتهم: يقال: غوى الرجل خاب وأغوه غيره.

أي فسد عليه عيشه.

والغَوَّةُ والغيَّةُ واحد.

قلت: وهذا هو المعنى الرابع.

المعنى الخامس: ترك النَّهى.

قال في "اللسان": وقيل: غَوَى أي: ترك النَّهى وأكل من الشجرة، فعوقب بأن أُخرج من الجنة.

وقال الليث: مصدر غوى الغَيُّ. قال: والغوايةُ الأنهاكُ في الغيِّ.

ويقال: أغواه الله إذ أضلّهّ.

وقال تعالى: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ [الصافات:32] وقال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:16] قيل: فيه قولان، قال بعضهم: فبما أضللتني. وقال بعضهم: فبما دعوتني إلى شيء غويتُ به، أي: غويت من أجل آدم، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: على صراطك.

والغاوون الشياطين. قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء:224] وقيل: الغاوون من الناس.

قال الزّجاج: والمعنى: أن الشاعر إذا هجا بما لا يجوزُ هَوِيَ ذلك قومٌ وأحبُّوه فهم الغاوون. وكذلك إن مدح ممدوحاً بما ليس فيه، وأحبَّ ذلك قومٌ وتابعوه فهم الغاوون.

وأرض مَغْواهٌ: مَضَلة. والأغويَّةُ: الهلكة.

والتغاوي: التعاون على الباطل [(2)].

قلت: من تدبر آيات **"الغواية"** يجد أنها **تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

(1) خرجته بطرقه في "قصص الأنبياء".

(2) اللسان – مادة (غوى).

الأول: غواية منسوبة إلى الله جل جلاله كما في قوله تعالى على لسان إبليس اللعين ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر:39]

وقال ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف:16] . وقال تعالى ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [هود:34]

قال القرطبي في تفسيره (152/4) **في تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾

وقال تعالى: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الإغواء إيقاع الغيّ في القلب، أي: فبما أوقعت في قلبي من الغيّ والعناد والاستكبار. وهذا لأن كفر إبليس ليس كفر جهل، بل هو كفر عناد واستكبار... **ثم قال:**

"مذهب أهل السُّنة أن الله تعالى أضلّه وخلق فيه الكفر ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى وهو الحقيقة، فلا شئ في الوجود إلاّ وهو مخلوق له، صادر عن إرادته تعالى، وخالف الإمامية والقدرية وغيرهم شيخهم إبليس الذي طاوعوه في كل ما زيّنه لهم، ولم يطاوعوه في هذه المسألة ويقولون: أخطأ إبليس وهو أهُل للخطأ حيث نسب الغواية إلى ريه تعالى الله عن ذلك، فيقال لهم: وإبليس وإن كان أهلاً للخطأ فما تصنعون في بنيِّ آدم مكرم معصوم وهو نوح عليه السلام حيث قال لقومه ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود:34] – وقد روى أن طاوساً جاءه رجلٌ في المسجد الحرام، وكان متهما بالقدر، وكان من الفقهاء الكبار فجلس إليه فقال له طاوس: تقوم أو تقام؟

فقيل لطاوس: تقول هذا لرجل فقيه؟! فقال: إبليس أفقه منه، يقول إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ ويقول هذا: أنا أُغوى نفسي". **وقال القرطبي أيضاً** (29/5):

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾ أي: لأنكم لا تقبلون نصحاً ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ﴾ أي: يضلكم، وهذا مما يدل على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية ومن وافقهما إذ زعموا أن الله تعالى لا يريد أن يعص العاصى، ولا يكفر الكافر، ولا يغوي الغاوي، وأن يفعل ذلك والله لا يريد ذلك، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ﴾

وقد كَذَّبوا شيخهم اللَّعين أبليس على ما بينّاه في " **الأعراف**" في إغـواء الله تعـالى إيـاه حيث قال ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ ولا محـيص لهـم عـن قـول نـوح عليه السلام: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ فأضاف إغواءهم إلى الله سبحانه وتعالى إذ هو الهادي والمضل، سبحانه عـما يقول الجاحدون والظالمون علواً كبيراً. وقيل (**يغويكم**) يهلككم بعذابه.

الثاني: نسبة الغواية إلى الشيطان:

قـال تعـالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[ص:82]، وقـال تعـالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[الحِجر:39]

قال القرطبي رحمه الله – (390/5).

قال تعـالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾[الحِجر:42] قـال العلـماء يعنـي: قلوبهم. وقال ابن عيينة: أي في أن يلقيهم في ذنـب يمـنعهم عفـوى ويـضيقه علـيهم، وهؤلاء الذين هداهم الله واجتباهم واختارهم واصطفاهم.

قلت: لعل قائلاً يقول: قد أخـبر الله عـن صـفة آدم وحـواء علـيهما الـسلام بقولـه ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾[البقرة:36] وعن جملة من أصحاب نبيـه بقولـه: ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾[آل عمران:155] فالجواب ما ذكر روهو ليس له سـلطان على قلوبهم، ولا موضع إيمانهم، ولا يلقيهم في ذنب يؤول إلى عدم القبول، بـل تزيلـه التوبة وتمحوه الأوبة، ولم يكن خروج آدم عقوبة لما تنـاول. ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ يحتمل أن يكون خاصاً فيمن حفظه الله، ويحتمل أن يكون في أكثر الأوقات والأحوال، وقد يكون في تَسلُّطه تفريج كربه وإزالة غُمّة، كما فعل ببلال، إذ أتاه يهديـه كـما يهـدي الصبي حتى نام،ونام النبي ﷺ وأصحابه فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس، وفزعوا وقالوا: ما كفارة صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؛ فقال النبي ﷺ "**ليس في النوم تفريط**" ففرج عنهم[1] ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ أي: الضالين المشركين. أي سلطانه على هـؤلاء، دليله ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾[النحل:100] .

(1) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الغائبة (1/ 473) وأبو داوود والترمذي والنـسائي وابن ماجه وأحمد.

قال البقاعي – رحمه الله – (223/4):

" (**إن عبادي**) أي عامة (**ليس لك**) أي بوجه من الوجوه (**عليهم سلطان**) أي لتردهم كلهم عما يرضيني (**إلا من اتبعك**) أي بتعمد منه ورغبة في اتباعك (**من الغاوين**) ومات عن غير توبة: فإني جعلت لك عليهم سلطاناً بالتزيين والإغواء"

وقال تعالى ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[الأعراف:175]. فقد يبيّن رب العزة جل جلاله في هذه الآية أن الغواية كل الغواية في متابعة الشيطان، والضلال كل الضلالة في متابعة هذا اللعين.

فمن أراد الغواية والإضلال فليتبع أثار إبليس، وليسير على خطاه، ويقتدي به، ويسمع له ويطع!!

ولهذا أخبر عن آدم فقال تعالى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[طه:121] قال القاسمي – رحمه الله: (7/ 160)

"**عصى آدم بارتكاب النهي، وترك العزم في حفظ العهد (فغوى) أي: عن المأمور به. حيث اعتز بقول العدو**"

قال العلامة الشنقيطي – رحمه الله – (375/4) :–

والمعصية خلاف الطاعة. فقوله (**وعصى آدم ربه**) أي لم يطعه في اجتناب ما نهاه عنه من قربان تلك الشجرة. وقوله (**فغوى**) الغي: الضلال وهو الذهاب عن طريق الصواب، فمعنى الآية: لم يطع آدم ربه فأخطأ طريق الصواب بسبب عدم الطاعة، وهذا العصيان والغي، بين الله جل في علاه – في غير موضع من كتاب أن المراد به أن الله أباح له أن يأكل هو وأمرته من الجنة رغداً حيث شاءا، ونهاهما أن يقربا شجرة معينة من شجرها؛ فلم يزل الشيطان يوسوس لهما ويحلف لهما بالله إنه لهما ناصح، وإنهما إن أكلا منها نالا الخلود والملك الذي لا يبلى، فخدعهما بذلك كما نص الله على تلك في قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[الأعراف:21،22] فأكلا منها، وكان بعض أهل العلم يقول: من خادعنا بالله خدعنا؛ وهو مروي عن عمر وفي حديث أبي هريرة عند أبي داود والترمذي والحاكم: "**المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم**" [1].

(1) حسن/ أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم، راجع الصحيحة (935).

وأنشد لذلك نفطويه :-

إن الكريـم إذا تشاء خدعته وترى اللئيم مجرباً لا يخدع

فآدم ما صدرت منه الزلة إلا بسبب غرور إبليس له. وقد قدمنا قـول بعـض أهـل العلم: إن آدم من شدة تعظيمه لله أعتقد أنه لا يمكن أن يحلف به أحـد وهـو كـاذب، فأنساه حلف إبليس بالله العهد بالنهي الأكل من الشجرة. وقوله بعض أهل العلم: إن معنى قوله: غوي أي فسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا.

قـالوا: والغـي: الفساد، خلاف الظاهر وإن حكاه النقاش واختاره القشيري وكذلك قول من قال: (**فَغَوَى**) أي بَشَمَ من كثرة الأكل. والبشم: التخمـة، فهـو قـول باطـل. وقال فيه الزمخشري "**الكشاف**": وهذا وإن صحَّ على لغة من يقلب الياء المكسورة مـا قبلها ألفا فيقول في فني وبقى، فنا وبقا، وهم بنو طيء تفسير خبيث". وما أشـار إليـه الزمخشري من لغة طيء معروف؛ فهم يقولـون للجاريـة: جـاراة، وللناصـية ناصـاة، ويقولون في بقي: بقى، كرمى. ومن هذه اللغة قول الشاعر:

لعمرك لا أخشى التصعلك ما بقى على الأرض قيسي يسوق الأباعرا

وهذه اللغة التي ذكرها الزمخشري لا حاجة لهـا في التفسير الباطـل المـذكور، لأن العرب تقول غوى الفصيل كرضى وكرمى: إذا بشم من اللبن.

وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه:121] يدل على أن معنى"**غـوى**" ضل عن طريق الصواب كما ذكرنا. وقد قدمنا أن هذه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن هي حجة من قال بأن الأنبياء غير معصومين من الصغائر. وعصمة الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- مبحث أصولي لعلماء الأصول فيه كلام كثير واختلاف معـروف، وسنذكر هنا طرفا من كلام أهل الأصول في ذلك، قـال ابـن الحاجـب في مختـصره في الأصول:

مسألة:

الأكثر على أنه لا يمتنع عقلاً على الأنبياء معـصية، وخـالف الـروافض، وخـالف المعتزلة إلا في الصغائر؛ ومعتمدهم التقبيح العقلي. والإجماع على عصمتهم بعد الرسالة من تعمد الكذب في الأحكام؛ لدلالة المعجزة عـلى الـصدق. وجَـوَّزه القـاضي غلطًـا

وقال: دلت على الصدق اعتقاداً. وأما غيره من المعاصي فالإجماع على عصمتهم من الكبائر والصغائر الخسيسة. والأكثر على جواز غيرهما.

وحاصل كلامه: عصمتهم من الكبائر، ومن الصغائر.

وقال العلامة العلوي الشنقيطي في (**نشر البنود شرح مراقي السعود**) في الكلام على قوله:

والأنبياء عصموا. مما نهوا عنه ولم يكن لهم تفكه

بجائز بل ذاك للتشريع أو نية الزلفي من الرفيع

ما نصه: فقد أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب عصمتهم من تعتمد الكذب فيما دل المعجز القاطع على صدقهم فيه؛ كدعوى الرسالة، وما يبلغونه عن الله تعالى الخلائق. وصدور الكذب عنهم فيما ذكر سهواً أو نسياناً منعه الأكثرون وما سوى الكذب في التبليغ، فإن كان كفراً فقد أجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها، وإن كان غيره فالجمهور على عصمتهم من الكبائر عمداً. ومخالف الجمهور الحشوية.

واختلف أهل الحق: هل المانع لوقوع الكبائر منهم عمداً العقل أو السمع؟ وأما المعتزلة فالعقل، لكنها لا تقع منهم، غير صغائر الخسة فلا يجوز وقوعها منهم لا عمدا ولا سهواً" وحاصل كلامه: عصمتهم من الكذب فيما يبلغونه عن الله ومن الكفر والكبائر وصغائر الخسة، وأن الجمهور على جواز وقوع الصغائر الأخرى منهم عقلا؛ غير أن ذلك لم يقع فعلاً.

وقال أبو حَيَّان في **"البحر"** في سورة **"البقرة"**: وفي **"المنتخب"** للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي ما ملخصه: منعت الأمة وقوع الكفر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا الفضيلية من الخوارج قالوا: وقد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر. وأجاز الإمامية إظهار الكفر منهم على سبيل التقية. واجتمعت الأمة على عصمتهم من الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ، فلا يجوز عمداً ولا سهواً. ومن الناس من جَوَّز ذلك سهواً. وأجمعوا على امتناع خطئهم في الفتيا عمداً. واختلفوا في السهو، وأما أفعالهم فقالت الحشوية: يجوز وقوع الكبائر منهم على جهة العمد. وقال

أكثر. المعتزلة بجواز الصغائر عمداً إلاَّ في القول كالكذب. وقال الجُبَّائي: يمتنعان عليهم إلاَّ على جهة التأويل؟ وقيل: يمتنعان عليهم إلاَّ على جهة السهو والخطأ، وهم مأخوذون بذلك وإن كان موضوعا عن أمتهم. وقالت الرافضة: يمتنع ذلك على كل جهة.

واختلف في وقت العصمة؛ فقالت الرافضة: من وقت مولدهم. وقال كثير من المتعزلة: من وقت النبوة. والمختار عندنا أنه لم يصدر عنهم ذنب حالة النبوة البتة لا الكبيرة ولا الصغيره؛ لأنهم لو صدر عنهم الذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة لعظيم شرفهم وذلك محال، لئلا يكونوا غير مقبولي الشهادة، ولئلا يجب زجرهم وإيذاؤهم، ولئلا يقتدي بهم في ذلك، ولئلا يكونوا مستحقين للعقاب، ولئلا يفعلوا ضد ما أمروا به لأنهم مصطفون، ولأن إبليس استثناهم في الإغواء، انتهى ما لخصناه من (**المنتخب**)، والقول في الدلائل لهذه المذاهب. وفي إبطال ما ينبغي إبطاله منها مذكور في كتب أصول الدين، انتهى كلام أبي حيان.

وحاصل كلام الأصوليين في هذه المسألة: عصتهم من الكفر، وفي كل ما يتعلق بالتبليغ، ومن الكبائر وصغائر الخسة كسرقة لقمة وتطفيف حبة. وأن أكثر أهل الأصول على جواز وقوع الصغائرغير صغائر الخسة منهم. ولكن جماعة كثيرة من متأخري الأصوليين اختاروا أن ذلك وإن جاز عقلاً لم يقع فعلاً، وقالوا: إنما جاء في الكتاب ولاسنة من ذلك أن ما فعلوه بتأويل أو نسياناً أو سهواً، أو نحو ذلك.

قال مُقّيده – عفا الله عنه وغفر له:- الذي يظهر لنا أنه الصواب في هذه المسألة، أن الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم- لم يقع منهم ما يزري بمراتبهم العلية، ومناصبهم السامية. ولا يستوجب خطأ منهم ولا نقصاً فيهم – صلوات الله وسلامه عليهم- ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب لأنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة، والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات، فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك، ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:121،122] ؛ فانظر أي

أثر يبقى للعصيان والغي بعد توبة الله عليه، واجتبائه أي اصطفائه إياه، وهدايته له، ولا شك أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة، والعلم عند الله تعالى.

قلت: هذه هو الموضع الأول، أما الموضع الثاني الذي ورد فيه لفظة **"غوى"** في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:1،2] والمعنى هنا ليس كالمعنى هناك.

فقال الحافظ ابن كثير رحمه الله – (447/7): ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا هو المُقْسم عليه، وهو الشاهدة للرسول – صلوات الله وسلامه عليه- بأنه بار راشد تابع للحق، ليس بضال وهو: الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قصدًا إلى غيره، فنزه الله سبحانه وتعالى رسوله وشَرْعهُ عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود وهي علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[النجم:3] أي: ما يقول قولا عن هوى وغرض .

قلت وقد مضي تفسير قوله وتعالى ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾[الشعراء:224] أما قوله تعالى مبيناَ جزاء الغاوين ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:91] وقد وردت **(الغاوين)** في أربعة مواضع هذا موضع والثاني في **"الأعراف"** آية(175) و**"الحجر"** آية (42) و**"الصافات"**رقم (32) .

أما الموضع الثاني والثالث فقد سبق الكلام عليهما ، أما الأول: وهو قوله ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ .

قال القرطبي .رحمه الله. (108/7):**"أي أظهرت يعني جهنم (للغاوين) أي الكافرين الذين ضلوا عن الهوى ،أي تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن ، كما يستشعر أهل الجنة الفرح لعلمهم أنهم يدخلون الجنة ".**

قال ابن كثير –رحمه الله-(161/6) .

﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ **أي**: أظهرت وكشف عنها ، وبدت منها عنق ، فزفرت زفرة بلغت منها القلوب إلى الحناجر ،وقيل لأهلها تقريعاً وتوبيخا : ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشعراء:92،93] أي: ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله ،من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئًا ولا تدفع عن أنفسها ، فإنكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون"

أما الموضع الأخر ففي قوله تعالى ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾ [الصافات:32].

قال الحافظ أبن كثير(10/7):-

" يقول الكبراء للمستضعفين : حقت علينا كلمة الله : انا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القامة (فَأَغْوَيْنَاكُمْ) أي : دعوناكم الى الضلالة .(إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) أي :دعوناكم إلى ما نحن منه. فاستجبتم لنا ،قال الله تبارك وتعالى ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الصافات:33] أي الجميع في النار ".

أقول : أما بقية آيات الغواية ، فقد جاءت بلفظ " **الغاوون** " في موضعين الأول في قوله تعالي ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾

وقد سبق بيانه، والثاني في نفس السورة برقم 94 وهو قوله ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ .

قال القرطبي (108/7) :

"(فَكُبْكِبُوا فِيهَا) **أي :** قُلبوا على رؤوسهم .وقيل: دُهُوروا وألقى بعضهم على بعض . وقيل : جمعوا . مأخوذ من الكبكبة وهي الجماعة ، قاله الهروى . وقال النحاس : وهو مشتق من كوكب الشئ أي معظمة ، والجماعة من الخيل كوكب وكبكبة .قال أبن عباس : جمعوا فطرحوا في النار . وقال مجاهد :دهوروا . وقال وقائل : قذفوا . والمعنى واحد .فقول : دهورت الشئ إذا جمعته ثم قذفته في مَهْوَاة) وقوله (**الغاوون**) الآلهة. وقال قتادة والكلبي ومقاتل : (**الغاوون**) هم الشياطين "

قلت : أما بقيت آيات الغواية فجات في أية واحدة بثلاثة ألفاظ ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ [القصص:63] .

قال القرطبي (269/7):

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ [القصص:63] وهم الرؤساء ، وقيل : الشياطين .

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ ﴾ أي دعوناهم إلى الغي ، فقيل لهم: أغويتموهم ؟

قالوا ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ ﴾ يعنون أأضللناك كما كنا ضالين ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ ﴾ أي تبرأ بعضنا من بعض ، والشياطين يتبرءون ممن أطاعهم ، والرؤساء يتبرءون ممن قبل منهم .كما قال تعالى ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[الزُّخرُف:67] "

أقول : هؤلاء أئمة الكفر تبرؤا ممن اتبعوهم وقلدوهم على كفرهم وأغووهم بالكفر والشرك والمعصية ....فنقول لعُبّاد القبور ، والطوّفين حول الأضرحة ، والمتمسحين بها والذين يدعون الموتى ويسألنها الضر والنفع .... إن الذين دعاكم وزين لكم هذا الكفر أول من يتبرأ منكم يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾[البقرة:166] وقال تعالى ﴿ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا (٨١) كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾[مريم:81،82] والآيات كثيرة في أن الرؤساء والزعماء الذين أضلوا شعوبهم ، والذين دعوا أقوامهم لعبادة غير الله ، أو زينوا لهم المعاصي ، وحببوا إليهم الفسوق والعصيان ، سوف تبرءون من أتباعهم وأقوامهم ومريديهم يوم القيامة كما نقول للشعوب البأسة المقلدة الحائرة الذين ساروا في ركاب رؤسائهم وكبرائهم سوف يتبرؤون منكم يوم القيامة ، وساعتها تقولو﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[البقرة:256] ﴿لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[البقرة:167]

أقول بقي من ألفاظ الغواية في القرآن : الغي وقد وردت في ثلاثة مواضع ، الأول قوله تعالى ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[البقرة:256] والثاني والثالث في " **الأعراف** " ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ﴾[146] وقوله تعالى ﴿يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾ [202]

أما عن الموضع الأول فقال القرطبي – رحمه الله- (238/2) :

"قرأ أبو عبد الرحمن " قد تبين الرَّشَدُ من الغي "[1] وكذا روى عن الحسن والشعبي ، يقال :رشد برشد رشد ، ورشد برشد رشدا : إذا بلغ ما يحب ، وغوى ضده [2] وحكي ابن عطية عن أبي عبد الخمن السلمي أنه قرأ "الرشاد "[3] بالألف وروى عن الحسن أيضا "الرَّشَدُ "[4] بضم الراء والشين (الغي) مصدر من غوى يغوي إذا ضل في معتقد أو رأى ولا يقال : الغي في الضلال على الإطلاق "

أقول : من يطالع أقوال المفسرين يجد أن " **الغي**" كل معتقد فاسد أو رأى فاسد يخالف العقيدة الصحيحة والآراء السليمة .

فهي إذا أعم في معناها فتشمل الآراء والمذاهب الفكرية المعاصرة مثل : الديمقراطية ، والرأسمالية ،والشيوعية ، والأحزاب المتعددة والتي تصطدم بالإسلام ، وكل مذهب سوف يتجدد لأنه لا مذهب ولا رأى ولا معتقد إلا معتقد واحد هو ما عليه أهل السنة والجماعة ، سواء هذه المذاهب اعتقاديه أم فكرية ، والله أعلم .

فان الشيطان يزين للغاوين الباطل من المعتقدات والمذاهب والآراء إلى حد الدفاع والقتال من أجل هذه المذاهب ، والمعتقدات فتجد أهل " **الفن** " من الممثلين والممثلات يعتصمون من أجل عمل نقابة لهم ، فقامت واحدة منهن بالإضراب عن الطعام والشراب لمدة تزيد عن عشرين يوماً حتى أغشى عليها ... من أجل باطلها ؟! وغيرها كثير ....

الموضع الثاني قوله ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ ﴾[الأعراف:146] قال القرطبي : يعني هؤلاء المتكبرون أخبر عنهم أنهم يتركون طريق الرشاد ويتبعون سبيل الغي والضلال ، أي الكفر ، يتخذوه دينا ثم علل فقال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي ذلك الفعل الذي فعلته بهم بتكذيبهم ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ أي كانوا في تركهم تدبر الحق كغافلين .

---

(1) قراءات غير متواترة .

(2) إعراب القرآن لا بن النحاس (1/ 331) .

(3) غير متواترة انظر تفسير ابن عطية (1 / 391) .

(4) غير متواترة انظر تفسير ابن عطية (2 / 391) .

أي من شيم أهل الكبر أنهم يتركون الحق كبرًا ، ويتبعون الغي عنادًا .

الموضع الثالث في نفس السورة قوله تعالى﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:202] قال القرطبي :

"قيل المعنى وإخوانهم – إخوان الشياطين وهم الفجار من ضُلاَّل الإنس تمدهم الشيطان في الغي . وقيل : للفجار إخوان الشيطان لأنهم يقبلون منهم (ولَا يُقْصِرُونَ) أي لا يتوبون ولا يرجعون ،وقال الزَّجَّاج: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى : والذين تدعون من دونه لا يستطيعون لكم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون ، وإخوانهم يمدونهم في الغي ، لأن الكفار إخوان الشياطين ،ومعنى الآية : إن المؤمن إذا مسَّه طيف من الشيطان تنبَّه عن قُرب ، فأما المشركون فيمدهم الشيطان ، (ولَا يُقْصِرُونَ) قيل يرجع إلى الكفار على القولين جميعاً، وقيل : يجوز أن يرجع إلى الشيطان ،قال قتادة :المعنى ثم لا يقصرون عنهم ولا يرحمونهم[1] والاقتصار : الانتهاء عن الشئ ، أي لا تقتصر الشياطين في مدهم الكفار بالغي ، وقوله : (فِي ٱلْغَيِّ) يجوز أن يكون متصلا بقوله : (يَمُدُّونَهُمْ) ويجوز أن يكون متصلا بالإخوان ، والغي الجهل ، وقرأ نافع (يَمُدُّونَهُمْ) [2] بضم الياء وكسر الميم ، والباقون يفتح الياء وضم الميم،وهما لغتان مدَّ وأمدَّ،ومَدَّ أكثر ، بغير الألف ، قاله مكي ، النحاس[3] : وجماعة من أهل العربية ينكرون قراءة أهل المدينة ،منهم أبو حاتم وأبو عبيد ، قال أبو حاتم : لا أعرف لها وجها ، إلا أن يكون المعنى يزيدونهم في الغي ،وحكي جماعة من أهل اللغة منهم أبو عبيد أنه يقال إذا كثَّر شئ شيئاً بنفسه مدَّه ، وإذا كثَّر بغيره قيل أمدّه ، نحو ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:125] وحكي عن محمد بن يزيد أنه احتج لقراءة أهل المدينة :يقال مددت له في كذا أي زينته له واستدعيته أن يفعله ، وأمددته في :كذا أي أعنته برأي أو غير ذلك ، قال مكي : والاختيار الفتح ،لأنه يقال : مددت في الشر، وأمددت في الخير ، قال الله تعالى ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة:15] فهذا يدل على

(1) رواه الطبري (9/ 108) .

(2) البحر المحيط (4/ 451) .

(3) البحر المحيط (4/ 451) .

قوة الفتح في هذا الحرف ، لأنه في الشر ، والغي هـو الـشر ، ولأن الجماعـة عليـه،وقرأ عاصم الجحدري(يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ) [1] وقرأ عيسى ابن عمر (يُقْصِرُونَ) [2] يفتح الياء وضم الصاد وتخفيف القاف ،الباقون(يُقْصِرُونَ)بضده وهما لغتان ،قال امرؤ ألقيس :

*سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرا *

بقى في هذا المعنـى"لفظتـين" الأولى :"الغـوي" في قولـه تعـالى ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص:18]

الثانيـة " لاغيا " في قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:59] أما عن المعنى الأول قال القرطبي :

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾والغوي يعني الخائب أي لأنك تـشادَّ مـن لا تطيقـه وقيل: مُضل بيّن الضلالة ، قتلت بسببك أمس رجلاً وتدعوني اليوم لأخـر ، والغـوي فعيل من أغوى يغوي وهو بمعنى مغْوٍ ،وهو كالوجيع والأليم بمعنى الموجع والمؤلم . وقيل :الغوي بمعنى الغاوي، أي إنك لغوي في قتال من لاتطيق رفع شره عنك "[3]

أما الموضع الثاني فقال البقاعي :

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أي شرًا يتعقب ضلالًا عظيمًا ، فلا يزالون في عمي عن طريـق الرشاد لا يستطيعون إليه سبيلا وهم على بصيرة من أنهم على خطأ وضلالا ، ولكـنهم مقهورون على ذلك بما زين لهم منه حتى صارت لهم فيه أتم رغبة ، وذلك أعظم الـشرِّ ولم يزل سبحانه يستدرجهم بالنعم إلى أن قطعوا بـالظفر والغلبـة حتـي أناخـت بهـم سطوت العزة فأخذوا على غِرّة ، ولا انكأ من الأخذ على هذه الصفة بعد توطين النفس على الفوز ، وهو من وادي قوله ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء:97] مع قوله ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم:38] وجزاء من كان هذا ديدنه في الدنيا والآخرة معروف لكل من له أنى بصيرة أنه العار ثم النار ،وأيضا : فان من ضل أخطأ طريق الفلاح من الجنة وغيرها مافخان ، ومن خاب فقد هلك ،قال أبو على الجبـائى :

(1) البحر المحيط (4/ 451) .
(2) البحر المحيط (4/ 451) .
(3) التفسير (7/ 236) .

والغي هو الخيبة في اللغة – انتهى– ويجوزان يراد بالغي الهلاك، وأما من قولهم–أغوية – وزن أثفية – أي مهلكة وأما من تسمية الشيء باسم ما يلزمه "(1) .

وتحت هذا العنوان – غواية الشيطان –كتب ابن القيم –رحمه الله تعالى :

تدرج الشيطان في الإغواء النظر الرابع : نظره إلى الآمر لـه بالمعصية ، المزين لـه فعلها ، الحاض له عليها ، وهو شيطانه الموكل به .

فيفيده النظر إليه ، وملاحظته : اتخاذه عدوًا ، وكمال الاحتراز منه ، والتحفظ واليقظة والانتباه لما يريد منه عدوه وهو لا يشعر . فانه يريد أن يظفر بـه في عقبة مـن سبع عقبات بعضها أصعب من بعض . لا ينزل منه العقبة الشاقة إلى مـا دونهـا إلا إذا عجز عن الظفر به فيها .

العقبة الأولى : عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه وبصفات كماله،وبما أخبرت به رسله عنه فانه إن ظفر به في هذا العقبة بردت نار عداوته واستراح . فان اقتحم هـذه العقبة ونجا منها ببصيرة لهداية ، وسلم معه نور الإيمان طلبه على :

العقبة الثانية : وهي عقبة البدعة . أما باعتقاد خلاف الحق الـذي أرسـل الله بـه رسله ، وأنزل به كتابه . وأما بالتعبد بما لم يأذن به الله . من الأوضاع والرسوم المحدثة في الدين ،التي لا يقبل الله منها شيئا .والبدعتان في الغالب متلازمتان . قـل أن تنفـك إحداهما عن الأخرى . كما قال بعـضهم : تزوجـت بدعـة الأقـوال ببدعـة الأعـمال . فاشتغل الزوجان بالعرس ، فلم يفاجأهم إلا أولاد الزنا يعيـشون في بـلاد الإسـلام ، تضج منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى .

وقال شيخنا : تزوجت الحقيقة الكافرة ، بالبدعة الفاجرة ،فتولد بينهما خسران الدنيا والآخرة .

فان قطع هذه العقبة ، وخلص منها بنور السنة ، واعتصم منها بحقيقة المتابعة ، وما مضى عليه السلف الأخيار ، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان . وهيهات أن تـسمح الإعصار المتأخرة بواحد من هذا الضرب ! فان سمحت به نصب له أهل البدع الحبائـل ، ويغوه الغوائل ، وقالوا: مبتدع محدث .

(1) نظم الدر (4/ 546) .

فإذا وفَّقهُ الله لقطع هذه العقبة طلبه على :

العقبة الثالثة : وهي عقبة الكبائر فإن ظفر به فيها زيّنها لـه ، وحـسَّنها في عينـه . وسوَّف به وفتح له باب الإرجاء . وقال له : الإيمان هو نفس التصديق . فلا تقدح فيه الأعمال ، وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بهـا الخلـق ، وهـي قولـه " لا يضر مع التوحيد ذنب ، كما لا ينفع مع الشرك حسنة" والظفر به في عقبة البدعة أحب إليه .

لمناقضتها الدين ، ودفعها لما بعث الله به رسـوله . وصـاحبها لا يتـوب منهـا ، ولا يرجع عنها ، بل يدعو الخلق إليها ولتضمنها القول على الله بلا علم ، ومعاداة صريـح السنة ومعاداة أهلها ، والاجتهاد على إطفاء نور السنة وتوليـة مـن عزلـه الله ورسـوله وعزل من ولاه الله ورسوله ، واعتبار ما رده الله ورسوله ، ورد ما اعتبره ،وموالاة من عاداه ومعاداة من والاه ،وثبات ما نفاه، ونفى ما أثبته ، وتكذيب الصادق، وتـصديق الكاذب ،ومعارضة الحق بالباطل ، وقلب الحقائق ،بجعل الحق باطلا ، والباطل حقا ، والإلحاد في دين الله ، وتعميمه الحق على القلوب ، وطلب العوج لصراط الله المستقيم ، وفتح باب تبديل الدين جملة .

فان البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها ، حتى ينسلخ صاحبها من الدين . كما تنسل الشعرة من العجين . فمفاسد البـدع لا يقـف عليهـا إلا أربـاب البـصائر ، والعميـان ضالون في ظلمه العمى : ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:40]

فان قطع هذه العقبة بعصمة من الله، أو بتوبة نصوح تنجيه منها ، طلبه عـلى العقبـة الرابعة .

والعقبة الرابعة : وهي عقبة الصغائر .فكال له منها بالقفزان، وقال: ما عليـك إذا اجتنبت الكبائر مـا غـشيت مـن اللـم، أو مـا علمـت بأنهـا تكفـر باجتنـاب الكبـائر وبالحسنات ولا يزال يهون عليه أمرها حتـى يـصر عليهـا. فيكـون مرتكـب الكبـيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالا منه. فالإصرار على الذنب أقبح منه. ولا كبيرة مـع التوبة والاستغفار. ولا صغيرة مع الإصرار. وقد قال ﷺ :**"إياكم ومحقِّرات الذنوب**

– ثم ضرب لذلك مثلا بقوم نزلوا بفلاة من الأرض، فأعوزهم الحطب، فجعل هذا يجيء بعودٍ، وهذا بعودٍ، حتى جمعوا حطباً كثيراً فأوقدوا ناراً، وأنضجوا خبزتهم، فكذلك فإن محقرات الذنوب تجتمع على العبد – وهو يستهين بشأنها – حتى تُهلِكَه"[1]

– فان نجا من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ ، ودوام التوبة والاستغفار ، وأتبع السيئة الحسنة طلبه على :

العقبة الخامسة : وهى عقبة المباحات التي لا حرج على فاعلها ، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات ، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرج منها ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى الوجبات، وأقل ما ينال منه : تفويته الأرباح والمكاسب العظيمة، والمنازل العالية، ولو عرف السعر لما فوَّت على نفسه شيئًا من القربات ولكنه ولطته جاهل بالسعر .

فان نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها وقلة على الميناء، وخطر التجارة وكرم المشتري، وقدر ما يعوض به التجار، بأوقاته، وضن بأنفاسه أن تذهب في غير ربح، طلبه العدو على العقبة السادسة.

العقبة السادسة: وهى عقبة الأعمال المرجوحة المفصولة من الطاعات، فأمره بها،وحسنها في عينه، وزينها له. وأراه ما فيها من الفضل والربح،ليشغله بها عما هو أفضل وأعظم كسبًا وربحًا. لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب، طمع في تخسيره كماله وثقته ودرجاته العالية. فشغله وفضله عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح،والمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضى عن الأرضي له.

لكن أين أصحاب هذه العقبة؟ فهم الأفراد في العالم، والأكثرون قد ظفر بهم في العقبات الأولى.

فإن نجا منها بفقه في الأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل،ومعرفة مقاديرها والتمييز بين عاليها وسأفلها،ومفضلوها وفاصلها، ورئيسها ومرؤوسها، وسيدها ومسودها. فإن في الأعمال والأقوال سيدًا ومسودًا ورئيسًا ومرؤوسًا، وذروة

(1) أخرجه أحمد (5/ 331) من حديث سهيل بن سعد وصححه الألباني – الصحيحة (389)

وما دونها كما في الحديث الصحيح" **سيد الاستغفار: أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا اله إلا أنت**" (1)

الحديث، وفي الحديث الآخر: " الجهاد ذروة سنام الأمر " (2)

وفي الأثر الأخر "**إن الأعمال تفاخرت. فذكر كل عمل منها مرتبته وفضله، وكان للصدقة مزية قي الفخر عليهن**" ولا يقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولى العلم،السائرين على جادة التوفيق، قد أنزلوا الأعمال منازلها وأعطوا كل ذي حق حقه.

فإذا نجا منها لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لابد منها، ولو نجا منها أحُد لنجا منها رسل الله وأنبياؤه، وأكرم الخلق عليه، وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى، باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير. فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده. وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط، وهذه العقبة لا حيلة له في التخليص منها. فإنه كما جدَّ في الاستقامة والدعوة إلى الله، والقيام له بأمره،جد العدو في إغراء السفهاء به، فهو في هذه العقبة قد لبس لأمة الحرب وآخذ في محاربة العدو لله وبالله، فعبوديته فيها عبودية خواص العرفين، وهى تسمى عبودية لعدوه، وإغاظته له. وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع المرغمة، ولا ينتبه لها إلا أولو البصائر التامة، ولا شيء أحب إلى الله من مرا غمة وليه لعدوه ، وإغاظته له . وقد أشار إلي هذه العبودية في مواضع من كتابه (3).

---

(1) متفق عليه وسيأتي تخريجه

(2) أخرجه أحمد (5/ 23) والترمزي (6/ 26) والنسائي وابن ماجه (13/ 39) من حديث معاذ بن جيل ﷺ وهو صحيح .

(3) كتاب مدارج السالكين (185 – 188).

(6)
تخويف الشيطـــان

الخوف مفردًا ومجموعا ورد في مائة وستة وثلاثين موضعًا، لم يقـرن إلَّا في موضـع واحد بالشيطان في القرآن كله في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:175]

وتخويف الشيطان للإنسان بأمور كثيرة تفوق الحصر، فالخوف أحد الأسلحة التـي يستخدمها الشيطان للفتك بالانسان وهو سلاح في غاية الخطورة، خاصة مع ضـعاف الإيمان، والذين ليس عندهم يقين أو ضعف يقين.

فهو يخوفهم من كل شيءٍ يخوفهم إذا أذنبوا أن لا يُغفر لهم، بل ييأسهم من رحمة الله، ولقد استغل الشيطان خوف بعـض العبـاد فـأفرطوا في الخـوف ﷺ وصـلوا لمرحلـة اليأس.

ويخوفهم بالرزق، فيشغلهم بالرزق والبحث عنه، والجـري وراءه وأن الأبنـاء قـد يموتون جوعا إذا لم تعمل وتواصل العمل بالعمل، وأن تنتقل من عمل إلى عمل، حتى يضيع العمر في البحث عن الرزق، فلا هو قنع بما رزقه الله، ولا هـو اسـتغل عمـره في الطاعة وطلب العلم، فمات يوم مات جاهلاً، غير قانع برزق، ولا هـو الـذي شـبع في الدنيا وأغنى أولاده !!

ويخوفه من غد، ويحمله هم غد، ويظل يشغل همه بالغد، حتى خشى طلوع الشمس عليه، هروبا من الغد.

يخوفه من الفقر، ويجعل الفقر شبح يخيفه به ليلاً ونهارًا.

يخوفه من أولاده، وزوجته، واخواته، فربما قتله بالخوف.

يخوفه من الجهاد في سبيل الله، وفي ساحة القتال ويقول لـه: تجاهـد فتقتـل، فترمـل زوجتك وتيتم أولادك ويقسم ميراثك ويتمتع به غيرك.

يخوفه ذنبه، فيقول له: أنت فعلت كذا وتريد أن تتوب هيهات هيهات .. أين أنت

من فلان الذي لم يذنب ؟ وفلان الذي بشره النبي ﷺ بالجنة... أتريد أن تلحق بهؤلاء وأنت مذنب ويجعل من الصغيرة، كبيرة، ويجعل من الكبيرة صغيرة، فمرة يهون له الذنب الكبير، ويزينه له ويقول له: فلان أذنب، وفلان الفلاني صاحب العلم والعبادة ارتكب كذا وكذا من الذنوب، وتارة يهول له الصغيرة في نظره فيجعلها كبيرة... حتى يوصله لليأس من رحمة الله.. فتارة يبلغه إلى القنوط، وتارة بأمنه من مكر الله تعالى.

قال الحافظ بن كثير (2/192) :-

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ أي: يخوفكم أولياء، ويوهمكم أنهم ذرو بأس وذور شدة، قال تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: فإذا سوَّل لكم وأوهمكم فتوكلوا على والجئوا إليَّ، فأنا كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[الزُّمَر:36] إلى قوله تعالى ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[الزُّمَر:38]"

أقول: ومن أضرار تخويف الشيطان للعبد أنه يُنسيه الخوف من الله تعالى، لأنه انشغل به، وسيطر عليه، فقطعه عن هذه المنزلة العظيمة، وأفقده الثقة بالله، وشغله بالخوف من كل شيء أصبح يخاف من نفسه.

قال ابن القيم- رحمه الله – في" المدارج" (1/410):

" ومنزلة الخوف من الله تعالى .. هي من أجلِّ منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهي فرضٌ على كلِّ أحدٍ .

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:175] وقال تعالى : ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[البقرة:40] وقال تعالى : ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[المائدة:44] ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[المؤمنون:57] إلي قوله تعالى : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[المؤمنون:61] وفي المسند والترمذي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قلت يا رسول الله، قول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾[المؤمنون:60] أهو الذي يزني، ويشرب الخمر،

ويسرق، قال: لا يا ابنة الصديق. ولكنه الرجل يصوم ويصلي يتصدق ، ويخاف أن لا يقبل منه" قلت: والحديث صحيح.

قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم إن المؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً .

والوجل ، والخوف، والخشية، والرهبة، ألفاظ متقاربة غير مترادفة وراجع هذه المنزلة، ومعنى الخوف في الكتاب السابقة.

قلت: وكثيرًا ما يحضر عندي شباب وفتيات قد امتلكهم الخوف، حتى قال بعضهم: أخشى أن أمشي بين البيوت والعمارات حتى لا تسقط عليَّ، وأن أمشي على كبري علوي أو على كبرى فوق الماء حتى لا يسقط بي في الماء، حتى حبسه الخوف في بيته- نعوذ بالله من مثل هذا الخوف..

والناس اليوم على اختلاف أجناسهم وانتماءتهم قد سيطر عليهم الخوف الذي بثه الشيطان في نفوسهم وألقاه إبليس في روعهم، وحتى لا ينكشف إبليس نوّع هذا الخوف عند الناس فهذا يخشي الفقر كما قال تعالى : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾ [البقرة:268] وهذا يخشى الدَّين، فيصبح في هم ويمسي في هم.

وهذا يخشى قلة المال، وآخر يخشى فوات الرزق، وتنوّع إبليس في تخوّيفه للبشر، فأوقع الناس في الكذب والمراهنة والغش، والمكر، والتحايل غير المشروع، وساءت أخلاق الناس تبعا لشدة ونوع خوفهم، نعوذ بالله من هذا كله.

(7)
نزغ الشيطـــان

(نزغ) النَّـزغُ: أن تَنْزغَ بين قوم فَتَحْمِلَ بعضهم على بعض بفساد بينهم. ونَزَغَ بينهم يَنْزَغُ ويَنْزغَ نزغاً: أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعضٍ.

والنـزغُ: الكلام الذي يُغري بين الناس ونَزَغَه: حرَّكة أدنى حركـة. ونـزغ الـشيطانُ بينهم يَنْزغُ نزغاً أي أفْسدَ وأغرى. قوله تعـالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:200] نَزْغُ الشيطان: وسَاوِسُه ونَخْسُه في القلب بما يُسَوِّلُ للإنـسان من المعاصي، يعني يُلقي في قلبه ما يُفْسدُه على أصحابه.

قال الزَّجاج: معنـاه: إن نالك الشيطان أدنى نَزْغٍ ووسوسـةٍ وتحريـك يَـصْرِفُك عـن الاحتمال، فاستعذ بالله من شرِّه وأمض على حُكمك.

أبو زيد: نَزَغتُ بين القوم ونَزَأْتُ ومأستُ كُلّ هذا مـن الإفـساد بيـنهم، وكـذلك دَحَسْتُ وآسَدْتُ وأرَّشتُ. وفي حـديث علـيٍّ – رضي الله عنه – "ولم تَـرْمِ الـشُّكُوكُ بنَوازغهـا عزيمة إيمانهم النَّوازغُ: جمع نازغة من النَّزغِ وهو الطعنُ والفسادُ.

وفي الحديث "صياح المولود حين يقع نزغةٌ من الـشيطان" (1) أي: نَخْـسةٌ: وطعنـة وربما كان النزغُ : ذكر قُبح الرجل.

قال في اللسان: ونَزَغَ الرجلَ يَنْزَغُه نزغاً: ذكر بقبيح. ورجل مُنزَغٌ ومُنَزغةٌ ونَـزَّاغٌ: يَنْزَغُ الناس. أي يذكرهم بقبيح أعمالهم.

والنزغُ: شبه الوخز والطعن. ونَزَغَهُ بكلمةٍ نزغاً: نَخَسهُ وطَعنَ فيه مثل نسَغَه وندغَه ونَزَغَه نزغاً: طعنهُ بيدٍ أو رُمح.

وفي حديث ابن الزبير: "فنزغهُ إنسان من أهل المـسجد بنزيغـةٍ" أي رمـاه بكلمـة سيئة. وأدرك الأمر بَنَزغَه أي بحد ثانهِ" عن ثعلب (2)

قول : والنزغ في القرآن ذكر في ستة مواضع.

---

(1) سيأتي تخريجه ولفظه.

(2) اللسان مادة (نزغ).

في موضعين في الأعراف في قوله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [200] ومثلها في سورة فصلت الآية رقم (36) فهذه أربعة مواضع.

الخامس في قوله تعالى: ﴿حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ﴾ [يوسف:100] والأخير في قوله تعالى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:53] والنزغُ: هو الدخول في أمرٍ لإفساده[(1)]

قال ابن زيد: "نَزَغْت بين القوم: إذا أفسدتَّ بينهم"[(2)]

وقال الفخر الرازي: "وقيل النّزغُ: الإزعاج، وأكثر ما يكون عند الغضب وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشرّ"[(3)]

فالنزغ من الخطط الإبليسية، والواسائل الشيطانية للإفساد بين الناس، وتأليبهم ضد بعض، ويقوم بتهيج الغضب لدى جميع الأطراف لايقاع الفتنة بينهم، وزع الشرِّ في نفوسهم، حتى إذا تمكن الغضب منهم حَرَّكهم هذا الغضب إلى ما لا يُحمد عقباه. والنزغ أيضاً: نوعٌ من أنواع الوسوسة التي يتصيّد بها الشيطان أتباعه للتحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء فيما بينهم".

فهو يلقى النزغ في صدور الأخوة وذلك لتفريق جماعتهم، وتوغير صدورهم بالعدوة إلى درجة أن يقتل بعضهم بعضاً كما في قصة يوسف مع إخوته. بعد أن نزغ الشيطان أي أمدهم بالعداوة ، وأوغر صدورهم بالحسد والحقد، وأتلف عقولهم بالوسوسة .

ولهذا قال القاسمي في " **تفسيره** " (5/ 247) في تفسير آية الأعراف ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [فُصِّلَت:36] أي: يُصيبك من الشيطان وسوسة تثير غضبك

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن مادة (تنزغ).

(2) روح المعاني (9/ 147).

(3) التفسير الكبير (15/ 97).

على جهلهم وإساءتهم، وتحملك على خلاف ما أُمرت فيه بالعفو والأمر بالمعروف (**فاستعذ بالله**) أي: استجر بالله، وادعه في دفعه ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف:200]أي: لدعائك (**عليم**) باستعاذتك.

قال الزمخشري: النزغُ والنسغ: الغرز والنخس، كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي. أي : فشبهت وسوسته وإغراؤه بالغرز، وهو إدخال الإبرة وطرف العصا وما يشبهه في الجلد، كما يفعله السائق لحث الدواب. وجعلُ النزغُ نازغاً مجاز بالإسناد، لجعل المصدر فاعلاً، كجد جدّه.

قال أبو السعود: وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لأمره وتنبيه على أنه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها إلاّ بالالتجاء إلى حرم عصمته عز وجل" [(1)]

قال القرطبي (4/ 298- 299) :

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ ونزغ الشيطان، وساوسة، وفيه لغتان: نزغ ونغز. يُقال: إياك والنُزّاغ والنُّغّاز، وهم المُوَرِّشُون.

قال الزّجّاج: النَّزْغ أدني حركة تكون، ومن الشيطان أدني وسوسة: ومعنى ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ يُصيبك ويُعرض لك عند الغضب وسوسة بما لا يحل – **ثم قال:**

"والنَّغْز والنَّزْغُ والهَمْزُ والوسوسةُ سواء. قال الله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ﴾[المؤمنون:97] وقال تعالى ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾[الناس:4] وأصل النزغ الفساد، يقال: نزغ بيننا أي أفسد بيننا. ومنه قوله تعالى ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾[يوسف:100] أي أفسد، وقيل: النزغُ: الإغواء والإغراء، والمعنى متقارب"

قال الحافظ بن كثير: (3/ 583):

"وإما يغضبنَّنك من الشيطان غضبٌ يَصُدَكَ على الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم (**فاستعذ بالله**) يقول: فاستجر بالله من نزغه ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:200] يقول: إن الله الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان سميع بجهل الجاهل

---

(1) الكشاف للزمخشري (2/ 190)

عليك، والاستعاذة به من نزغه، ولغير ذلك من كلام خلقه، ولا يخفي عليه منـه شيء، عليم بما يُذهب عنك نزغ الشيطان، وغير ذلك من أمور خلقه"

وقد فسر الطبري الهمز بالغمز. (1)

وقال ابن القيم: "والتحقيق أن الهمز – دفعٌ بنخزٍ، وغمزٌ يـشبه الطعـن، فهـو دفـع خاص، فهمزات الشياطين: دفعهم الوساوس والإغواء إلى القلب" (2)

"فالشيطان ينخس الإنسان ويدفعه إلى سُبل الهلاك والفساد من خلال وسوسته له بالمعاصي والرذائل، وهمزة له بتأجيج لهب الغضب في نفسه، فيتخبَّطه ويقوده إلى الفخّ الذي نصبه له، ولذا فقد أمر الله تعالى – نبيه ﷺ وأُمته من بعده أن يتعوذوا بـالله مـن همزات الشياطين وحـضورهم قـال تعـالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:97،98] (3)

"فالشيطان يتسلَّط على الإنسان بنزغه وهمزة ليصرفه عن طاعةٍ تَوَجّة لامتثالهـا، أو يستحثه أو يزين له معصيةً رغبَ عنهـا، وكثـيراً مـا يُلهـب في نفسه سياط الغـضب فيتخبَّطه ويقوده ليقع في فخ طاعته، ويلحظ أن الـذي يتـسلط عليـه الـشيطان بنزغـه وهمزة يميل إلى شدة الغـضب والانفعـال والخطـأ، ويلاحـظ عـلى وجهـه الـشحوبة والعبوس، وحدَّة وشدة في ألفاظه التي يُطلقها، وتختلف نبرات صوته ولهجة حديثـه، ويفقد الحُلم والرَّوية، وتهيج لديه محبة الانتقام والإعراض عن العفـو والـصفح، مـع شعوره بإختناق وضيق شديد في نفسه، وربما نَفّسَ عنه بالصراخ أو البكاء"(4)

وأما قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء:53]

قال الحافظ ابن كثير (5/91):

"يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم

(1) تفسير الطبري (18/ 51)

(2) إغاثة اللهفان (1/ 113).

(3) عداوة الشيطان (ص: 283).

(4) وسائل إهلاك الشيطان للإنسان (ص: 83).

الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنه إذا لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشرُّ والمخاصمة والمقاتلة فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين أمتنع من السجود لأدم، فعداوته ظاهرة بينة، ولهذا نهي أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة، فإن الشيطان ينزغ في يده، أي: فربما أصابه بها"

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : "لا يشيرنّ أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزغ في يده، فيقع في حفرة من نار"(1)

أقول: إن نزغ الشيطان للإنسان يأتي على صور متعددة، وبجميع الجوارح، لأنه قال سبحانه ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ﴾ [فُصِّلَت:36]وقال ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الإسراء:53] فذكر النزغ العام، وخص في القرآن نوع واحد وهو **"اللسان"** وذلك أن جميع المصائب والجرائم التي ترتكب عن طريق اللسان، فطلب الله من عباده أن يقولوا التي هي أحسن، وهي صيغة أفضل أو أفعل، أي الواجب على كل إنسان أن يقول التي هي أحسن من القول والوصف، ولا يقل عن رتبة الأحسن إلى رتبة الحسن وإلاّ وقع اللوم.

فنزغ اللسان ربما وقع بالغيبة والنميمة – لأن معنى النزغ، الكلام التي يفسد بين الناس.

وربما كان النزغ السبّ والعن في الآخرين، ويكون بالفحش وقول الخنا- والمسلم ليس بالسباب. ولا الطعان ولا الفاحش والبزئ.

وربما كان النزغ بنقل المساؤي، أو الكذب، ولو أنت بحثت في جميع المشاكل التي أدت إلى إنقطاع الأرحام وهتك الأوصال لوجدتها من نزغ اللسان.

وربما نزغ الشيطان على لسانه فقال بالكفر ونطق بالشرك.

ونحن نرى هذه الأيام أن الشيطان قد تسلط على ألسنة كثير من المتحدثين في **"التلفاز"** وجميع القنوات، فنطقوا بهزيان، وقالوا هزيات، وتحدثوا بالهزيان – واسمع إلى جمال البنا – ذلك الخيبان التي تسلّط عليه الشيطان، وضحك عليه العميان، وقالوا له: إنك من علماء الواحد الديان، وهو والشيطان سيان.

(1) أخرجه أحمد (2/ 337) والبخاري (7072) ومسلم (4/ 2020/ 126).

وغيره من أصحاب القلوب والعقول الخربة الذين امتلأت بهم ساحات المتكلمين – فهذا وأمثاله نزغ الشيطان على ألسنتهم، وفي قلوبهم وعلى عقولهم فذهبوا يحلّون الحرام، ويحررون الناس من عبادة الله لعبادة الشيطان فعليهم من الله ما يستحقون.

واللسان يخرج منه نحو من عشرين كبيرة كلها من نزغ الشيطان، لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء:53] .

والنزغ في الفعل كما سبق في الحديث السابق **"لعل الشيطان ينزغ ما في يده"** يعني يطعن يده وينزغ عقله فيشهر سيفه ويضرب به، ويقتل الأبرياء – وهذا من نزغ الشيطان.

والنزغ في العقل، كما في الحديث الصحيح "يأتي الشيطان أحدكم فيقول له من خلقك فتقول الله، فيقول من خلق الله؟..."[1] الحديث

والنزغ في الفرج – فربما تسلط عليه الشيطان، وتسلط على إحليلة فينزع منه الشهوة، وربما المتعة بزوجته، وعندما يرى أجنبية أو محرمة عنه، يداعب أحليله وينفخ في ذكره، فيتطاول على المحرمات ويأتي المحارم، ويفعل بهن الفاحشة، ويجد في ذلك متعة ولذة!!

وينزغ في بطنه فيستمتع بالطعام الحرام، ويشهيه للربا، وغير ذلك، وإذا ما أكل حلالاً أخذ الشيطان منه كل مأخذ حتى يتقيئ فيستريح، فإذا ما أكل الحرام وجد له لذة ومتعة...!!

وينزغ يده... فيكتب الهجاء، ويكتب الغناء ويجد في هذا الحرام ضالته المنشودة، وإذا كتب العلم وقع التعب والملل والصد الغريب العجيب.. وربما شُلت يده!

فيقدم على كتابة المحرمات، والرسائل المشحونة بالغرام، وربما أذى غيره بيده... فهو سريع في معصية الله بطئ في طاعة الله.

ونزغ العقل يأتي على صور، فربما أوهمه ووسوس له أنه عالم زمانه، وفقيه وقته، ومحدث عصره، الخ... فيجعله يقول بلا علم، ويفتي ، ويهرف بما لا يعرف.

---

(1) سيأتي في السنة.

وسيأتي في السنة أن الشيطان يتلاعب بمقاعد ابن آدم.

وأنه أيضاً يتلاعب بحيض النساء وسماه الرسول ﷺ بـ**"ركضة الشيطان"**.

إلى غير ذلك من الصور الكثيرة جداً التي تأتي عن طريق نزغ الشيطان نعوذ بالله من همزه ونفثه ووخزة ونزغه، ومن الشيطان الرجيم.

(8)
رجـــز الشيطـان

ذكر الله تعالى الرجز في القرآن في عشرة مواضع، موضع واحد فقط الذي قرن بالشيطان في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال:11]

ويقية المواضع نوّع فيها الرجز، وسنذكر أنواعها إن شاء الله تعالى.

أما معنى الرجز:

الرِّجْز: القَذر مثل: الرِّجس. والرِّجز: العذاب. والرِّجز والرُّجز: عبادة الأوثان. وقيل: هو الشِّرك ما كان تأويله أن مّنْ عَبد غير الله تعالى فهو على ريب من أمره واضطراب من اعتقاده، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج:11] أي شك وغير ثقة ولا مُسكة ولا طمأنينة، وقوله تعالى ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدَّثر:5] قال قوم هو صنم وهو قول مجاهد – والله أعلم.

قال أبو إسحاق: قرئ **"والرِّجز والرُّجز"** بالكسر والضم ومعناهما واحد، وهو العمل الذي يؤدِّي إلى العذاب. وقال تعالى: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾[الأعراف:134] هو العذاب.

أصلُ الرِّجز في اللغة: تتابُع الحركات. ومن ذلك قولهم: ناقة رجْزاءُ إذا كانت قوائمها ترتعدُ عند قيامها، ومن هذا رجَزُا الشعر لأنه أقصر أبيات الشعر والانتقالُ من بيت إلى بيت سرعٌ نحو قوله

صبرا بني عبد السَّدار

وكقوله:

*** ما هاجَ أحزاناً وشجواً قد شَجَا***

قال أبو إسحاق: ومعنى الرِّجز في القرآن هو العذاب المقّلْقِل لشدته وله قلقلةٌ شديدةٌ متتابعة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾قال المفسرون: هو وساوسُة وخطاياهُ،

وذلك أن المسلمين كانوا في رَمْلٍ تسوخ فيه الأرجلُ، وأصابت بعضهم الجنابةُ فوسوس إليهم الشيطان بأن عدوَّكم يقدرون على الماء وهم لا يقدرون عليه، وخّيل إليهم أن ذلك عونٌ من الله تعالى لعدوِّهم، فأمطر الله تعالى المكان الذي كانوا فيه حتى تطهَروا من الماء، واستوت الأرضُ التي كانوا عليها وذلك من آيات الله عز وجل.

"ووسواسُ الشيطان رجزٌ"

قلت: وبنحو هذا أجاب جُلّ المفسرين، فلا حاجة لإعادة الكلام.

أما بقية معنى الرجز:

فقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ [الأعراف:134، 135]

فهذه ثلاثة مواضع في سورة واحدة، والموضع الرابع فيها برقم [162] قوله ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾[162] [وفي سورة البقرة آية [59] قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ .

السابع: في سورة سبأ آية (5) قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾

الثامن: في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾[الجاثية:11] والأخير قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[المدَّثر:5]والرجز في جميع المواطن بمعنى واحدٍ تقريباً، وفي موضعين فقط فيهما معنى زائد، ففي سورة سبأ والجاثية معنى زائد وهو قوله :﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ **قال القرطبي:**

والرجز العذاب، أي لهم عذاب من عذاب أليم" دليله قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾أي: عذاباً. وقيل: الرجز القذر مثل الرجس وهو كقوله تعالى: ﴿جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾[إبراهيم:16] أي لهم عذاب من تجرع الشراب القذر" .

فقولـه: ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾ مثـل قولـه تعـالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[يوسف:17] الإيمان هو التصديق، لكن في وصف العذاب بأنـه رجـز هـذا شيء زائد في الوصف، وربما كان العذاب شيء والرجز عذاب آخـر أشـد إيلامـاً، أي عذاب موصوف بالألم، مثل العذاب المهين، والعذاب الشديد، والعذاب المهين، عذاب فيه مهانة، مثل العذاب يدور في الرحي في النار، فهو وصف زائد لشدة ما أتي بـه مـن المعاصي، والله أعلم أما في قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾[المدَّثر:5] .

قال القرطبي (10/ 58):

"قال مجاهد وعكرمة ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ يعني الأوثان، دليلـه قولـه تعـالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾[الحج:30] قاله ابن عباس وابن زيد. وعن ابن عباس قال: والمأثم فاهجر، أي فاترك، وكذا روي مُغيرة عن إبراهيم النخعي قال: الرُّجز الإثم. وقال قتادة: الرجز: إساف ونائلة صنمان كانا عند البيت. وقيل: الرجـز العـذاب، على تقدير حذف المصاف، المعنى: وعَمَـل الرجـز فـاهجر، أو العمـل المـؤدي إلى العذاب وأصل الرجز العذاب قال تعالى: ﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ﴾[الأعراف:134] وقـال تعـالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الأعـراف:162] فـسميت الأوثان رجزاً لأنها تؤدي إلى العذاب"

فالرجز عذاب، إما أن يكون بسبب عبادة الأوثان، أو بـسبب العنـاد والاسـتكبار وعدم الإيمان، أو بسبب معصية من المعاصي سواء كانت كبيرة من الكبائر العظـام، أو كبيرة من الكبائر المعروفة، وربما كان هذا العذاب في الدنيا، أو في الآخرة، وسواء كان مهيناً أو أليماً، فهذا كله يشمله كلمة "**الرجز**" والله تعالى أعلم.

(9)
عداوة الشيطـــان

لا ولن تنشأ محبة ولا صدقة بين الأنسان والشيطان، لأن الله تعالى خلقه يوم خلقه وهو عدو للإنسان، وأن عداوته محققة وعداوته ظاهرة، وواضحة جلية،وليس في الدنيا عدو للإنسان مثل الشيطان، بل هو الذي أنشأ العداوات التي تنوعت وكثرت في الدنيا،وليس له مثيل في عداوته، لا يحابي إنسان ولا يداهن آدمي، بل يعاديه ويجعل من عداوته قربان يتقرب بها لنفسه ويرضي بها غروره، وهو العدو الأول والأخير، مما قرب من نصح وأسدى إلى أنسان معروف، فهو ينصح ليغري، ويأمر بالمعروف ليفسد، وفساده بعد المعروف أشد، ونصحه دليل عداوته.

فالعداوة والعدو والعدوان، وغيرها من الأشتقاقات، ذكرت في سبعة وستين موضعاً، أما العداوة المتصلة بالشيطان ففي ثمانية عشر موضعاً، يعني أن الله تعالى لم يتركنا من غير تحذير، بل من رحمته وسعة مغفرته، وعظيم مننه، حذرنا من عداوة الشيطان في هذه المواضع الكثيرة المتكررة، حتى لا يبقى لأحد حجة في اتخاذ العدو صاحب، أو تكون له فرصة في أن يهادنه.

وهذه المواطن:

قوله تعالى: ﴿فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:36] [الأعراف:24]

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:168]وكررها برقم [208] وفي الأنعام [142]

وقال ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:22] وقال تعالى﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:5] وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ﴾ [الكهف:50] وقال تعالى﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه:117] وبرقم [123] قال ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. وقال تعالى ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:15]وقال

تعالى ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:53] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:6]وقال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:60] وقال تعالى ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الزُّخرُف:62]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:91] وقال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأنعام:112] .

تعريف العداوة :

العدوّ ضدّ الصديق. يكون للواحد والأثنين والجمع والأنثى والذكر بلفظ واحد.

قال الجوهري: العدوُّ ضدُّ الوليِّ ، وهو وصفٌ ولكنه ضارع الاسم.

قال ابن الأعرابي: العدو يكون للذكر والأنثى بغير هاء، والجمع أعداءٌ وأعادٍ، وعُداةٌ،وعديً وعُدىً فأوهم أ، هذا كُلّه لشيءٍ واحدٍ؟ وإنما أعداءٌ جمع عدوٍّ.

والعداوة: فلان يُعادي بني فلان – قال تعالى ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ﴾ [الممتحنة:7] وقال ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ [الشعراء:77] .

قال سيبويه: عدوٌّ وصفٌ ولكنه ضارع الاسم، وقد يثني ويجمع ويؤنث، والجمع أعداء.(1)

وقال الجُرجاني: العداوة: هي أن يتمكن في القلب من قصد إلا ضرار والانتقام(2)

وقال الراغي: والعَدْوُ: التجاوز ومنافاة الألتئام، فتارة يعتبر بالقلب فقال له: العداوة والمعاداة، وتارة بالمشي، فيقال له: العدو. وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له العدوان والعَدُو. وتارة بأجزاء المقرِّ، فيقال له: العدواء، ويقال: مكان ذا عدواء أي غير متلائم الأجزاء، والعدو، ضربان.

(1) اللسان مادة [عدا] والصحاح [6/ 2419]

(2) التعريفات (ص148).

أحدهما: بقصد من المُعادي نحو ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوٍّ لَّكُمۡ﴾ [النساء:92] ﴿عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام:112] .

والثاني: لا بقصده ، بل تعرض له حالة يتأذى بها كما يتأذى مما يكون من العِدى نحو قوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:77] ومن العَدْو يقال: فعادى عِدَاءً بين ثور ونعجة..

وقال: والاعتداء مجاورة الحقِّ – أو مجاورة الحدِّ.

قال: ومن العدوان المحظور ابتداء قوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة:2] ومن العدوان الذي هو على سبيل المجازاة ويصح أن يتعاطى مع من ابتدأ قوله ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:193].

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:30] [1].

يقول شيخ الإسلام: "وأصل العداوة: البغض والبُعدُ" [2]

قال الدكتور الأشقر: " والعداء بين الإنسان والشيطان عداء بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي صور الله فيه آدم، قبل أن ينفخ فيه الروح، فأخذ الشيطان يطيف به، ففي " صحيح مسلم " عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **"لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو ، فلما راه أجوف، عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك"**[3] فلما نفخ الله في آدم الروح، وأمر الملائكة بالسجود لآدم، وكان إبليس يتعبد الله مع ملائكة السماء فشمله الأمر، ولكنه تعاظم في نفسه واستكبر، وأبى السجود لآدم: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:12]

لقد فتح أبونا آدم عينيه، فإذا به يجد أعظم تكريم، يجد الملائكة ساجدين له، ولكنه يجد عدوا رهيبا يتهدده وذريته بالهلاك والإضلال[4].

(1) المفردات (عدا).
(2) الفرق بين أولياء الرحمن (ص18)
(3) صحيح مسلم (2611).
(4) عالم الجن (ص71).

قال القرطبي: (**إنه لكم عدو مبين**) أخبر – تعالى – بأن الشيطان عدو، وخبره سبحانه وتعالى – حق وصدق فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال جل من قائل: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[البقرة:168] (1)

قال بن كثير: (إنه لكم عدو مبين) ﴿**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ تنفير عنه وتحذير منه، كما قال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:6]وقال تعالى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[الكهف:50] وقال قتادة، والسدى في قوله ﴿**لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾[النور:21] كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان ثم ذكر ابن كثير الأقوال التي ذكرنها في "**الخطوات**" (2)

ثم قال مبينًا حال العدو وبما يأمر، وماذا يريد؟

(**إنما يأمركم**) أي هذا العدو اللدود (**بالسوء**) وهذه وحدها كافية في إهلال البشر، وتقاطع الأرحام وسفك الدماء، وهتك الأعراض...الخ.

(**والفحشاء**) وهي تقضي على البقية الباقية في إصلاح المجتمع، فإذا نجا المجتمع من الأولى، فلن يستطيع الهرب من الثانية، ثم الثالثة ﴿**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:169] فإذا وقع المجتمع في الأولى أو الثانية أو فيهما معا، ثم يلجئون إلى أصحاب الفتاوى، وأهل العلم، لكي ينجوا على سبيل الرجوع والتوبة فيجدون أهل العلم يقولون بما لايعلمون، ويفتون بما يجهلون، ويهرفون بما لا يعرفون.. فتكون القاضية.

يقول ابن كثير: "إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كزناء ونحوه ، فأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم، فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضا" (3)

(1)تفسير القرطبي (1/ 696).
(2) تفسير ابن كثير (1/ 435).
(3) تفسير ابن كثير (1/ 435).

وقال في موطن آخر: "ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:6] أي: هو مبارز لكم بالعدواة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به. ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:6] أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا. معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين. فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه والإقتفاء بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهذه كقوله﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف:50] .

قال بعض العلماء: وتحت هذا الخطاب نوع لطيف من العتاب كأنه يقول: إنما عاديت إبليس من أجل أبيكم ومن أجلكم، فكيف يحسن بكم أن توالوه؟ بل اللائق بكم أن تعادوه وتخالفوه ولا تطاوعوه(1)

قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: فعادوه ولا تطيعوه، ويدلكم على عداوته إخراجه أباكم من الجنة، وضمانه إضلالكم في قوله ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾ [النساء:119] .

وقوله: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأعراف:16،17] فأخبرنا جل وعز أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتص علينا قصته، وما فعل بأبينا آدم عليه السلام، وكيف انتدب لعداوتنا وغرورنا من قبل وجودنا وبعده، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا.

وكان الفضيل بن عياض يقول: يا كذاب يا فقير، اتق الله ولا تَسُبَّ الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السِّرِّ.

قال ابن السماك: يا عجبا لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه أو أطاع اللعين بعد معرفته بعداوته(2)

(1) تفسيره (6/ 557).

(2) تفسيره (7/ 603- 604).

وقال في موطن آخر قوله تعالى : ﴿ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[يس:60] العهد هنا بمعنى الوصية، أي ألم أوصكم وأبلغكم على ألسنة الرسل ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾ [يس:60] أي لا تطيعوه في معصيتي. قال الكسائي: لا للنهي (وأن أعبدوني) بكسر النون علي الأصل ومن ضم كره كسره بعدها ضمه ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾[يس:61] أي عبادتي دين قويم.

قوله : ﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ ﴾[يس:62] أي : أغوى ﴿جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ ﴾أي خلقا. كثيرا – قال مجاهد وقتادة: جموعا كثيرة. وقال الكلبي: أمما كثيرة، والمعنى واحد وقوله ﴿أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴾ عداوته وتعلمون أن الواجب طاعة الله(1)

قلت: من أمعن النظر في آيات العداوة والعدوان في القرآن كله وجد أن العداوة تنقسم إلى عداوة واجبة، وهي من أركان التوحيد، وعنوان الولاء والبراء وهي عداوة الشيطان وأولياءه وحزبه وأتباعه من اليهود والنصارى وغيرهم.

وهذه العداوة لا يتم توحيد العبد إلا بها، ولا يكتمل ولاءه وبراءه إلا بوجوها في نفس المسلم إذا أراد أن يكتمل توحيده أن يجعل في قلبه أمثال الجبال الراوسي من العداوة لليهود والنصارى وغيرهم، وكذلك الشيعة والشيوعيون، والعلمانيون، وغيرهم من أصحاب الأحزاب المناهضة للدين.

أما النوع الثاني: وهي عداوة محرمة وهي تفسد التوحيد، وتفسير الولاء والبراء، وهي عداوة أولياء الله، وأصحاب الهمم العالية من العلوم الشرعية، وأهل السنة، وأصحاب الحديث، أو معادة الكتاب والسنة، أو معاداة شئ من الكتاب والسنة، أو معاداة حكم شرعي مصدره الكتاب والسنة.

ثم من نظر العداوة المتصلة بالشيطان والآيات المذكورة يجد تنوعاً عجيباً في سردها فمثلا قال مرة ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ ﴾[البقرة:36] وكرر هذا الأمر في القرآن ثلاث مرات، وحتى لا ينسى آدم وزوجته وبعدهما زريتهما، العداوة التي نزلت معهما من السماء. فهو أي – آدم – نزل من السماء وأهبط إلى الأرض وهو محمل بالتحذير من هذه العداوة.

---

(1) تفسيره (4318/ 44)

ومع أن الله قال ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ [البقرة:36] أي أن هذه العداوة لا تنفك أبداً ، ولا يقع فيها صلح، وهي ملازمة لآدم وإبليس حتى قيام الساعة ومن بعده زريته، مع أن العداوة منشأها إبليس وباديها الشيطان وحمله على هذه العداوة بالحقد والحسد وحب الذات، ومجموعة من الأمراض القلبية التي كانت في نفس إبليس، أما آدم فلم يكن في قلبه شئ من هذه العداوة، لكن الله أوجدها في قلبه حتى يتمكن من العيش في الدنيا بها، أنه لا يستطيع العيش بدون هذه العداوة في الدنيا، فإن عاش في الدنيا بغيرها ضاع وضاعت ذريته، فكانت العداوة في هذا الموطن رحمة من الله تعالى، ومنة من الله تعالى على آدم وزريته، فمن عاش في الدنيا بدون عداوة الشيطان ضل وضاع.

وقال في موطن آخر (**إنه**) أي الشيطان ﴿لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾[البقرة:168] وكرر هذا البيان في مواطن كثيرة، **ففي ذلك من الفوائد:**

أولاً: أن الله تعالى نوع في بيان عداوته، ليعلم مداخل ومخارج ذلك العدو.

ثانيا: أن الله تعالى من فضله وكرمه مع تنوعه في إظهار عداوة الشيطان غير أنه كرر كل نوع منها وفي سور عدة، ربما كانت أول القرآن ، ثم في الثلث الثاني، والثلث الثالث، والرابع..وذلك لكي لا تنسى، وأن تكون في موطن الأهتمام لدى العبد.

ثالثا: أنه كرر هذه العداوة مع بيانها وإظهارها، وقال "**لكم**" أنتم، ففي نفس إبليس عداوة بالغة نتيجة الحسد والحقد البالغ في قلبه، فعليكم أن توجدوا هذا العداوة في نفوسكم أنتم أيضاً، وهناك فارق بين عداوة منشأها الحسد والحقد والغيرة والأخلاق السيئة وبين عداوة مأمور بها لابد أن توجد، لأنها طاعة، وكأن الذي لايتواجد في قلبه هذه العداوة المأمور بها، قد عصى الله تعالى في عدمها، وأطاع إبليس، وأصبح وليا له مطيعاً لأوامره.

وبعدم وجود العداوة المأمور بها أصبح العبد بمعصيته هذه عاصي ، معصية مركبة، ثم هو الخاسر في النهاية.

رابعا: أنه قال (**مبين**) أي عداوة ظاهرة واضحة جلية، لا تخفي على ذي بصيرة،وهذه منة أخرى غير ما سبق، وهذه المنة هي أن الله تعالى أظهر العداوة ووضحها وجلاَّها، فلم يبق لأحدٍ حُجّة في مهادنة الشيطان واتباعه.

خامسا: قال في موضع ﴿عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:15] فزاد (**فضل**) فوق أنه عدو، وأنه واضح العداوة، فإنه مضل – مضل لأتباعه، مضل لأولياءه.

سادسا: أن الله تعالى بين في موضع آخر وكـرره ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [الإسراء:53] أي عداوته لم تقف عند حد معين، بل تجاوزت كل البشر، سواء من أسلم أو بقى على كفره.

سابعاً: أنه سبحانه بعدما أظهر العداوة أمرنا بأن نتخذه عدو فقال ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾ [فاطر:6] ثم بين عاقبة عدم سماع كلام الله، وعدم اتخاذه عدو فقال ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فـاطر:6] فهــذه عاقبــة كــل مــن لم يتخــذ الشيطان عدو.

ثامناً: أنه عهد إلينا من بداية الخليقة بأن نتخذه عدو فقال ﴿ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يس:60] .

تاسعاً: العداوة سلاح يتخذه الشيطان ويلقيه بين البشر لإفساد البشرية كلهـا فقـال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ ﴾[المائـدة:91] فالشيطان يستخدم التحريش بين البشر لإيقاع العداوة بينهم فلقد استخدم التحريش بين البشر أفرادًا وجماعات، أمم ودول، حتى فرق الدولة الواحدة إلى دويلات، والجماعة إلى جماعات والمذهب الواحد إلى مذاهب، والمنهج الواحد إلى مناهج، وفرق بين الزوج وزوجته والابن وأبيه، والجار وجاره، والأخ وأخيه، وحملوا عن طريق العداوة الأسلحة في وجوه بعض وقتل الأخ أخاه والابن أبيه، وطلق الرجل زوجته، وفرق بين الأحبة ...الخ.

فهذه ثمرة العداوة والتحريش التي ألقاها الشيطان بين أتباعه وأولياءه.

(10)

إضـــلال الشيطـــان

أولا: معنى الإضلال والضَّلال والمُضل والضَّال.

قال في اللسان مادة "ضلل":

الضُّلالُ والضَّلالة: ضدّ الهدى والرَّشاد

ضلَلْتَ تضلُّ هذه اللغةُ الفصيحة، وضَلِلْتَ تَضَلُّ ضلالاً وضلالةً.

بنو تميم يقولون: ضَلِلْتُ أضَلُّ وضَلَلْتُ أضلَّ

أهل نجد يقولون: ضَلَلْت أضِلُّ

وأهل الحجاز يقولون: ضَلِلْتُ أضَلُّ

وقد قرئ بهما جميعاً قوله عزوجل ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾ [سبأ:50] .

وأهل العالية يقولون: ضَلِلْتُ بالكسر، أضَلُّ، وهو ضالٌّ تالٌّ، وهي الضلالة والتَّلالة.

قال الجوهري: لغة نجد هي الفصيحة.

قال ابن سَيّده: وكان يحيى بن وثَّاب يقرأ كُلَّ شيءٍ في القرآن "ضَلِلْت وضَلِلْنا، بكسر اللام. ورجل ضالٌّ.

وأضلَّهُ: جعله ضالاً.

والإضلالُ في كلام العرب ضِدُّ الهداية والإرشاد.

ويقال: أضْلَلْتُ فلاناً إذا وجَّهتهُ للضَّلال عن الطريق.

وللضلال معنى آخر:

قال أبو منصور: والأصل في الكلام العرب وجه آخر يقال: أضْلَلْت الشيءَ إذا غَيَّبَتَهُ، وأضْلَلْت الميِّت دفنته، ومنه قوله تعالى ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [السجدة:10]

وفي الحديث: "سيكون عليكم أُمةٌ إن عصيتموهم ضَلَلْتم" يريد بمعصيتهم الخروج عليهم وشقَّ عصا المسلمين.

وقد يقع أَضَلَّهم في غير هذا الموضع على الحمل على الضَّلال والدخول فيه.

وقوله ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:36] أي ضلوا بسببها لأن الأصنام لا تفعل شيئا ولا تعقل، وهذا كما تقول: قد أفتنتني هذه الدار أي افتتنت بسببها وأحببتها.

وضللت المسجد والدار إذا لم تعرف موضعها، وضللت الدار والمسجد والطريق وكل شئ مقيم ثابت لا تهتدي له. وضلَّ هو عني ضلالاً وضلالةً.

وفي الحديث " **ضالة المؤمن**" قال ابن الأثير: وهى الضائعة من كل ما يُقتنى من الحيوان وغيره .

وقال الجوهرى : الضالة من البهائم للذكر والأنثى يقال: ضل الشئ إذا ضاع. ضل عن الطريق إذا جار.

قلت: ومادة "**الضلال**" واسعة جدا في المعنى وراجع كتب اللغة والتعريفات.

أقول: الآيات الواردة في كتاب الله تعالى عن هذه المادة كثيرة جدا وهي من أكثر الآيات والكلمات استعمالاً.

فورد معنى "**الضلال**" بمشتقاته نحو من مائة وتسعة وسبعون آية مقسمة على هذا النحو:

الضلال الخاص بالخالق سبحانه وتعالي والمنسوب إليه نحو من ثلاثين موضعًا كقوله : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية:23]

وكقوله تعالى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾ [الأعراف:155]

وقوله ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم:27] وقوله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [فاطر:8] ونحوها في [المدثر:31] وقوله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء:88] والآيات كثيرة جداً.

أما الضلال المنسوب إلى الشيطان ففي ستة مواضع :-

الأول: قوله تعالى ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [فُصِّلَت:29]

الثاني: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:29]

الثالث: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾[النساء:119]

الرابع: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج:4]

الخامس: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:60]

السادس: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:15]

وهناك ضلال بسبب الهوى :

مثل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:119]

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾ [المائدة:77]

وقوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ﴾ [الجاثية:23]

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:26]

والضلال المنسوب إلى الناس :

مثل قوله تعالى ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان:17]

وكقوله تعالى ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ [سبأ:50]

كقول تعالى ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء:99]

وكقوله تعالى ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه:85]

وكقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[المائدة:77]

وكقوله تعالى ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام:116]

وهناك ضلال منسوب إلى السادة والكبراء :-

كقوله تعالى﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب:67]

وكقوله تعالى ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ [الأعراف:38]

وضلال بسبب الشرك وعبادة الأوثان:

وهناك منسوب إلى الكفار.

وهناك فريق من البشر اشتروا الضلال تاجروا به.

كقوله تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[لقمان:6]

ومن تتبع آيات الضلال والإضلال في القرآن لوجد عجبًا، ولو أن هناك من يقيده الله لهذه المهمه لاستخرج لنا معنى كثيرة، وفوائد جمة.

ولولا أني بصدد ضلال الشيطان لتوسعت في هذا الباب .

أقول: من تتبع الأنواع المذكورة والمنسوبة لأصحابها لوجدها جلها من الشيطان وعائد إليه وهو منشأها وهو سببها، فهو تارة يضل بنفسه، وتارة يستخدم أتباع يضل بهم غيرهم، فهو مرة يباشر العمل بنفسه ، ومرة أخرى عن طريق أتباعه وجنوده وهذا لأمر في جميع معاركه تقريبًا، والله أعلم.

أما الآيات المنسوب فيها الإضلال للشيطان: كقوله تعالى: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾[النساء:118،119]هذه الآية جديرة بالإهتمام والتصنيف.

قال القرطبي رحمه الله-:

(لعنه الله) أصل اللعن الإبعاد. وهو في العرف إبعاد مقترن بسخط وغضب، فلعنة الله على إبليس – عليه لعنة الله – على التعيين جائز، وكذلك سائر الكفرة الموتى كفرعون، وهامان، وأبي جهل، فأما الأحياء – ففيه تفصيل.

قوله تعالى: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴾ أي: وقال الشيطان، والمعنى: لأستخلصنهم بغوايتي وأضلنهم بإضلالي، وهم الكفرة والعصاة[1]

قلت: اللام للقسم.

أي: أن هذا الملعون أقسم أن له من عباد الله نصيبًا – والناظر اليوم يجد هذا النصيب قطيع كبير من البشر- مفروضاً أي مقطوعاً ومقدرًا من عبادتهم بأن يعبدوا غيرك، أو يراؤوا فيها، أو يعجبوا بها، أو يتلفوها في المظالم، أو يحبطونها بالكفر بعدها[2]

(1) تفسير القرطبي (3/ 388).

(2) تفسير القاسمي (3/ 348).

أي أن هذا الملعون أقسم أنه سيتخذ من العباد نصيبًا، ممكن أن يكون هذا النصيب هو أكثر من نصف البشرية وممكن أن يكون أكثر البشرية، لكن حينما تمعن النظر تجد أن هذا النصيب هو الجزء الكبير جدًا من الكل بدليل أن عدد المسلمين اليوم لا يمثلون ربع العالم وبقية العالم غير مسلمين، فمنهم النصارى أصحاب التثليث، ومنهم اليهود أعداء البشرية، ومنهم اللادنيين اللذين ليسوا لهم دين، ومنهم اصحاب معتقدات فاسدة، هذا بالنسبة لأكثر من ثلاثة أرباع العالم، تأتي للمسلمين تجد أن معظهم شيعة زنادقة ، ومنهم متصوفة عباد قبور، ولك أن تنظر في الموالد التي تقام كل عام هنا وهناك والكم الكبير من البشر وهم يقدمون النذور للأولياء، وغير ذلك من الشركيات، ثم تنظر في بقية المسلمين بعدما تستخرج منهم الشيعة والصوفية، تجد أنهم أحزابا وشيعًا، وأهل السنة منهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، والله المستعان. فهولاء جميعا اقتطعهم الشيطان لنفسه واتخدهم عبيدًا له، وصنف لهم الأله، والعبادات والمعتقدات.

فهولاء هم النصب المفروض للشيطان لعنه الله.

ثم قال الشيطان لعنه الله (**ولاضلنهم**) هذه هو القَسَم الثاني. (**ولامنيهم**) القَسَم الثالث. (**ولآمرنهم**) هذه هو القَسَم الرابع.

القَسَم الثاني: أَقْسَم ليضل البشرية أو النصيب الذي افترضه لنفسه. أي: أصرفنهم عن طريق الهدى، بجميع وسائل الضلال والإضلال.

وهذا القَسَم الشيطاني يذكرني بالقَسَم الشيطان الآدمي الذي أَقْسَمَهُ الملحد كارل ماركس حينما قال: لأنسينهم – الله – بالمسرح والسينما والتليفزيون!!!

ولقد نجح إلى حد كبير بمعاونة إبليس في ذلك.

واليهود أقسموا أنهم ليضلوا البشرية على رأسهم المسلمون بالكرة... ونجحوا في ذلك نجاحاً ساحقاً.

وآخرون أقسموا علي إضلال البشرية علي رأسهم المسلمون جاصةً بالغزو الفكري ، ونجحوا وجاء الدور على العلامانيين.. ليضلوا البشرية بفقد الهوية.

أما القسم الثالث: (**ولامنينهم**) أي: الأماني الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال.

قال الرازي: إن الشيطان لما ادعى أنه يضل الخلق قال: (**ولامنينهم**) وهذ يشعر بأنه لا حيلة له في الإضلال اقوى من إلقاء الأماني في قلوب الخلق، وطلب ما يورث شيئين: الحرص والأمل، والحرص والأمل يستلزم أكثر الأخلاق الذميمة، وهما كالأمرين اللازمين لجوهر الإنسان. قال ﷺ " يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان: الحرص والأمل[1] والحرص يستلزم ركوب أهوال الدنيا، وأهوال الدين. فإنه إذا اشتد حرصه على الشئ فقد لا يقدر على تحصيله إلا بمعصية الله وإيذاء الخلق، وإذا طال أمله نسي الأخرة وصار غريقًا في الدنيا فلا يكاد يقدم على التوبة،ولا يكاد يؤثر فيه الوعظ فيصير قلبه كالحجارة أو أشد قسوة[2]

(**ولامنينهم**) أي: لأسولن لهم من التمني، وهذا لا ينحصر إلى واحد من الأمنية، لأن كل واحد في نفسه إنما يُمنّيه بقدر رغبته وقرائن حاله. وقيل: لأمنينهم طول الحياة الخير والتوبة والمعرفة مع الإصرار[3]

قلت: لا شك في أن الأمنية إذا اتصلت بالشيطان ففيها الكذب، وفيها مخالفة الشرع،وفيها طلب العلو في الدنيا وإن كان على حساب الدين.

ولو عاش هؤلاء العلماء وأصحاب التفاسير لوجدوا أن الأماني هذه الأيام هي التي وعد بها إبليس أتباعه، وأولياءه، هي تلك الأماني التي يتمناها الشباب والفتيات، بأن يصبحوا مغنين أو ممثلين أو لاعبي كرة...الخ.

كان الشاب في زمن الفضل يتمنى أن يكون عالما بالحديث أو بالتفسير أو بالفقه، أو أن يكون مثل العالم الفلاني.. كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله- شربت ماء زمزم..كذا سنة..لأجل أن أصل إلى مرتبة الحافظ الذهبي.

فهذه أماني من كان في زمن أهل الفضل، لكن اليوم تشتت الأماني، فمع نقص الدين وقلة العلم، ووقوع أكثر الخلق في قبضة الشيطان، وموت أكثر العلماء، تلاعب الشيطان بأماني الناس، وحق له ذلك ما دام أن هناك من يحارب السنة، ويحارب

(1) أخرجه البخاري (6058) ومسلم (1047) .
(2) محاسن التأويل (3/ 348) .
(3) تفسير القرطبي (3/ 338) .

العقيدة الصحيحة، ويحارب أهل الفضل ،ويحارب الفضيلة.. واصبح أهل الفضل والسنة اليوم كمثل ما قال أهل الفسق والفجور من قوم لوط ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[الأعراف:82] فهذه هي جريمة أهل الفضل: العفة، والطهارة..فأصبحت العفة والطهارة من الجرائم التي يعاقب عليها القانون!!!

أما القسم الرابع: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾[النساء:119] .

قال الواحدي – رحمة الله-:

"التبتيك، هنا هو: قطع آذان البحيرة، بإجماع المفسرين، وذلك أنهم يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسه أبطن، وجاء الخامس ذكرًا ثم تسيب، وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها، فأعفوا ظهرها من الركوب والجمل والذبح، ولا يردونها عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المُعي المنقطع به لم يركبها، وسوَّل لهم إبليس أن هذا قربة، وهي البحيرة [(1)]

القسم الخامس: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[النساء:119]

قال القرطبي: اللامات كلها للقسم. واختلف العلماء في هذا التغيير على أقوال.

وأقول : الآية فيها أمور:

الأول: قسم الشيطان أنه سوف يغير ما خلق الله تعالى، سواء كان بشرًا أم حيوانًا أو غيره.

الثاني: جاء بعد القسم الفاء التعقيبية ثم تبعها لام الأمر، الذي يفيد سرعة الأمر بعد القسم ، أي بين القسم والتنفيذ مجرد السرعة.

ومعنى هذا أنه من الاستهزاء بالبشر لن يقوم هو بهذا الأمر، بل أنه اقسم أنه يأمرهم، فيقومون هم بالتغيير، أي الذي سيتولى التغير هم وليس الشيطان، إمعانا في استعباد البشرية.

الثالث: أن قوله(**خلق الله**) كل ما هو مخلوق لله من بشر أو حيوان أو حتى البنيان، ومن استقرأ الأحكام الشرعية وجد أن اللفظ للعموم.

(1) محاسن التأويل (3/ 349).

أول ما وقع عليه التغير. فطرة الإنسان كما قال ﷺ **"كل مولود يولد على الفطـرة"** وقوله عليه السلام " **قال الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين"** الحديث ثم غير عبادتهم ، ولقد ظل الناس يعبدون الله فترة من الزمان حتى جاء جماعة من الصالحين الذين دكرهم الله في سورة نوح، وسول الشيطان للناس عبادتهم فغير التوحيد، وأوقع الشرك في الأرض ثم مالبس الشيطان أن غير أشكالهم فتلاعب بملابسهم ثم اشكالهم، حتى حلقوا لحاهم، وتلاعب بشعورهم، فأصبح للشعر عشرات الأوضاع والمسميات،حتى أن ابن القيم – رحمه الله – جعل للشعر عند الحلق خمسة أحكام، أي الأحكام التكليفية الخمسة. وتلاعب بلحاهم فمنهم من خَفَّهـا، ومنهم من حلقها وترك الجزء الذي هو أسفل الحنك ويُسمى **(سكسوكه)** ومنهم من ترك سوالف وحلق الباقي، وأصبح للحية أشكال كثيرة وهذا من تلاعب الشيطان بالرجال وبلحاهم.

وتلاعب بشعر المرأة وغيَّره عن خلقته، فقصَّره مَرَّة، وكعكعه مَرَّة، وكل هذا من تلاعب الشيطان بالمرأة.

وجعل الرجال يرفعون حواجبهم تارة، ويوصلونها تارة، والنساء مثل ذلك.

وجعل الرجال يتلاعبون بشواربهم، فمنهم من أسرف في إطالته، وأخذ يتباهى به، ويسرف عليه الأموال الكثيرة – ثم وسوس لهولاء فكونوا جمعية سميت **(جمعية أبو شنب)** وانضم إلى هذه الجمعية مخابيل ومهابيل لا يحصون عددا.

وآخرون رفعوا الشارب فأخذوا من أسفله ومن أعلاه أشبه برباط الجزمة...

وآخرون جذوه فلم يبقوا منه شيئاً..

وآخرون فصلوه عن اللحية، وآخرون أوصلوه باللحية... وغيرَّ زي المرأة فشبهها: بالرجال، وشبه الرجال بالنساء..واختلط الحابل بالنابل..حتى أنك من الصعب هذه الأيام أن تميز الرجال من النساء إلاّ عند التدقيق.. وسبحان الذي لا يتغير. وكان للمرأة جانب الطريق فغير ذلك وجعل لها وسط الطريق- وصح عن ﷺ أنه قال **"ليس المرأة وسط الطريق"** ولا أغالى إن قلت: أن الرجل الآن يمشي على حافتي الطريق خوفاً من أن يتخبط بالنساء اللوتي يقفن في وسط الطريق!

فغير الشيطان جل الحياة..حتى أنك إذا دخلت بيت مسلم إلا تكاد تجزم أنه ليس فيه مسلم!!

أقول: ماذا بقى في الحياة لم يتغير- ولم يأمر الشيطان بتغيره.

أما تغير خلق الله في الحيوانات والماشية والأنعام فحدث ولا حرج، وراجع سورة الأنعام،وتفسير القرطبي وابن كثير وغيرهما في تفسير هذه الآية.

وأنا ما تحدثت بعد في " **خلق الله** " كما ينبغي، وإلا فنحدث عن تغير الرجل شكله وهيئته وملابسه، حتى جلده، والمرأة مثل ذلك، وهذا يحتاج إلى مصنف كبير.

أعود فأقول: ما هو الشئ الذي لم يتغير عن فطرته حتى الآن؟!

(11)
عمـــل الشيطـــان

أعلم رحمني الله وإياك أن عمل الشيطان متنوع ومختلـف، ولا يقـف عنـد وصـف معين، ولا حد معين، فكل ما سبق وكل ما هو أت من عمل الشيطان، والآيات الدالة على جنس عمله في القرآن سبع آيات منها قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:90] . فذكر الله تعالى أربعة أشياء من الأعمال الرئيـسية للـشيطان ثـم صدَّر هذه الأشياء بنداء لأهل الإيمان، ثم أمرنـا بالاجتنـاب عنـه، ثـم علَّـق الفـلاح والنجاح والفوز في الدنيا والآخرة على اجتنابها .

قال القرطبي – رحمه الله-:

قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ خطاب لجميـع المـؤمنين بـترك هـذه الأشـياء، إذا كانـت شهوات وعادات تلبسوا بها في الجاهلية وغلبت على النفوس فكان نفيٌّ منها – أي بقية منها – من نفوس كثيرمن المؤمنين.

قال ابن عطية - رحمه الله-:

" ومن هذا القبيل هوى الزجر بالطير، وأخذ الفأل في الكتب ونحـوه، ممـا يـصنعه الناس اليوم، وأما الخمر فكانت لم تحرم بعد، وإنما نزل تحريمها في سنة ثلاث بعد وقعة أحد وكانت وقعة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة"[1]

أقول والله أعلم: مع أن (**إنما**) من أدوات الحصر والقصر، فلا يظـن أحـد أن عمـل الشيطان محصور في هذه الأربع ولكن حصرها ليعلم أن هي من أخطر أعمال الشيطان، مثل قوله ﷺ **"الحج عرفة"** ولا يشك عاقـل أن الحـج لـيس مقـصورا عـلى الوقـوف بعرفة، ولكن علق الكل على الجزء ، علم أهمية الجزء، وأعمال الشيطان ليست محصورة، بل إنه تتفنن في غواية البشرية، وكل يوم يـأتي بجديـد، وحيـل جديـدة، حـيَّرة البـشر وأضلت البشرية.

(1) المحرر الوجيز (5/ 26) وتفسير القرطبي(3/ 623).

فهذه الأربعة تعد من الكبائر العظام، بل أكبر الكبائر.

الأولى: الخمر.

والخمر: ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل.

يقال: خمر وجهه، وخمر إناءك. والمخامرة: المخالطة.

قال ابن الأعرابي: وسميت الخمر خمرًا لأنها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها،وقيل سميت بذلك لمخامرتها بالعقل.

والخمر: ما خمر العقل وهو المسكر من الشراب(1)

وأخرجه البخاري (4619) ومسلم (2322) من حديث عمربن الخطاب أنه قال في خطبته: "أيها الناس، إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل.

وأخرجه البخاري (4616) **عن ابن عمر قال:**

"نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة ما فيها شراب العنب"

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ **"لعنت الخمر على عشرة وجوه، لعنت الخمر بعينها، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها،وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها"(2)**

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : **"كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر فمات وهو يدمنها ولم يتب منها، لم يشربها في الآخره"(3)**

وعنه "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى" (4).

وعن عبد الله بن عمرو مرفوعاً **" لا يدخل الجنة منان، ولا عاق والديه، ولا مدمن خمر" (5)**

---

(1) اللسان مادة (خمر).

(2) أخرجه أحمد (2/ 25) وأبو داوود (3674) وابن ماجه(3380) وسنده صحيح.

(3) أخرجه مسلم (3/ ص578-73) وأبو داوود (3679).

(4) أخرجه أحمد (2/ 69) والنسائي (2561) وهو صحيح.

(5) أخرجه أحمد (2/ 164) والنسائي (5688) والبيهقي (8/ 288) وسنده صحيح.

ولقد بلغت الأحاديث الدالة على تحريم الخمر العشرات، ولقد أجمعت الأمة سلفًا وخلفًا على تحريمها.

وهي من أكبر الكبائر كما في "الصحيحين" **من أكبر الكبائر... وذكر وشارب الخمر"** وصح أنه ﷺ قال: **" مدمن الخمر كعابد وثن"**[(1)]

العمل الثاني: الميسر، القمار.

وقال على بن أبي طالب – رضي الله عنه:- الشطرنج من الميسر" وقال مجاهد وطاووس: كل شئ من القمار فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز.

وقال راشد بن سعد وحمزة بن حبيب: حتى الكعاب، والجوز، والبيض التي تلعب بها الصبيان.

قال ابن عمر: الميسر هو القمار.

وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الأعرج: الميسر الضرب بالقداح على الأموال والثمار.

وقال القاسم بن محمد: كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر.

وجاء مرفوعا بسند ضعيف عن أبي موسى" **أجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر بها زجرًا فإنها من الميسر"**. فعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ **"من لعب بالنرد شير فكأنما سبغ يده في لحم خنزير ودمه"** رواه مسلم (4/ 10 – 1770) وابن ماجه (3763) وأحمد (5/ 357).

وعن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: "من لعب النرد فقد عصى الله ورسوله".

أخرجه مالك(2/ ص958) وأحمد (4/ 400) وأبو داوود(4938) وابن ماجه(2762) وهو صحيح.

وأما الشطرنج فقال عبد الله بن عمر: إنه شر النرد وقال عليّ رضي الله عنه: إنه من الميسر.

ونص مالك وأبو حنيفة وأحمد على تحريمه وكرهه الشافعي ورجح شيخ الإسلام تحريمه.

(1) صحيح- أخرجه البخاري في "تاريخه" والبيهقي وراجع الصحيحة(2177).

العمل الثالث: الأنصاب.

قيل: هي الأصنام. وقيل: النرد والشطرنج.

وقال ابن عباس ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وغير واحد: هي حجارة كانوا يذبحون قربينهم عندهم.

أقول الثلاثة : [الخمر، والميسر، والأنصاب] من أسماء الأجناس فالخمر، ما خامر العقل، وكل ما أذهب العقل فهو من الخمر، فيدخل تحتها كل ما أسكر فهو خمر، وكل ما أذهب العقل فهو من الخمر، فيدخل التدخين، والمعسل، والجراك، وإن كان الأصل فيها خمر العنب .

والميسر، اسم جنس، يطلق على كل قمار، فيدخل في ذلك من لعب الكره على مال، ولعب الكوتشينة على مشروبات، ولعب السيجة على عوض، وحتى مسابقة الخيول على مال، والحمام والكلاب.. وكله من الميسر، فليس الميسر نوع معين. والله أعلم.

والأنصاب. جمع: نصب. ممكن أن يكون صنم، وممن أن يكون قبر، أو حجر، أو شجر، أو بقر يعبد من دون الله، فكل ما نصب للعبادة من دون الله فهو من الأنصاب والله أعلم.

والأزلام: القداح، وإن كان الأصل فيها القداح وضربها، إلا أنها أعم من ذلك، وهناك أمثلة كثرة حديثة تشبه القداح مثل: من يمسك أو تمسك بوردة، وتقطف منها ورقة ثم تقول (**سيأتى**) والآخرى (**لن يأتي**) أو (**يفعل**) والآخرى (**لن يفعل**) حتى أخر ورقة، فإذا خرجت أو قطعت أو قطف آخر ورقة وكانت على (**لن يفعل**) استسلم للأمر أو استسلمت للأمر وأيقنت بعدم الفعل أو بالفعل حسب آخر ورقة... وهكذا..

وانتشر هذا النوع في الأفلام والمسلسلات المصرية وذلك لغرس مثل هذا الشر في نفوس المتفرجين، وصرفهم عن الدين، وعودتهم إلى احكام الجاهلية...

أو يقف على شاطئ بحر أو نهر ويمس بحصى"، ويرمي بالوحدة باداء (**أفعل**) حتى آخر حصاه، فإن خرجت على (**لا تفعل**) رجع يأسا حزينا.. على أن حظه عسير**!!!**

وكله يشبه هذه الأزلام.. وهي أقلام داخل القداح كتب على كل واحد منا (**افعل**) (**لا تفعل**)... وهذا من عمل الشيطان وكل هذا أمر الله تعالى باجتنابه، وعلق الفلاح على تركه والبعد عنه.. ولعلك أخي المسلم أدركت الآن لماذا لم يحالفنا الفلاح؟!

أما الآية الثانية:

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ [الأنفال:48] ففي هذه الآية قام لعنه الله – بتحسين الأعمال القبيحة في نظر أولياء وأتباعه، وقام بتقبيح الأعمال الحسنة في نظرهم وإن ، من أشد البلاء والاختبار الذي يقع للعبد، وأشد الفتن أن يرى القبيح حسنًا والحسن قبيحًا، ثم يعتقد أن ما عليه من القبيح هو الحسن بعينه، فتراه يفعل ما حرم الله دون حياء من الله، أو خوف منه سبحانه، لأنه قد انتكست فطرته، وتحولت مشاعره، فيفعل القبيح ويتباهى به، ويفتخر بفعله، ولا يرى هذا حسنًا إلا هو في الوقت الذي يراه الناس جميعًا على القبيح. ومن ذلك ما وقع لبعض الفرق الكلامية مثل المعتزلة وغيرهم الذين يقولون بالتقبيح والتحسين العقلي، أي أنهم أعطوا للعقل حق التقبيح والتحسين، فما قبحه العقل فهو القبيح وما حسنه العلق فهو الحسن، وهذا أقبح ما وقعوا فيه.

وأهل السنة على خلاف ذلك، فالذي يقبح ويحسن عندهم هو الشرع، فما قبحه الشرح هو القبيح، وما حسنه الشرع فهو الحسن.

ولقد اشتهر عن الشافعي – رحمه الله- أنه قال: "من استحسن فقد شرع" أي من انفرد بعقله بالتحسين أو التقبيح فقد شرع وانصب نفسه مشرع.

فإذا زين الشيطان للعبد عمله واتبعه على هذا فقد هلك العياذ بالله. لأجل ذلك نقول: على العبد أن يعرض عمله وقوله وفعله على الشرع فإن كان موافقًا له فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فعليه بمراجعة أمره قبل أن يقف على عتبة الموت فيجد أن أعماله كلها ردت عليه. كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:103،104]

وقال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:23]

الآية الثالثة:

قولــه تعــالى : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل:63]

إن الشيطان لم يزن لهذه الأمة وحدها عملها، بل زين للأمم السابقة جميعها.. بـل زيـن لجميع من لدن آدم حتى قيام الساعة.. ولذلك من نجى منه في السابقة، هو ما أخبرنا النبي ﷺ في حديثة الصحيح حيث قال: " **افترقت اليهود إلى أحدى وسبعين فرقـة، وافترقـت النضاري إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة إلى ثلاثة وسبعين فرقـة"** وانتخـب من الفرق فرقة واحدة من كل أمة للجنة فانظر هذه النسبة الكبيرة التي زين لهـم الـشيطان أعمالهم، فقد زين لليهود حتى جعلهم الأمـة المغـضوب علـيهم، وزيـن للنـصارى حتـى جعلهـم الأمـة الـضالة، وزيـن للمعتزلـة، والخـوارج، والمرجئـة، والمعطلـة، والمـشبهه، والمجسمة، والجبرية، والشيعة.. الخ ربما زين لهم الضلال فأتخـدوه دينـا، وإذا لم يـستطع، فزين لهم في الهدى فيقع فيه الرياء، ويزين لهم الحق حتى يخلطوه بالباطل أو بعض الباطل، وقليل من العباد من ينجو من شره، كما قال ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[ص:83]أي الذين استخلصهم الله تعالى لنفسه، فنسأل الله جل في علاه أن يجعلنا وسائر إخواننا منهم.

الآيــة الرابعــة: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل:24] .

هذا نوع أخر من تزيين العمل، زين لهم عبادة الشمس من دون الله ثم استخدم مع التزيين الصد..أي حتى يتم الضلال حجب عنهم الهداية وصدهم عنها، ووقف حائل بينهم وبين الهداية ثم زين لهم الباطل، وهذا هو مسلك الشيطان، وطريقته في الغوايـة والإضلال، أولاً: يصد عن الحق، ويجعل بين العبد وبين الحق فاصل حتى لا يراه، ثم لا يرى أمامه إلا الضلال، وقبل أن يسلكه يزينه له، حتى يطمئن على أنه الحق، فيعتقد صوابه، حتى إذا ظهر له الحق بعد لا يتبعه، لأن نفسه اطئمنت للباطل وجعلته دينا لها.

قال تعالى ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت:38]

الآية الخامسة:

جاء على لسان نبي الله موسى الكليم عليه السلام قوله : ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:15]

بين أعمال الشيطان القتل وإراقة الدماء بغير حق، وبدون بينة، وأول عمل فعله مع أبناء آدم بعد إخراجه من الجنة هو القتل كما بين ذلك الله تعالى في كتابه ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾[المائدة:27] إلى قوله تعالى : ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:30]

وقوله ﷺ (لا تقتل نفس ظلما، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل). أخرجه البخاري (3335) ومسلم (3/ 27 / 1303-1304) عن ابن مسعود.

وأخرج ابن جرير (6/ 127) عن إبراهيم النخعي: **"ما من مقتول ظلما إلا كان على ابن آدم الأول والشيطان كفل منه"** وسنده صحيح. فهذا العدو المضل يتربص بالبشرية ليل نهار ليقتل بعضهم بعضاً ويستبح بعضهم دماء بعض، نجح إلى حد بعيد في هذه المهمة، فقتل الأخ أخاه، والابن أمه، ووقعت مفاجع أقلقت مضاجع الناس، ووقع القتل بأدنى الشبه، بل بالظن والتخمين، ساعد على ذلك تلك الأفلام والمسلسلات التي ساعدت على تفشي الجريمة في مجتمع المسلمين . وأصبح القتل يراود الصغير قبل الكبير ، وأصبح القتل أو ل العلاج الذي يعالج القضايا والمشاكل ، وتناسي الناس الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية في تحريم الدماء بل تفحيع الناس ، مجرد التفجيع حرام ، ورفع الحديدة، وإشهار السيف في الوجوه، حرام ، فكيف بالقتل ؟! .

(12)
الشيطان يدعو إلي النار

قــال تعــالي : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان:21] .

وقــال تعــالي : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:6]

وقـال تعـالى: ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّۖ ﴾
[إبراهيم:22]

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الحج:4] .

ويلاحظ في هذه الآيات ما عدا سورة إبراهيم، أنه ضمنها بالسعير، وكأن الـشيطان يدعو أصحابه وأولياءه وأتباعه إلى هذا الدرك من النار، هذا الدرك على الـراجح مـن أوقوال المفسرين أنه الدرك الرابع كما روى ابن جريـر (21191) وابـن أبي الـدنيا في **"وصف النـار"** عـن ابـن جـريج أنـه قـال في تفـسير قولـه تعـالى ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾ [الحِجر:44] قال: أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثـم سـقر ثـم الحطـيم ثـم الهاوية وفيها أوبو جهل" وإسناده صحيح.

نعم..لم يصح في المرفوع من هذا الترتيب أي أثر ، كما أوضحت في كتاب **"التخويف من النار"** لكن لما صح ذلك عن ابن جريج، فقوله يستأنس به وهذا الاسم للنار وهـو **"سعير"** ورد في القرآن ثمانية عشر مرة.

وهي الرابع في عدد المرات ، فالنار ذكرت 127 مرة في 55 سورة .

وجهنم – 77 مرة في 39 سورة .

والجحيم 26 مرة في 18 سورة .

والسعير 18 مرة في 14 سورة .

ثم الهاوية مرة واحدة

ولظي مرة واحدة

فهذا مما يعضد قوله ابن جريح والله أعلم .

ومعنى كلمة " **سعير** "

سَعَرَ النار والحرب يَسْعَرُهما سَعْرًا وأسْعَرَهُما وسَعَّرهما : أوقدهما وهَيَّجَهُما .

واستعرت وتسعرت : استوقدت . ونار سعير : مسعورة .

وقوله تعالي : ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير:12] والتشديد للمبالغة .

وقوله " وكفي بجهنم سعيراً " تقول سعرت فهي مسعورة " ومنه قوله تعالي : ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك:11] أي : بُعداً لأصحاب النار .

والسَّعيرُ والسَّاعُورةُ : النار . وقيل : لهبها . والسُّعا روا السُّعرُ : حَرَّها .

ويقال : سُعِرَ الرجلُ فهو مسعُورٌ إذا اشتدّ جُوعه وعطشه .

والسُّعْرُ : شهوة مع جوع .

والسُّعْرُ والسُّعُرُ : الجنون . ومنه قوله تعالي ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر:47] قال الفارسي : لأنهم إذا كانوا في النار لم يكونوا في ضلال لأنه قد كشف لهم . وإنما وصف حالهم في الدنيا [1]

أقول : وهذا الأوصف كلها اجتمعت في أهل سعير والعياذ بالله . فهم في النار يحترقون بلهيبها ، ويستعيرون بنيرانها ، لا يذوقون فيها الموت ، ويتجرعون فيها الغصص ، لا يأكلون إلا الضريع ، يصابون الجنون من شدة التعذيب خاصة عندما يطلبون أن يخفف عنهم يوماً من العذاب ، ولا يكون ، فالعذاب مستمر والتحريق متواصل ، والصراخ دائم .... نعوذ بالله من ذلك .

فهذه هي " **السعير** " التي يدعو إليها الشيطان أصحابه ، ويهدي إليها أولياءه، ويدفع إليها أحبابه ، ويلقي فيها أتباعه .

---

(1) لسان مادة (**سعر**)

في المقابل : ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:221] فانظر إلى ما يدعو إليه إبليس، وإلى ما يدعو إليه الرءوف الرحيم ؟ !

والشيطان ليس وحده هو الذي يدعو إلى النار ، فهناك أتباع من البشر ، وأئمة يدعون إلى النار أيضاً كما قال تعالي : ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص:41] القصص ، فهناك من البشر ومن الناس من يدعو إلى النار أيضاً ، كما في الحديث " خط النبي ﷺ خطاً وخط على جانبي الخط خطوطاً .

وقال : أن على كل باب منها داع يدعو إلى النار .... " الحديث .

وهؤلاء الدعاة لا ينقطع منهم زمان ، ولا يخلو منهم مكان ، فهم في كل زمان ومكان ، يُلبسون الحقَّ بالباطل ، ويزينون الباطل للناس ، وما أكثر هذه الأيام ممن يُلبِّس الباطل ثوب الحق والحق ثوب الباطل ، وما أكثر هذه الأيام من المفتين الذين يفتنون الناس ، ويضلون الأمم لأجل إرضاء السادة والحكام!

(13)
خُذلان الشيطان

قال تعالى : ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:29]

قال في اللسان " (**مادة خذل**)

خذل : الخاذلُ : ضد الناصر . خَذَلَهُ وخَذَلَ عنه يخذلهُ خُذلاً وخُذلاناً : ترك نُصرته وعونه .

والتخذيل : حمل الرجل على خِذْلان صاحبه ، وتثبيطه عن نصرئه.

وخذلان الله للعبد : أن لا يعصمه من الشبه فيقع فيها، نعوذ بالله من ذلك .

وخذل عنه أصحابه تخذيلاً : أي حملهم على خذلانه .

وتخاذلوا : خذل بعضهم بعضاً .

وفي الحديث : المؤمن أخو المؤمن لا يخذ له " الخذل : ترك الإعانة والنصرة .

فالشيطان أخزاه الله ولعنه ، يوضع العبد ويورده موارد الهلكة ثم يترك نصرته ، ويورد عليه الشبهات ليقع في الحيرة ، ثم يدعه ويفر .

قال الحافظ ابن كثر - رحمه الله - :

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ **أي : يخذله عن الحق ، وبصرفه عنه ، ويستعمله في الباطل ، ويدعوه إليه " (1)**

وقال الإمام القرطبي رحمه الله :

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ الخذلان الترك من الإعانة ومنه خذلان إبليس لما ظهر لهم في صورة سراقة بن مالك ، فلما رأي الملائكة براً منهم ، وكل من صد عن سبيل الله وأطيع في معصية الله فهو شيطان للإنسان ، خذولاً عند نزول العذاب والبلاء " (2) وخلاحة القول : الشيطان يستدرج العبد إلى المعصية إن كان في أرض

---

(1) تفسير ابن كثير (6 / 119)

(2) تفسير القرطبي (7 / 28)

السلم ثم يوصله إلى الكفر ثم إذا كفر قال له (**إني بريء منك إني اخاف الله رب العالمين**) وإن كان في دار الحرب استدرجه إلى أرض القتال ووعد بالنصر ، وصغَّر له أمر عدوه ، وقللَّ في عينه عدد عدوه، وكثير في نظره عدده وقوته ، حتى إذا لقي العدو ، ترك أرض القتال وخذله ، وتركه يصارع الموت .

فهذه حقيقة الشيطان ، يوعد ويخلف ، يشحذ الهم نحو الهدف ثم يتخلف عن النصرة ، ويخذل صاحبه أشد الخذلان ، لأن هذا شأنه ، وهذه هي سجيته ، لأنه لا ولن يخلف طبيعته أبداً .

(14)
استفزاز الشيطان

قال تعالى : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء:64]

والآية فيها " **الإستفزاز** " و " **الجلب** " بالخيل والرجل ، وفيها الذي أشر منها وهو " **المشاركة في الأموال والأولاد** "

أما حرب الاستفزاز ، فهي حرب بشعة ، إذا دخل فيها العبد مع الشيطان فهو خاسر لا شك .

والأستفزاز: من الفزِّ ، وأصل معناه : القطع . ومنه : تفزَّز الثوب إذا انقطع ، ويقال للحفيف فزَّ .[1]

وقال في اللسان " واستفّزه من الشيء : أخرجه، واستفزه : ختله حتى ألقاه في مهلكة ، واستفزّه الخوف أي : استخفَّه " .

واستفزه: استخف به .

قال ابن جرير – رحمه الله – " واستفزز " واستخف .

واستجهل ، من قولهم : استفزَّ فلانًا كذا وكذا فهو يستفزه " وقال الزَّجَّاح : " **معناه استدعهم استدعاءً تستخفَّهم به إلى إجابتك** "[2]

قال ابن العربي المالكي رحمه الله :- " واستفزز " فيه قولان :

أحدهما : استخفهم.

الثاني : استجهلهم .

ولا يخفّ إلا من يجهل ، بالجهل تفسير مجازي ، والحقة تفسير حقيقي "[3]

وقد فسر أكثر أهل التفسير " **الاستفزاز** " بالاستخفاف .

---

(1) تفسر الطبري (15 / 118)

(2) معاني القرآن (3 / 250)

(3) أحكام القرآن (3 / 1217) .

قال القرطبي : " **واستفزز" أي** : استزل واستخف، وأصله القطع ، ومنه تفزز الثوب إذا انقطع ، والمعني : استزله بقطعك إياه عن الحق ، واستفزه الخوف أي استخفه . وقعد مستوفزًا أي : غير مطمئن " **واستفزز** " أمر تعجيز ، أي أنت لا تقدر على إضلال أحد، وليس لك على أحد سلطان فافعل ما شئت" (1) .

" والأستفزاز وسيلة من وسائل الشيطان التي يكيد بها بني أدم في صراعه الطويل معهم ، فوسيلة الاستفزاز التي يستخدمها عدو الله هي الاقوال والأفعال التي تثير الشهوات وتشعل الغرائز في النفس الإنسانية ، ومن ثم الأنقياد إلى ارتكاب الفواحش والمحرمات والوقوع في شباك الشيطان التي تصبها لبني آدم ، فهذه الإستفزازات الشيطانية هي المعركة الصاخبة ، تستخدم فيها الأصوات والخيل والحيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات ، يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة ، أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبرة ، فإذا استدرجوا إلى العراء أخذتهم الخيل وأحاطت بهم الرجال " (2)

والأستفزاز يكون بالصوت ، والصوت فسر بأشياء منها : الغناء – قال مجاهد : باللهو والغناء ، أي : استخفهم بذلك .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كل داع دعا إلى معصية الله عز وجل ، وقاله قتادة واختاره ابن جرير (3)

قال ابن جرير : معني صوت الشيطان : أولي الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال : إن الله – تبارك وتعالي – قال لإبليس : واستفزز من ذرية أدم من استطعت أن تستفزه بصوتك ، ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت ، فكل صوت كان دعاً إليه وإلى عمله وطاعته ، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تعالي : ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾[الإسراء:64] (4)

---

(1)

(2) ظلال القرآن (4 / 2239) وعداوة الشيطان (ص 292 – 293)

(3) تفسير ابن كثير (5 / 98)

(4) تفسير الطبري (15 / 118)

وقال ابن عطيه رحمه الله : **" والصواب أن يكون الصوت يعم جميع ذلك "** [1] وقال شيخ الإسلام **" وهو شامل له ولغيره من الأصوات المستفزة لأصحابها عن سبيل الله "** [2]

أقول بعد علم الله : الصوت جاء هنا غير مقيداً بنوع ، أو غيره ، فهو يعم ، الغناء، والوسوسة ، والهواجس ، والأوامر ، والخواطر ، وبالخوف ، وبالثمني ، وبالأمن ، في اليقطة والمنام ، وعند الغني والفقر ، وعند الضعف والشدة، والصحة والمرض.

فمثلاً : عند الفرح بالزغاريد ، وعند الحزن بالصراغ والعويل . ولهذا قال ﷺ : **"صوتان ملعونان في الدنيا والأخرة : مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة "** [3]

وفي رواية " نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين ، صوت عند نغمة لهو ، ولعب ومزامر الشيطان ، وصوت عند مصيبة ، لطم وجوه ، وشق جيوب ، ورنة شيطان " [4]

ويخوف أولياءه ، إن كانوا في أمن ، ويؤمنهم إن كانوا خائفين ، يعهد إليهم بالأماني ، ويخوفهم بالفقر ، ويأمر بالفحشاء ، ويزعجهم بالموت .. وهكذا حتى يهلكم والعياذ بالله .

ثانياً : الجلب لقوله تعالي : ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[الإسراء:64]

والجلب : أصل الإجلاب السوق بجلبة من السائق . يقال : أجلب إجلاباً ، والجلب والجلبة : الأصوات ، تقول منه : جلَّبوا بالتشديد ، وجَلَبَ الشيء يجلبه ويجلُبه جَلَباً وجَلْباً ، وجلبتُ الشيء إلى نفسي وإحتلبتهُ بمعنىً، وأجلب على العدو إجلاباً أي جمَّع عليهم .[5] فالمعني : أجمع عليهم كلما تقدر عليه من مكايدك .

وقال أكثر المفسرين : يريد كل راكب وماش في معصية الله تعالي ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس.

فما كان من راكب وماش يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس ورجالته . [6] .

---

(1) المحرر الوجيز (9/ 136)

(2) مجموع الفتاوي (11 / 642)

(3) حسن – وانظر تخرجه في " الصحيحة " (428) وفي تحريم الأت الطرب " (ص 51 – 52)

(4) حسن – وانظر تخرجه في " الصحيحة " (428) وفي تحريم الأت الطرب " (ص 51 – 52)

(5) اللسان مادة جلب .

(6) تفسير الطبري (15/ 81) والمحرر الوجيز (10/ 319) وابن كثير (5 / 91)

وروي سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس قال : " كُل خيـل سـارت في معـصية الله ، وكل رجل مشي في معصية الله ، وكل مال أصيب من حرام ، وكل ولد بغية فهـو للشيطان " [1]

والرَّجل جمع راجل ، مثل صَحْب وصاحب، وقرأ حفص (**وَرَجَلِكَ**) بكسر الجيم وهما لغتان . ويقال : رَجْل ورَجِل بمعني راجل ، وقرأ عكرمه وقتادة " **ورجالَك**" على الجمع [2]

والجلب : الصوت الكثير المختلط الهائل ، وأجليت عليهم صحت عليهم بقهر [3]

وجلب الشيطان صياحهُ بهم وَحُثه لهم بالإغواء والدعوة والترغيب والتريين لكـل باطل يرضي عدو الله الشيطان ويسخط الرحمن " [4]

ومنه " نهي رسول الله ﷺ عن الجلب فقال : " **لا جلب ولا جنب** " [5]

والجليب في السباحة : هو أن يتبع الرجل فرسه فيزجره ، ويجلب عليه ويصبح حثاً على الجري .

والجنـب : أن يجنب فرساً إلى فرسه الذي يسابق عليـه فـإذا فـتر الركـوب تحـول إلى المجنوب .

والخيل : الأفراس جمع فرس ، أو الخيول وهي الخيالة . وأما الرجل :

قال التجاري : الرجل : الرجل له واحدها راحل : [6]

وهذه الآية تدل على أن للشيطا خيلاً ورجلاً من الجن والإنس . وهما من الأسلحة التي يستخدمها الشيطان في معركته مع الإنسان ، فهو لا يتورع أن يستخدم أي سلاح في سبيل الوصول للغاية وهي الفتك بالإنسان ، ولا يجوز عنده نبل الوسيلة ولا الرحمة بالإنسان ، ولا إعطاءه الفرصة التسلح عند المبارزة،بل يباغته ، ويأخذه على غرّة ، لأنه جُبل على ذلك .

(1) معاني القرآن لابن النحاس (4/ 173)
(2) المحرر (10/ 319) وهي قراءة شاذة .
(3) معجم مفردات الفاظ القرآن (مادة جلب)
(4) عداوة الشيطان (ص 295)
(5) حسن – انظر الصحيحة وصحيح الجامع (7483) (7484) (7485).
(6) معجم غريب القرآن (ص 67).

قال قتادة ومجاهد أن لإبليس خيلاً ورجلاً من الجن والإنس"

وقال الزَّجَّاج : "وجائز أن يكون لإبليس خيل ورجال " (1)

وقال الألوسي : " وظاهر الآية يقتضي أن للعين خيلاً ورجلاً وبه قال جمع ، فقيل : هم من الجن ، وقيل : منهم ومن الإنس " (2)

(1) معاني القرآن (3 / 250)
(2) روح المعاني (15 / 111)

(15)
مشاركة الشيطان للناس في الأموال والأولاد

لقوله تعالي : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:64]

قال القرطبي رحمه الله :

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي أجعل لنفسك شركة في ذلك فشركته في الأموال : إنفاقها في معصية الله قاله الحسن .

وقيل : هي التي أصابوها من غير حلها قاله مجاهد ، وابن عباس .

وقيل : ما كانوا يحرمونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام قاله قتادة .

وقيل : ما كنوا يذبحونه لألهتهم والأولاد . قاله الضَّحاك .

وقيل : هم أولاد الزني . قاله مجاهد والضَّحاك وابن عباس .

وقيل : هو ما قتلوا من الأولاد وأتوا فيهم من الجرائم . ابن عباس .

وقيل : هو لتسميهم عبد الحارث ، وعبد العزي ، وعبد الات ، وعبد شمس ونحوه عن ابن عباس .

وقيل : هو صبغة أولادهم في الكفر حتى هوَّدوهم ونصَّروهم ، كصنع النصاري بأولادهم بالغمس في الماء الذي لهم قاله قتادة (1) .

وقيل كما روي مجاهد أن الرجل إذا جامع زوجته ولم يسم انطوي الجان على إحليله فجامع معه ، فذلك قوله تعالي : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:56]

وروي من حديث عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ " **إن فيكم مُغَرَّبين** " قلت : يا رسول الله ، وما المغرَّبون ؟

قال : " الذين يشترك فيهم الجن " رواه الترمذي الحكيم في " **نوادر الأصول** " .

قال الهروي : " تسموا مغرَّبين لأنه دخل فيهم عرق غريب " .

(1) هذه الأقوال رواها ابن جرير (15/ 82 و 83) وذكرها القرطبي (5/ 620 / 621).

قال الترمذي الحكيم : " فللجن مساماة (مباراة) بابن آدم في الأمور والاختلاط ، فمنهم من يتزوج فيهم ، وكانت بلقيس ملكة سبأ أحد أبويها من الجن " [1]

زاد ابن كثير قولاً في " مشاركته في الأموال " عن عطاء : هو الربا. وقال الحسن : هو جمعها من خبيث وإنفاقها في حرام . وكذا قال قتادة . قال ابن جرير : والأولي أن يقال : إن الآية عامة تعم ذلك كله .

أقول والله أعلم : أما مشاركة الشيطان في الأموال .

ذكرنا قول ابن جرير – رحمة الله :- قوله : " إن الآية عامة تعم ذلك كله " " أي جمع المال من حرام ، وإنفاقه في حرام ، والتعامل بها بالربا ، أو جمعها من خبيث ، أو ما حرموه من أنعامهم يعني : البحائر والسوائب ونحوها ، وقال الفرّاء : " كل ما خالطه حرام فهو شركه [2] أي إبليس .

قال الفخر الرازي : " نقول : أما المشاركة في الأموال فهي عبارة عن كل تصرف قبيح في المال ، سواء كان ذلك القبيح بسبب أخذه عن غير حقه أوضعه في غير حقه ، ويدخل فيه الربا والغصب والسرقة والمعاملات الفاسدة ، وهكذا قاله القاضي ، وهو ضبط حسن [3] وأنا أقول هو كذلك .

لهذا قال الطبري شيخ المفسرين – رحمه الله- :

" وأولي الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عُني بذلك كل مال .عصي الله فيه بإنفاق في حرام ، أو اكتساب من حرام ، أو ذبح للألهة ، أو تسييب أو بُحّر للشيطان ، وغير ذلك مما كان معصيًّا به أو فيه ، وذلك أن الله قال : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَالِ﴾ فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال أو عصي الله فيه ، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس ، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض [4]

أقول : أولا معني كلمه " **وشاركهم** "

---

(1) القرطبي (5 / 621)
(2) معاني القرآن (2 / 127)
(3) التفسير الكبير (21 / 6)
(4) تفسير الطبري : (15/ 120) .

جاء في مادة " شَرَكَ " عدة معاني :

الأول : الأقتران : يقول ابن فارس : " يقال : شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه ، وأشركت فلانا إذا جعلته شريكاً لك ، قال تعالي في قصة موسي : " **وأشركه في أمري** " [1]

الثاني : بمعني الاشتراك في الشيء بين اثنين فصاعدًا أي أن الشيطان شريك العبد في زوجته وماله وأولاده ، كما قال ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء:118] وربما يكون أحد الشركاء له نصيب أكبر من الآخر ، فربما كان للشيطان نصيب في هولاء أكثر من صاحبها ومالكها الأصلي ، وربما تساوت الأنصبة ، وهكذا كما قال ﷺ " **المسلمون شركاء في ثلاث : في الماء ، والكلأ والنار** " [2] .

الثالث : الحصة والنصيب : قال ابن منظور : " والأشراك أيضاً جمع الشرك ، وهو النصيب كما يقال : قسم وأقسام ومنه قوله تعالي : ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ [سبأ:22] **وقوله ﷺ " من أعتق شركاً له في عبدٍ "** [3] **أي حصة ونصيباً ، ثم قال : فإن شئت جعلت " الأشراك " في البيت جمع شرك وهو النصيب "** [4]

الرابع : بمعني الخلط والضم ، قال الراغب " **الشركة والمشاركة خلط الملكين** " [5]

والشركة : مخالطة الشريكين ، الشريك مخالص لشريكة ، وحصته منضمة لنصيب الآخر .

ومنها : المشاركة في التجارة ، أوفي الأرض ، وتطلق على المصاهرة لمشاركته في النسب .

قل الأزهري : سمعت بعض العرب يقول :" **فلان شريك فلان ، إذا كان متزوجاً بابنته أو أخته** "

---

(1) معجم مقايس اللغة .

(2) أخرجه ابن ماجه وأحمد زابو داود –وصححه الألباني في " الإرواء " (1552) .

(3) أخرجه البخاري (2386) ومسلم (1501)

(4) اللسان مادة (شرك)

(5) المردات (ص 259)

أما مشاركة إبليس في " **المال** " فتأتي على صور .

الأولي : أن يجمعه من حرام :

وصور الجمع من حرام كثيرة جداً وبخاصة في زماننا هذا :

فمنها : التعامل بالربا ، وقد حرم الله تعالي الربا بجميع صوره . والرَّبا معناه : لغة : النماء والزيادة والعلو.

تقول العرب : ربا الشيء يربو إذا زاد . وربا الرابية يربوها إذا علاها ، والرَّبوة والرُّبوة : المكان المرتفع ، ويقال أربنا الحنطة : زكت . ويقال : ربيته إذا غذوته ، لأنه إذا ربا وزاد " [(1)]

وسئل الإمام أحمد رحمه الله – عن الربا الذي لا شك فيه، فقال : هو أن يكون له دين ، فيقول له : أتقضي أم تُربي ؟ فإن لم يقضه زاده في المال ، وزاده هذا في الأجل " [(2)]

قال ابن العربي المالكي : " كان أهل الجاهلية يتبايعون ، ويربون وكان الربا عندهم معروفاً ، يبايع الرجل الرجل إلى أجل ، فإذا حل الأجل قال : أتقضي أم تربي ؟ يعني : أم تزيد في على مالي وأصبر أجلاً أخر ، فحرم الله تعالي الربا ، وهو الزيادة " [(3)]

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله :- " كان الرجل من أهل ثقيف. الذي نزل فيهم القرآن يأتي الغريم عند حلول الأجل ، فيقول : اتقصني أم تربي ؟ فإن لم يقضه ، وإلا زاده المدين في المال ، وزاد الطالب في الأجل ، فيضاعف المال في المدة لأجل التأخير " [(4)]

حكم التعامل بالربا :

جاء تحريم الربا صريحاً في كتاب الله قال تعالي : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:275] ثم أمرهم بالترك الدال على التحريم الشديد فقال تعالي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:278] وهدد المخالفين ، وتوعد الذين لم يستجيبوا بالمحاربة فقال : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾

(1) معجم مقاييس اللغة (2/ 483)
(2) إعلام الموقعين (2 / 129 .
(3) أحكام القرآن (1 / 241)
(4) مجموع الفتاوي (20/ 349)

[البقرة:279] ونهي المؤمنين عن أكل الربا ، وأمرهم بالتقوي وعلق على ذلك خلاصهم وفوزهم فقال تعالي : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:130] . وقال تعالي : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ ﴾ [البقرة:276].

وذم اليهود الذين تعاملوا بالربا وأكلوه واستحلوه فقال تعالي ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ ﴾ [النساء:160،161]

والربا أحد السبع الموبقات – المهلكات

فأخرج البخاري ومسلم من حيث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " **اجتنبوا السبع الموبقات – فذكر منها أكل الربا** " الحديث [1]

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : " **ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أذن الله بهلاكها** " [2]

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " **إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، وتتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم** " [3]

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " **ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون** " الحديث [4].

وعن ابن مسعود مرفوعاً " **الربا ثلاثة وسبعون باباً أهو نها أن ينكح أمة ، الحديث** ". [5]

(1) أخرجه البخاري (2766) (5764) ومسلم (89) والنسائي (6/ 257)

(2) أخرجه أحمد (1/ 393 و 394) وأبو داود (3333) والترمذي (1206) وابن ماجه (2277) وهو صحيح .

(3) أخرجه أحمد (2 / 42) وأبو داود (3462) وأبو يعلي (5633) وصححه الألباني .

(4) راجع تحقيقنا للكتاب (الكبائر) (ص 67) .

(5) أخرجه ابن ماجه (2275) والحاكم (2 / 37) وصحه الألباني في صحيح ابن ماجه (3539).

وعن عبد الله بن حنظلة مرفوعاً " **درهم بن ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية** " [1]

عن ابن مسعود قال : لعن رسول الله ﷺ " **أكل الربا وموكله** "[2]

وعن جابر قال : " لعن رسول الله ﷺ – أكل الربا وموكله وكاتبه ، وشاهديه " وقال : " **هم سواء** " [3] .

وجاء عن جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وأبي بن كعب وابن مسعود – رضي الله عنهم – أنهم قالوا : " **كل قرض جر نفعاً فهو ربا** " [4]

عن أبي أمامة مرفوعاً " من شفع لرجل شفاعة فأهدي له عليها فقبلها فقد أتي باباً عظيماً من أبواب الربا " [5]

عن ابن مسعود قال " **من شفع لرجل شفاعة فأهدي إليه هدية فهي سحت** " [6]

وعن ابن عمر قال " إذا كان لك على رجل ديني فأهدي لك شيئاً فلا تأخذه فإنه ربا " [7].

وعن أبي بكر رضي الله عنه **قال : " الزائد والمستزيد في النار "** يعني الأخذ والمعطي فيه سواء " نسأل الله العافية.

قال النوي - رحمه الله :- " يستوي في تحريم الربا الرجل والمرأة والعبد والمكاتب بالإجماع ، ولا فرق في تحريمه بين دار الإسلام ، ودار الحرب ، فما كان حراماً في دار الإسلام كان حراماً في دار الحرب ، سواء جري بين مسلمين أو مسلم وحربي ، وسواء دخلها المسلم بأمان أم بغيره ، هذا مذهبنا – الشافعية – وبه قال: مالك وأحمد ، وأبو يوسف والجمهور " .

---

(1) أخرجه أحمد (5 / 225) والطبراني (2703) والدار قطني (3/ 16) وانظر الصحيحة (1033) .
(2) أخرجه مسلم (3 / 1218)
(3) صحيح مسلم (1598) .
(4) أخرجه البيهقي (5 / 350) وراجع الإرواء (1397) .
(5) أخرجه أبو داود (3524) وأحمد (5/ 261) والطبراني (7853) (7928) وهو في " **صحيح الجامع** " (6316) .
(6) أخرجه عبد الرزاق " مصنفة (14664) وسنده صحيح .
(7) أخرجه عبد الرزاق في " مصنفة (14654) (14655) وسنده صحيح

وقال أيضاً " أجمع المسلمون على تحريم الربا ، وأنه من الكبائر، وقيل إنه كان محرماً في جميع الشرائع ، وممن حكاه الماوردي " [1]

وقال القرطبي : " أكل الربا والعمل به من الكبائر " [2] . وقال شيخ الإسلام " المراباه حرام بالكتاب والسنة والإجماع. [3]

وذكر الإمام الذهبي في " **الكبائر** " في الكبيرة " الثانية عشر [4]

ومنها : أكل مال اليتيم :

قال تعالي : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء:10] وقال تعالي : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ ﴾ [الإسراء:34] .

قال السُّدِّي : " يُحشر آكل مال اليتيم ظُلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه ، كل من رآه يعرفه أنه أكل مال اليتيم " رواه ابن جرير (8722) شاكر.

وقد ذكر الذهبي – رحمه الله – أن أكل مال اليتم من الكبائر.

وأخرج مسلم (3/ 1457) من حديث أبي ذر – رضي الله عنه –أن رسول الله ﷺ قال : **" يا أباذر أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمران على اثنين ولا تَلِينَّ مال يتيم "**

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة السابق " اجتنبوا السبع الموبقات – ومنها : **"وأكل مال اليتم "** [5]

وذكره ابن حجر الهيتمي في " **الزواجر** " (1/ 483) من الكبائر

(1) المجموع النووي (9/ 391)

(2) تفسير القرطبي (3 / 360)

(3) مجموع الفتاوي (29 / 418)

(4) راجع كتاب " **الربا** " لأبي الأعلي المودودي ، والربا و أثره على المجتمع الإنساني للذكتور عمر الأشقر ، وغيرها من الرسائل القيمة التي وضعت خصيصاً لهذا الأمر الخطير ، ولست بصرد الحديث عنه ، وإلا كنت جملت فيه كل شاردة وواردة حتى يعلم المفتي وشيخ الأزهر أن فوائد (ربا) البنوك حرام ، حرام ، حرام !

(5) سبق تخريجه .

3- **مال السرقة :**

قال تعـالي: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة:38]

قال ابن شهاب :نكَّل الله بالقطع في سرقة أموال الناس ، والله عزيـز في إنتقامـه مـن السارق ، حكيم فيما أوجبه من قطع يده " وقال ﷺ " **لا يزني الزاني حين يـزني وهـو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق ، وهو مؤمن** " (1)

وعن أبي هريرة مرفوعاً " لعن الله السار ق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده ". (2)

والسرقة من الكبائر كما في " الكبائر للذهبي (ص 106) والزواجر (2/ 265)

4- **أموال القمار :**

كما في قوله تعالي : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾ – إلي قولـه – ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة:90،91]

قال الذهبي في " الكبائر " ص 97)

" والميسر هو القمار بأي نوع كان : نرد أو شطرنج ، أو فصوص أو كعاب ، أو جوز ، أو بيض ، أو حصي ، أو غيره ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى عنه الله بقوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة:188] ودخل في قـول النبـي ﷺ "**إن رجـلاً يتخوضون في مال الله بغير حقٍّ فلهم النار يوم القيامة**" (3)

وفي صحيح البخاري "أن رسول الله ﷺ قال: "**من قـال لـصاحبه: تعـالى أقـامرك فيتصدق**" (4)

فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل؟!"

(1) أخرجه أحمد (2/ 276) والبخاري (2475) (6772) ومسلم (57)

(2) أخرجه البخاري (6783) (6799) ومسلم (1687) عن أبي هريرة

(3) أخرجه البخاري (3118) عن خوله الأنصارية

(4) أخرجه البخاري (4860) ومسلم (1647) والترمذي (1545) عن أبي هريرة

يدخل في القمار اللعب بالشطرنج، والطاولة، والكرة، بجميع أنواعها، والكوتشينة (**الورق**)، وغيرها من الألعاب المحرمة

(5) **الغلول من الغنيمة** :-

وهي من بيت المال ومن الزكاة، وهذا مال حرام قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:58] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾ [آل عمران:161]

وعن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فَعظَّمه وعظَّم أمره، ثم قال: **"لا ألفين أحدكم يجيءُ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك** ..." الحديث أخرجه أحمد (2/ 426) والبخاري (3073) ومسلم (3/ 1461).

وأخرج أحمد (5/ 318 و 319) والترمذي (1561) والنسائي (7/ 131) وابن ماجة (2852) والطبراني (15655) وابن حبان (4855) عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **" أدّوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة "** وهو حديث حسن.

وأخرج مالك (2/ 459) والبخاري (4234) ومسلم (115) من حديث أبي هريرة أن رجلاً في غزوة خيبر أسمه رفاعة بن يزيد رُومي بسهم فكان فيه حتفه فقال الناس: هنيئًا له بالشهادة، فقال رسول الله ﷺ **"كلا والذي نفسي بيده أن الشملة لتلتهب عليه ناراً، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم"** قال: ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال رسول الله ﷺ : **"شراك أو شراكان من نار"**

وأخرج أبو داود (273) والنسائي (4/ 64) وابن ماجة (2848) وأحمد (5/ 192) وغيرهم من حديث خالد بن يزيد أن رجلاً غلَّ في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه وقال: **"إن صاحبكم غلّ في سبيل الله"** قال **"ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود ما يساوي درهمين"**

وأخرجه مسلم (224) والترمذي (1) وابن ماجة (273) وأحمد (2/ 20) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **"لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول"**

قلت: سبحان الله إذا كان **(ما يساوي درهمين)** غلول، سرقة من المال العام، وسرقة من بيت مال المسلمين، فكيف بمن يسرق الملايين من بيت مال المسلمين وهو ليس منهم، بل من النصارى عُبَّاد الصليب وقد هرّب مال المسلمين للخارج، ووضعها في البنوك بأسماء أسياده حتى رضوا عنه، وإذا كان هذا حال فرد، فكيف بحال جماعات استولوا على أموال الناس من البنوك باسم **"القروض"** ثم فروّا خارج البلاد؟!، فهذا سرق ملاليم وقد أخبرنا النبي ﷺ بما فعل به، فكيف بمن سرق الملايين؟!

ولقد نادي النبي ﷺ وصرخ في القوم، وهم في البلد الحرام والشهر الحرام **" إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذه في شهركم هذا"**

6- **تجارة الخمور وصناعتها** والمال الذي يجُلب منها بكل صورها حرام وأخرج أحمد (1/ 316) والطبراني (12976) وابن حيان (5356) والحاكم (4/ 145) من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : " **أتاني جبريل** عليه السلام **فقال : يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعصرها وبائعها ومبناعها وشاربها وآكل ثمنها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وساقيها ومستقيها** " وإسناده جيد .

وأخرج أحمد (2/ 25 – 71) والطيالس (1957) وأبو داود (3674) وابن ماجه (3380) والطحاوي " **مشكل** " (4/ 305) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " **لُعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها** " وهو حديث صحيح وله شاهد بنحوه من حديث أنس .

والله تعالي : إذا حرَّم شيئاً حرم الاتجار فيه ، وحرم ثمنها . ويدخل في ذلك تجارة " **السجائر** " بجميع أنواعها ، وحَرَّم الكسب منها ، وصناعتها ، وحرم العمل في مصانعها ، حتى سائق السيارة التي تحمل هذه المحرمات كسبه حرام ، والله أعلم.

7- **المال المجلوب** من قطع الطريق وفرض الأتاوات ، والضرائب ، والغصب كل ذلك حرام.

قال تعالي : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة:33]

8- **المال المجلوب عن طريق الغش حرام** :-

أخرج مسلم (101) وأبو داود (3455) والترمذي (1315) وابن ماجه (2224) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال" **من غشنا فليس منا** " .

وعن ابن مسعود بلفظ " من غشنا فلس منا ، والمكر والخداع في النار " انظر الصحيحة : (1058) والإرواء (1319)

9- **المال المجلوب عن طريق الرشوة حرام** ، وكذلك المال الذي عن طريق التسول : لقوله ﷺ " **لعن الله الراشي والمرتشي** "

أخرجه أحمد (2/ 387) والترمذي (1336) وابن الجارود (585) وابن حبان (5076) والحاكم (4/ 103) عن أبي هريرة : وهو صحيح .

وأخرجه أحمد (2/ 164) وأبو داود (3580) والترمذي (1337) وابن ماجه (2313) والطيالة (2276) وابن الجارود (586) وابن جان (5077) عن ابن عمرو ، وهو حسن .

قال العلماء : " فالراشي هو الذي يعطي الرشوة ، والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة ، وإنما تلحق اللعنة الراشي إذا تصدر بها أذية مسلم ، أو ينال بها ما لا يستحق ، أما إذا أعطي ليتوصل إلى حق له ويدفع عن نفسه ظلما فإنه غير داخل في اللعنة " (1)

وأسوء رشوة هي التي تعطي للحكام ، أو للقضاة ، وأصحاب المناصب الخطيرة . والله أعلم .

10- **المال المنهوب والذي أخذ خلسه** :

لأنه ﷺ " **نهي عن النهبة والخلسة** " .

(1) الكباشر (ص 142) بتحقيقي

أخرجه أحمد عن زيد بن خالد ، وانظر " **الصحيحة** " (1673) والخلسة ما يؤخذ سلباً ومكابرة .

11- **المال المجلوب من تجارة الكلاب والبغاء ، والدم:-**

رواه البخاري وأحمد وغيرهما عن أبي جحيفة أن رسول الله ﷺ " **نهي عن ثمن الكلب ، وثمن الدم ، وكسب البغي** "

ولما أخرجه أحمد والأربعة عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ " **نهي عن ثمن الكلب ، وعن ثمن السنور** " وهو صحيح – انظر " صحيح الجامع (6949) (6950)

12- **والمال المجلوب من الكهانة :**

لما رواه البخاري ومسلم والأربعة عن أبي مسعود البدري – أن رسول الله ﷺ " **نهي عن ثمن الكلب ، ومهر البغي ، وحلوان الكاهن** "

13- **والمال المجلوب من عسب الفحل :-**

لما رواه البخاري وأحمد وأبو داود عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ " **نهي عن عسب الفحل** "

ولحديث أبي سعيد : " نهي عن عسب الفحل ، وقفيز الطحان " (1)

14- **والمال المجلوب عن كسب الإماء :-**

لما رواه البخاري وأبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ " **نهي عن كسب الإماء** "

وفي رواية : " نهي عن كسب الأمة حتى يعلم من أين هو " رواه أبو داود والحاكم عن أبي رافع – صحيح الجامع (6975) .

15- **المال المجلوب من كسب الحجام :**

لما رواه ابن ماجة عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ : " **نهي عن كسب الحجام** " (2)

ويدخل فيه المال المجلوب من حلق اللحي ، ونتف الحاجب والتنمص ، والوشم وغيره .

(1) انظر الإرواء (1476) وصحيح الجامع (6967)

(2) صحيح الجامع (9676)

16- **المال المجلوب عن طريق اللقطة وبخاصة لقطة الحاج :-**

لما رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله ﷺ : " **نهى عن لُقطة الحاج** " .

وأحكام اللقطة تطلب من مظانها.

17- **المال المجلوب من بناء الكنائس والأديرة،** والشليهات ، وبيوت الدعارة، وبناء القبور، وكتابة اللوحات عليها وغير ذلك .

18- **المال المجلوب من التصوير المحرم .**

لماروا الترمذي من حيث جابر أن رسول الله ﷺ " **نهى عن الصورة** " الصحيحة (425) .

والأدلة كثيرة جداً .

19- **المال المجلوب من ثمن الخنزير، وثمن الخمر، وعسب الفحل.**

لماروا الطيالس عن ابن عمرو أن رسول الله ﷺ " **نهى عن ثمن الكلب، وثمن الخنزير، وثمن الخمر، وعن مهر البغي، وعن عسب الفحل** " صحيح الجامع (6948)

20- **المال المجلوب من البيوع المحرمة :**

مثل : المحاقلة ، والمخاصرة، والملامسة ، والمنابذة ، والمزابنة ، والمخابرة ، والمزارعة ، والنجش ، وعن بيع ماليس عندك ، وبيع ما لا تملك ، وبيعتين في بيعة ، والعينة ، وبيع النهار قبل بدو صلاحه ، وبيع الثمر بالتمر ، وبيع الحصاة، وبيع الغرر ، وبيع الحيوان بالحيوان نسئة ، وبيع الذهب بالورق دينا ، وعن بيع السِّنين ، وبيع الشاة باللحم ، وبيع المضامين ، والملاقح ، وحبل الحبلة ، وعن بيع الولاء وعن هبته ، وبيع ضراب الجمل ، وبيع الماء ، والأرض لتحرث ، وعن تلقي الجلب ، وتلقي البيوع ، إلخ البيوع المحرمة ..... المال المجلوب من هذه البيوع والمكتسب منها حرام .

وكل هذا الحرام يدخل في عموم قوله تعالي : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة:188].

وهذا الباب واسع جداً صعب حصره .

أحاديث جامعه :-

أخرج الترمذي من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : " **لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه ، حتي يسأل من خمس : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وماذا عمل فيما علم ؟** " [(1)] وله شاهد من حيث أبي بزرة الأسلمي بنحوه.

2) وأخرجه أحمد (3/ 7) ومسلم (2/ 72) والنسائي (5/ 60) من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال " **من يأخذ مالاً بحقه يبارك له فيه ، ومن يأخذ مالاً بغير حقه ، فمثله مثل الذي يأكل ولا يشبع** " .

3) وعن خولة بنت قيس : رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " **إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أصحابه بحقه بورك فيه ، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مالِ الله ورسوله ، ليس له يوم القيامة إلا النار** " .

صحيح أخرجه أحمد الترمذي – الصحيحة (1592) وصحيح الجامع (2251).

4) أخرج مسلم (2/ 703) عن أبي هريرة

" **إن الله طيب لا يقبل إلاّ طيبًّا، وإن الله تعالي ... أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [المؤمنون:51] **وقال تعالي :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة:172] **قال : ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، رافعاً يديه : يارب ! يارب ! ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأني يستجاب له** "

5) أخرج أحمد والبخاري والنسائي من حيث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " **يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال ؟ من حلال أو حرام** "

6) وأخرج أحمد ومسلم عنه مرفوعاً " **إن الله تعالي : يرضي لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضي لكم أن يعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا**

---

(1) انظر جمع صحيح الجامع (7299) والصحيحة (946)

تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثـرة الـسؤال ، وإضاعة المال "

7) عن أبي هريرة مرفوعاً " **أيما مال لم يطع الله فيه ، ولم يعط حقـه جعلـه الله – عـز وجل – شجاعاً له زبيبتان ينهسه من قبل القفا فيقول : مالي ذلك ؟! فيقول : أنا مالـك الذي جمعتني لهذا اليوم ، أنا الذي جمعتني لهذا اليوم ، حتى يضع يده في فيه فيقضمها "** أخرجه البخاري (3/ 268) فتح ، ومسلم (2 / 685) بنحوه .

8) عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ : " **نهـي عـن وأد البنـات ، وعـن عقـوق الأمهات ، وعن منع وهات ، وعن قيل وقال ، وعن كثرة السؤال ، وعن إضاعة المال "**

أخرجه البخاري (3 / 340) فتح ، بخوه ، ومسلم (3 / 1341) بلفظ " **إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ومنعاً وهات ، وكره لكم ثلاثاً : قيل وقال** ... " الحديث .

عن محمد بن سوقة قال : سأل رجل سعيد بن جبير عن نهي النبي ﷺ عن إضـاعة المال ، قال : هو أن يرزقك الله رزقاً حلالاً فتنفقه فيما حرم الله عليك "

وعن محمد بن سيرين وقد سئل عن السرف قال : الإنفاق في غير حق .

قال أحمد بن أبي الحواري : يؤتي يوم القيامة برجل اكتسب مالاً من حلال ، فأنفقه في حرام ، فيؤمر به إلى النار ، ويؤتي برجل اكتسبه من حلال ، فأنفقه في حلال ، قـال : أو فقوا هذا للحساب .

أخرجه بن أبي الدينا في " **إصلاح المال** " (32) .

قال الحسن البصري : إيما عبد أمسك مالاً حراماً ، إن أمسكه لم يُبارك له فيـه ، وإن أنفقه لم يقبله الله – عز وجل منه فإن مات وهو عنده كان زاده إلى جنهم " .

أقول : لا شك أن الكسب الحرام والمال الحـرام سـببه هـذه المـشاركة الملعونـة مـن الملعون إبليس للإنسان في ماله وكسبه ، وكل ذلك حتى يأكـل الحـرام ويتغـدي عـلى الحرام وينبت جسد أولاده من الحرام ، فيدعون فلا يستجاب لهم ، وهذا هو هم إبليس وكل أمانية أن لا يستجاب للعبد فيه!

(2)
مشاركة الشيطان في الأولاد

لقوله تعالي : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ [الإسراء:64]

وسبق أن ذكرنا أقوال أهل العلم في معني مشاركة الشيطان في الأولاد وقال الطبري رحمه الله –أن مشاركته على العموم، وليس في أمر واحد فقط ، بل هي مشاركة عامة "

أقول والله أعلم : أن المشاركة في الأولاد على أنحاء منها :

1) **اختيار الزوجه :**

لأن الزوجة الصالحة مثل الأرض الطيبة التي تمسك الماء وتنبت الكلأ ، والزوجة السيئة مثل الأرض السيئة التي لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ ، والزوجة هي موضع الحرث كما قال تعالي ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:223] أي موضع الزرع ، لأنها إن كانت صالحة انتفعت بالنطفة وأنبتت الزرية الصالحة ، وإن كانت غير ذلك كانت الزرية غير صالحة ، أو أنها لا تنتفع بالنطفة .

فهو – أي الشيطان الرجيم – يزين للرجل حب المرأة ، ويجملها في عينيه لدرجة أنه لا يري أجمل منها ، في حين أن جميع الخلق يرونها غير صالحة ، ثم يوقع في قلبه حبها ، ثم يحارب أهله وعشيرته من أجل الزواج منها ، ثم يقاطع العشيرة لأجلها وربما أخذها وهرب ، ثم ما يلبس أن يتخلي الشيطان عنه ، وينكشف الغطاء ، وتتجلي له الحقيقة فيرها كما رآها الناس من قبل ، وربما لا يتخلي عنه فيتمادي في إمساكها ، وربما خانته ، وربما لا تلد له ما كان يتمني ، إلى آخر القصص المحزنة والمؤلمة التي نسمع عنها ونشاهدها ويأتينا من هذه المفجعات الكثيرة.

فالشيطان يشارك الإنسان في اختيار الزوجة لأنها الزوجة والأم والمربية ، فإن كانت سيئة الخلق ، سيئة السمعة ، سوف تساهم إبليس في إفساد المجتمع ، وتقدم له أعظم خدمة وفي إضلال البشر ، وسوف تقدم أولادها جنود لإبليس اللعين يستخدمهم في غواية البشرية .

لذلك وضع الإسلام أسس قوية قويمة في اختيار الزوجة فتجد أن الله تعالي يعرض بذلك في كتابه فمزة يذكر الحياء كما في قصة موسي عليه السلام وزوجه من ابنه الرجل الصالح حيث قال : ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ ﴾ [القصص:25]

وعرَّض بالإيمان فقال تعالي : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾[الأحزاب:49] وصرح النبي ﷺ بالدين ، الذي يشمل الحياء ، والإيمان ، وجميل الأخلاق فقال :

" تنكح المرآة لأربع لمالها وحسبها وجمالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك " رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

وراجع مزيد من التفاصيل في كتابنا **" أحكام العشرة الزوجية "**

عند جماع الزوجة

لقوله ﷺ **" لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهل "** وفي رواية : " أما إن أحدكم لو يقول حين يجامع أهله بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان مارزقتني ، فإن قضي إليه بينهما ولدا لم يضره الشيطان أبداً .

أخرجه البخاري 0 9/ 187) ، ومسلم)(30/ 5) نوري ، وغيرهما عن ابن عباس . وفي رواية عند الطبراني من حيث أبي أمامة " جنبني وجنب ما أرزقتني من الشيطان الرجيم " راجع الفتح (9/ 187 – 1888)

وأخرج عبد الرزاق عن الحسن مرسلاً **" إذا أتي الرجل أهله فليقل بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، ولا تجعل للشيطا فيما رزقتنا نصيباً فكان يرجي أن حملت أن يكون ولداً صالحاً "** ومعني **" لم يضره الشيطان "** إما بعدم مشاركته جماع زوجته .

كما جاء عن مجاهد أنه قال **" أن الذي يجامع ولا يسمي يلتف الشيطان على إحليه فيجامع معه "** واختار هذا الحافظ في " الفتح . (9/ 188)

وأنا معه في هذا الرأي وذلك لحديث **" إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه "** رواه مسلم عن جابر .

فهذا للعموم ، فإذا كان الشيطان يدرك الطعام والمبيت لعدم الذكر حيث يقول **" أدركنا المبيت وأدركنا الطعام "** فلاشك أنه إذا جامع فلم يسم يقول الشيطان " وأدركنا الجماع "

قال الحافظ في " **الفتح** " (9/ 189)

" وفي الحديث إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله "

عن استقبال المولود :

واستقبال المولود ، وللشيطان عند استقبال المولد عجب فمثلاً : عند اليهود : يهودنه ، أي يجعلونه يهودياً ويُبغِّضونه في الإسلام والفرق الأخري ، ويزرعون في نفسه أنه من شعب الله المختار وأن جميع الشعوب خدم له مسخرون بأمره !!

وعند النصاري : يُنصّرونه يجعلونه نصرانياً وذلك بتعميده وتصليبه كما قال النبي ﷺ " **ما من مولد إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنبح البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء** " أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

والشيطان يستقبل المولد قبل أبويه .

لما رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " **ما من مولود يولد ، إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه الشيطان ، إلا ابن مريم وأُمّه** "

ويستقبل المولد عند كثير من الناس سواء أكانوا أصحاب ديانة أم لا ، بالهون ، والملح ، والعدس ، والأغاني ، حتى أصبح ذلك من كثرة الأعتياد أنه مقدس عند إستقبال المولد حتى عند كثير من المسلمين ، ويوقدون الشموع ، إلى غير ذلك مما لا يثبته شرع ولا عقل .

والأدهي من ذلك أنهم يربون الأطفال على التردد والعقوق ، حتى تسقط شخصية الأب والأم في نظره وذلك عندما يقولون له: " **اسمع كلام أبوك ولا تسمع كلام أمك** " وآخرون يقولون عكس ذلك ولا يدرون أن مثل هذا يؤثر سلبياً على المولود.

أما عند المتمسكين من المسلمين بهدي نبيهم ﷺ فيستقبلون المولد بكلمة التوحيد وكلمات الحق – الآذان – ثم التحنيك ، ثم عمل عقيقة ، وحلق رأسه والتصدق بوزنها ذهباً أوضة ، فينشأ الطفل على أحسن الهيئات وأطيب الأخلاق ويهتدي إلى وظيفته التي خلقه الله تعالي لأجلها.

(3)
مشاركة الشيطان في تسمية المولد

وذهب إلى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف أقول : إن الشيطان اليوم تلاعب بعقول جل المسلمين ، وتلاعب بأسماءهم ، فجعلهم يشركون في الأسماء ، وشاركهم مشاركة قد تصل إلى حد كبير جداً في تسمية الأبناء حتى يحول عبوديتهم إلى غير الله ، فأمرهم بتسمية عبد النبي ، وعبد الرسول ، وعبد المسح ، وعبد الكعبة ، وإن انقرضت هذه الأسماء هذه الأيام بين الشباب ، لكن حولهم إلى أسماء غربية وفارسية ، وأسماء ظن أصحابها أنها إسلامية وهي مكروهة مثل – إيمان ، مؤمن ، إسلام وهذه وأمثالها قد يصل الأمر إلى التحريم ، فعندنا في حينا غلام من أشقي الخلق ويسمي إسلام ، فهذا يسب إسلام وهذا يدعو عليه ! وهذا يلعنه ، وهذا يضربه ، ثم إذا ذهب أحدكم إلى بيته ليسأل عنه ، هل عندكم إسلام ؟ فيقولون : لا !! وهناك قطيع يسمي بأسماء مغنيين ، ولا يحبي كرة ، وفنانين ، وأسماء كثيرة مخالفة للشرع .

ولقد عني الإسلام بأسماء الأبناء ، ولقد حول النبي ﷺ أسماء كثيرة شركية مثل : عبد شمس ، وعبد الكعبة ، وعبد العزي ، إلى أسماء طيبة، ولقد بوب البخاري .... رحمة الله – في صحيحة ، وكذلك في كتاب " **الأدب المفرد** " أبو اب في تغير الأسماء وما هي أحب الأسماء ، وكذلك الإمام مسلم ، وكذلك أصحاب السن وغيرهم ، وهذا باب ثابت في كل كتب الحديث .

ولقد تحدث شيخ الإسلام ابن القيم في قضية الأسماء وقال " **أن كل عبد له حظ من اسمه** " .

ولذلك فإنا نناشد جميع المسلمين في كل مكان ألا يتلاعبوا بأسماء الأبناء ، وليتخيروا الأسماء الطيبة المعبدة لله تعالي ، حتى تقع العبودية في نفوس الأبناء في صغرهم والله المستعان .

قال ﷺ " خير أسمائكم عبد الله ، وعبد الرحمن والحارث . صحيح – أخرجه الطبراني عن أبي سبرة ، الصحيحة (904) (1040)

(4)
مشاركة الشيطان في تربية الأبناء

وهذا باب واسع جداً ، لكن يمكن حصرة في جملة من المسائل :

الأولى : عدم التسمية الصحيحة للأبناء ، وقد سبق الكلام عليها.

ثانياً : إطعامهم من حرام ، وقد تكلمنا على هذه المسألة في الأموال.

ثالثاً : عدم الإنفاق عليهم ، وهو يدخل في باب إضاعة الأبناء ، وقد قال ﷺ **" كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت "** صحيح – أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عمرو، انظر الإرواء (894) ورواه مسلم عنه بلفظ **" كفى إثماً أن تحبس عمن تملك قوته "** .

وقال أيضاً لزوجة أبي سفيان لما اشتكت بخله وعدم إنفاقه عليها **" خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك "**

أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن عائشة وأخرجه الطبراني عن أبي كبشة أن رسول الله ﷺ قال : **" خياركم خيركم لأهله "** صحيح – انظر " صحيح الجامع . (3266) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث حكيم بن حزام لما سأل رسول الله ﷺ أي الصدقة أفضل ؟ قال : **" ابدأ بمن تعول ، والصدقة عن ظهر غني "**.

وأخرج أحمد وأبو داود و النسائي بسند صحيح من حديث أبي هريرة أن الرسول الله ﷺ قال : **" تصدقوا "** فقال رجل : عندي دينار ؟ قال : أنفقه على نفسك **" قال : عندي دينار أخر . قال : تصدق به على امرأتك "** قال : عندي آخر ؟ قال : **" تصدق به على ولدك "** قال عندي آخر ؟ قال : **" تصدق به على خادمك "** قال : عندي آخر ؟ قال : **" أنت أبصر "**

والأحاديث في هذا باب كثيرة جداً .

قال سفيان الثوري – رحمة الله - : " عليك بعمل الأبطال ، والكسب من الحلال ، والإنفاق على العيال " أخرجه ابن أبي الدنيا في العيال " (23) وأبو نعيم في **" الحلية "** (6 / 138)

رابعاً : الأنفاق عليهم لحد السرف .

وإن كان هذا لا يقع إلا قليلاً، وفي طائفة من البشر معينه وهم طبقة الأثرياء، لكنه مشاهد ، ومعروف .

فالأب ينفق عليهم ببزخ ، ويوقعهم في ترف شديد يؤدي إلى الوقوع في المحرمات، مثل: الإدمان ، التدخين ، شرب الخمر ، السهر في صالات الديسكو حتى الصباح ، اتخذوا سبيل الشيطان سبيلا وأعرضوا عن سبيل الله تعالي.

فالشيطان إما أن يوقع الإنسان في البخل والإمساك الشديد، وإما أن يوقع الإنسان في الترف والبزخ الشديد ، أي بين الإفراط والتفريط .

فالعبد المسلم التقي يخاف الله تعالي ولا يقع في الإفراط ولا في التفريط بل عليه بالتوسط في أموره كلها ، وبخاصة في النفقة على أولاده لأن المال سلاح ذو حدّين.

وليعلم العبد المسلم أن المال هو الشيء الوحيد الذي يُسال عنه العبد مرتين : من أين اكتسبته ؟ وأين انفقته ؟ فإذا نجا من الله الأول، فماذا تقول في الثاني ، وما هي الإجابة التي أعدتها بها لهذا اليوم ؟

خامساً : عدم العدل بين الأبناء .

وعدل الأباء مع الأبناء يكون في كل شيء ، في الحب ، والعطية ، إلا حترام التوفير ، لا يقدم واحداً على الآخر ، إلا بإذن الأبناء ، ولا يعطي أحدهم ويمنع عن غيره الآبإذنهم .

فأخرج التجاري ومسلم وغيرهما من حديث النعمان بين بشير قال : جاء أبي إلى رسول اللهﷺ وقال : إني نحلتُ ولدي هذا نحلاً فأتيتك أشهدك على هذا فقال له : " **أكل ولدك نحلت** " فقال : لا فقال : " **أشهد على هذا غيري فإني لا أشهد على جور** " .

وفي رواية " **تشهدني على جور** " وفي رواية " **لا أشهد إلا على حق** " وفي رواية " **اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم** " وفي لفظ : " **أيسرك أن يكون إليك في البر سواء؟**" قال : بلي.

وفي رواية بسند حسن عن ابن ابي الدنيا في كتاب " **العيال** " " **اعدلوا بين أولادكم في النحل ، كما ترجون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف**"

وأخرج أيضاً عن الحسن مرسلاً بسند صبح " بيما رسول اللهﷺ يحدث أصحابه إذ

جاء صبي حتى انتهي إلى أبيه في ناحية القوم ، فمسح رأسه وأقعده على فخده اليمين . قا ل" فلبث قليلاً فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها وأقعدها في الأرض فقال رسول الله ﷺ " **فهلاً على ، فخذك الأخري** " ؟! فحملها على فخذه الأخري فقال ﷺ " **الآن عدلت** "

وأخرج أيضاً عن إبراهيم النخعي يسند صحيح أنه قال :

"كانوا يستحبون أن يسووا بين أولادهم حتى في القبل "

وأخرج أيضاً عن عمر بن عبد العزيز رحمة الله أنه ضم أبناً له ، وكان يحبه ، فقال : يا فلان ، والله إني لأحبك ، وما أستطيع أن أوثرك علي أخيك بالقمة .

سادساً : في عمل العقيقة.

والعقيقة وأحكامها وما يتعلق بها تكلمنا عنها في غير هذا الموضوع ، والمقصود هنا ، أن الرجل إذا صنع لأحد أولاده عقيقة ، يصنع للأخر ، ولا يفرق بين الأبناء في صنع الحقيقة ، أو يفرق بين الصبيان والبنات لميله لطرف دون الأخر ، وحتى يحصد منهم جميعاً البر ، فلا يَعُقّه ابن ديبّره ابن أخر .

(5)
مشاركة الشيطان الأبناء في عقوق الأباء

فللشيطان اليد الطولي في هذا الميدان ، فإنه يساعد الأبناء بطريقة مباشرة في عقوق الأباء ، حتى امتلات الدنيا بالعقوق ، فما من بيت من بيوت المسلمين الأن إلا وهو يشتكي ويأن من العقوق ، والعقوق بجميع صورة وأشكاله وألوانه.

ولم يقف الأمر عند عقوق الأبناء، بل أصبح العقوق من الأباء للأبناء، ويقع العقوق بينهما إما بسبب دين على الأباء نحو آباءهم، فيقع القصاص في الدنيا كما صرح الحديث الصحيح، وإماء بسوء التربية، وربما كان شقاء الأبناء جبلي كما قالﷺ "الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً" رواه البخاري.

وقد ضرب الله تعالى لنا مثلاً بمن فسدت فطرته فلا تجدي معه نصيحه أو هداية مثل ابن نوح عليه السلام، ومثل امرأة نوح ولوط عليهما السلام، فمثل هذا لا مدخل للعبد فيه.

وربما كان العقوق بسبب عدم مجارات الأباء الأبناء في تقدم الحياة، فالأب يعيش في زمن، والأبن يعيش في زمن آخر، الأب يريد إرجاع الابن للزمن الجميل، وزمن الفضل، وحب الخير، والتعاون على البر، ولكن الابن يريد حياة عصرية، يريد أن يعتزل عن الأب بفكره، ويستقل بعقله ويتحرر من أصر والده، فيقع الصدام ومعه العقوق، فيتهم الابن أبيه بالتخلف والرجعية، فلا يكون من الأب إلا سبه ولعنه، وطرده من البيت ... فيقع العقوق والشقاق وربما تدخل الشيطان بينهما فأمر الأبن بالتخلص من الأب الرجعي، فيقتله، فربما قتله وهو يصلي، وكذا وهو نائم .... وقد تناقلت وسائل الإعلام في الأعوام الماضية فجائع وأهوال مثل هذه الحوادث والكوارث...

(6)
يخوف الشيطان الأباء من الأبناء

والتخويف في هذا الموطن يكون واحد من هذه الأمور:

أولاً: كثرة الأولاد، فيقول له الشيطان، أن كثرة الأولاد تؤدي إلى كثر الأعباء وزيادة في المصروفات، ومواصلة العمل بالعمل حتى يشغله عن طاعة ربه، فلا وقت يصلي ولا وقت يقرأ القرآن ولا وقت لصلة الرحم، ولا وقت لزيارة المرضى ولا لتشيع الجنائز ليقطعه عن الناس، وعن أرحامه بسبب الأولاد.

يأمره بقلة النسل، وليس الشيطان وحده الذي يأمره بذلك فهناك جهات كثيرة تريد منه ذلك .... حفاظاً على الاقتصاد!!

ثانياً: يخوفه بالفقر والجوع :

كما قال تعالى ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ [البقرة:268] فيجعل الأب في هم بالليل والنهار بسبب إطعام الأولاد وكأنه هو الرزاق، فيصبح في هم ويُمسي في غم، بسبب رغيف العيش، فيحمله هذا على البخل، فإذا جاءه ضيف قال: أولادي أولى فيبخل، ويحمله على الجهل، إذا ذهب إلى مجلس علم، قال: أولادي أولى بالوقت الذي أقضيه في العلم، ويحمله على الجبن، فإذا نادى منادي الجهاد منعه الأبناء بحجة: من للأولاد بعد؟!!

وصدق النبيﷺ حيث قال:

"الولد ثمرة القلب، وإنه مجبنة، مبخلة، محزنة"(1)

وفي رواية **"مجهلة"** فهذه الأربع التي تصيب الأباء بسبب الأبناء. ويحمله على هذا كله الشيطان، ويدعو إليه، ويزين ذلك، فلعنة الله عليه في الصباح والمساء وفي الليل والنهار، وفي كل حين.

ثالثاً: أن يسلط الزوجة والأولاد على الأب لينفق ماله في غير حلّه. وهذا كثير جداً وملاحظ في هذه الأيام، أن الرجل قد تبخل في التصدق ثم تجد ينفق ماله في شراء

(1) أنظر صحيح الجامع (7160)

أجهزة تفسد العقل والقلب معاً. وربما صنع "**طهوراً**" وليمة ختان لكن بطريقة شيطانية، وليس للشرع فيها نصيب.

وربما تظاهر بالفقر، ثم عند زواج أحد أولاده أتي بمزامير الشيطان، وطبول إبليس، وأنفق ماله في محرم بحجة أنه زواج وفرح؟!

ثم يدّعي أنه وقع تحت ضغوط من أهل البيت!

رابعاً: أفقد الشيطان قوامه الرجل، ومحا شخصيته أمام زوجته وأولاده فترك لهم الحبل على الغارب يصولون ويجولون في معصية الله تعالى، وأصبح الأب مجرد جابي للمال فقط! ثم يدعوه الشيطان إلى ذلك بحجة مسايرة الأمور حتى يهدم بيته، وتضيع أولاده!

خامساً: أفقد الشيطان أمانة الرجل، مع أن أهم ما يتصف به الزوج الأمانة وَعَّرض الله تعالى بذلك حيث قال في قصة موسى ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:26] فلم يعد الأب أميناً ولا قوياً ، بل أصبح ضعيفاً لا وجود له البته، لا حول له ولا قوة ، لا يعرف الداخل ولا الخارج، وربما كان ديوثاً، وهذا الصنف من الرجال أنتشر في مجتمع المسلمين وللأسف الشديد.

وبعد ... فقد دخل الشيطان بيوت المسلمين، وعشش فيها، بل باض وفرخ في بيوت المسلمين، واستطاع بما أتي من حيل لإفساد بيوت المسلمين، فدخل بين الرجل وزوجته، وبين الزوجة وأبناءها، وبين الأبناء بعضهم مع بعض، حتى قتل الأخ أخاه، والابن أمه، واستطاع أن لا يخرج من البيت إلا والدماء تجري فيه أنهاراً ... وكله بسبب البعد عن الله وهجر كتاب الله تعالى وعدم تحكيم شرع الله بين الأبناء وأهل البيت.

(16)

استهواء الشيطـان

قال تعالى : ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:71]

الهواء: ممدود ما بين السماء والأرض، والجمع الأهوية، وكل خالٍ هواء.(1)

قال زهير بن أبي سلمى:

كأن الرحْلَ منها فوق صَعْلٍ   من الظِّلمان جُؤْجؤُ هواء

والصعل: الصغير الرأي من الرجال والنعام.

وجؤجؤه: أي صدره. وقيل : عظام الصدر. هَواء أي خال لا قلب فيه.

والهوى مقصور: هوى النفس، والجمع أهواء ، وهَوِى بالكسر يَهْوَي هوىً أي أحبَّ. وبالفتح: سقط إلى أسفل.(2)

قال الراغب: الهوى ميل النفس إلى الشهوة، وقد يقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل سُمِّى بذلك لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الأخرة إلى الهاوية، والهوى سقوط من علو إلى سفل(3)

وقال الجوهري: واستهواه الشيطان: أي استَهَامَهُ(4)

وفي اللسان: "واستهوته الشياطين: ذهبت بهواه وعقله" (5)

وترجع هذا الأقوال على قولين:

الأول: أن الاستهواء استفعال من هَوَىَ في الأرض يَهْوِي إذا ذهب، فهو مُشتَقٌّ من اتّباع الهوى والميل(6)

---

(1) الصحاح للجوهري (6/ 2537)
(2) الصحاح (6/ 2537)
(3) معجم مفردات القرآن (ص545)
(4) الصحاح (6/ 2537)
(5) اللسان مادة (هوا)
(6) زاد المسير (3/ 66)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: استهوته، أضلته[1]

وقال الزَّجَّاج: "أي كالذي زينت له الشيطان هواه" [2]

وقال أبو عبيدة: "تُشبه له الشياطين، فيتّبعها حتى تهوى به في الأرض فَتُضلّه" [3]

قال ابن قتيبة: "أي هوت به وذهبت" [4]

قال أبو السعود: " والاستهواء: استفعال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأنها طلبت هَوْيَة وحرصت عليه" [5]

قال القرطبي: "أي استغوته وزينت له هواه ودعته إليه يقال هوى يهوي إلى الشيء أسرع إليه" [6]

قال القاسمي: أستمالته عن الطريق الواضح مردة الجن [7]

وروى ابن جرير (13429) عن ابن عباس أنه قال:

"هو الذي لا يستجيب لهدى الله، وهو رجل أطاع الشيطان، وعمل في الأرض بالمعصية، وجار عن الحق وضل عنه، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى، ويزعمون أن الذي يأمرونه هدى، يقول الله ذلك لأوليائهم من الأنس، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ والضلال ما يدعو إليه الجن[8]

القول الثاني: أنه من هوى إذا سقط من علو إلى أسفل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج:31] واستبعده ابن عطيه حيث قال:**"وهذا المعنى لا مدخل له في هذه الآية إلا أن تتأول اللفظة بمعنى ألقته الشياطين في هُوَّة"** [9]

(1) معجم غريب القرآن (ص 218)
(2) معاني القرآن (2/ 262)
(3) زاد المسير (3/ 66)
(4) تفسير غريب القرن (ص155)
(5) تفسير أبي السعود (2/ 166)
(6) تفسير القرطبي (4/ 20)
(7) محاسن التأويل (4/ 403)
(8) إسناد ضعيف
(9) تفسير ابن عطية (5/ 242) وانظر عداوة الشيطان (ص 300)

مع أن الفخر الرازي قد رجّح هذا المعنى فقال : **"والاستهواء من الهوى وهو السقوط من علو إلى أسفل، سَمّى ضلال بذلك لأن من سقط من علو إلى أسفل ولم يجد محلاً يستند عليه هلك " (1)**

" والذي يتفق وحال الشيطان مع الإنسان هو المعنى الأول، فالشيطان يهوي بالإنسان في الأرض ويذهب به إلى مواطن الفحشاء والمنكر ويزين له الرذائل والمعاصي، ويستميله إلى كل ما حرم الله تعالى عليه وهذا مثل ضربة الله تعالى – لمن كفر بالله بعد إيمانه، فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه في حال إسلامه والمقيمون على الدين الحق، يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون، والصواب الذي هم به متمسكون، وهو له مفارق، وعنه زائل، يقولون له : أئتنا، فكن معنا على استقامة وهدى، وهو يأبى ذلك ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان"(2)

أقول والله أعلم: أستهواه الشيطان أوقعه الشيطان في هواه، سلّط عليه هوى نفسه فاتخذه الإله الذي يأمره وينهاه كما قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان:43] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [الأعراف:176] وقال تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه:16] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص:50] وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية:23] فهذه ست أيات في كتاب الله تعالى توضح أن هناك من اتبع هاه فأضله، ولم نرى فيه أن من اتبع هواه لم يضل، بل كان من اتبع هواه ضل حتى ولو كان على علم.

واتباع الهوى يُردي، أي يقتل، والردى: الرمي بالحجرة حتى الموت. والتردي الوقوع في هوة سحيقة حتى يهلك، كمن تردى من فوق جبل، أي وقع حتى هلك. أي أن إتباع الهوى يُصرع العبد ويقتله، ويكون القتل بهذه الطريقة أفظع من القتل بالسيف! واتباع الهوى يؤدي إلى غلفة القلب، وهذه الغفلة تحجبه عن قبول الهداية وحتى استماع النصح.

(1) التفسير الكبير (13/ 30)

(2) حاشية الصاوي على الجلالين (2/ 24) والعدواة (301)

وفي اتباع الهوى عبودية لغير الله تعالى، لأن إلهه الهوى هو الذي يأمره وينها، ويسمع لهواه ويطيع، فسار يعبده من دون الله.

واتباع الهوى يضل العبد حتى لو كان على علم، فالعلم لا يعصمه من الضلال عند اتباع الهوى، ولم كان علمه نافعاً ما وقع فريسة لهواه.

واتباع الهوى يصد العبد عن الحق، ويجعله يصد الأخرين عن قبول الحق، واستماع الخير، والعمل به.

واتباع الهوى يصد عن سماع الحق واتباع السنة، ثم يحرم نفسه من شفاعة النبي ﷺ في الآخرة.

واتباع الهوى يؤدي العبد إلى الكفر، والإعراض عن الله تعالى. هذا على مستوى الأفراد، ثم ما يلبس حتى يكون على مستوى الجماعات، فتجد لكل داع أتباع، حتى يصبح الفرد جماعة يدعون إلى أهواءهم، ويتبعون أهواءهم.

ولقد ذكر الله تعالى **"الأهواء"** في ستة عشر موضعاً من كتابه

فقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [الأنعام:56]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة:120]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا ﴾ [المائدة:77]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [الأنعام:150]

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثية:18]

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:145]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [المائدة:48]

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد:37]

وقال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:71]

وقال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم:29]

وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى:15]

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:16]

وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:3]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:119]

فكل الأهواء جاءت كلها مقرونة بالذم، وفي معرض الذم. وكل من اتبع هواه إما ضل، وإما سيضل، إما معرض، وأما مكذب وإما ظالم، وإما فاسد أو مفسد، ثم إذا أصرَّ على أتباع الهوى أوصله ذلك أن يطبع على قلبه، فلا تؤثر فيه موعظه، ولا يجدي معه نفع. ثم إن متبع الهوى لا بدله أن يستحسن مالم يشرعه الله، ويقبح ما شرعه الله، فيجعل من نفسه نداً، يشرع، ويقبح ويحسن من عند نفسه، مما يقدح ذلك في عبوديته لله تعالى.

وهذا غاية مراد الشيطان من اتباع الهوى.

وكا النبيﷺ يستعيذ من الهوى فقال:

"اللهم إن أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء" (1)

وقال ﷺ **"ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح قطاع، وإعجاب المرء بنفسه"** (2)

(1) أخرجه الترمزي والطبراني والحاكم وحسن الألباني في "صحيح الجامع .. (1298)

(2) أخرجه الطبراني في "الأوسط" وأبو الشيخ في "التوبيخ" وحسنه الألباني في "الصحيحة (1802) وصحيح الجامع (3039) عن أنس.

وفي رواية: ثلاث مهلكات، منجيات، وثلاث، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكان فشح مطاح، وهو مقبع، وإعجاب المرء بنفسه (1)

قال ابن القيم – رحمه الله – في "الفوائد" (ص98-99) :-

"علمت كلبك فهو يترك شهوته في تناول ما صاده احتراماً لنعتك وخوفاً من سطوتك، وكم علمك معلم الشرع وأنت لا تقبل. حُرّم صيد الجاهل والممسك لنفسه فما ظن الجاهل الذي أعماله لهوى نفسه. جمع فيك عقل الملك، وشهوة البهيمة، وهوى الشيطان، وأنت للغالب عليك من الثلاثة، إن غلبت شهوتك وهواك زدت على مرتبة ملك، وإن غلبك هواك شهوتك فقصت عن مرتبة كلب.

لما صاد ما في العبد من الخير والشر والصفات الممدوحة والمذمومة من صفة المعطي المانع، فهو سبحانه يصف عباده بين مقتضى هذين الاسمين، فحظ العبد الصادق من عبوديته بهما الشكر عند العطاء والافتقار عند المنع فهو سبحانه يعطيه ليشكره ويمنعه ليفتقر إليه فلا يزال مشكوراً فقيراً ".

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبن عمر وغيره، وحسنه الشيخ رحمه الله في "الصحيحة" (1802) وصحيح الجامع (3045)

(17)
استحواذ الشيطـــان

قال الله تعالى: ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة:19] .

قال الزمخشري: "أي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه، فأنساهم أن يذكروا الله أصلاً، ولا بقلوبهم ولا بألسنتهم " (1)

قال القرطبي : قوله ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾[المجادلة:19] أي غلب واستعلى اي : بوسوسته في الدنيا.

وقيل: قوي عليه.

وقال المفضل: أحاط بهم ويحتمل رابعاً: أي جمعهم وضمهم، بقال: أحوذ الشيء أي جمعه وضم بعضه إلى بعض، وإذا جمعهم فقد غلبهم وقوي عليهم وأحاط بهم (2)

قال في اللسان: استحوذ غلب . وقوله ﴿ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [النساء:141] .

أي: ألم نغلب على أموركم ونستول على مودتكم. في الحديث **"ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان"** أي استولى عليهم وحواهم إليه (3)

وفسر ثعلب ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [المجادلة:19] غلب على قلوبهم (4) وقال جماعة: حاذ، خالط، وقيل: تلبث، وتمكث، وتلوى وتغلب، وضم إليه، ونال منه وملكه.

وقيل: اسرع وهرول أيضاً.

وكأني بالشيطان سريع جداً في الاستحواذ على قلب العبد فهو يخالط القلب ثم ما يلبث أن ينضم أو ضمه إليه ثم يتلبث به ويتمكن منه، ثم يتلوى به ويغلب عليه ثم

(1) الكشاف (4/ 78)
(2) تفسير القرطبي (9/ 251)
(3) حسن – أخرجه أبو داود (547) والنسائي (2/ 156) وأحمد (5/ 196) وهو حسن.
(4) اللسان مادة (حوذ)

يملكه، فإذا ملكه فقد استحوذ عليه، وناله وأصبح ملكه، وله الحق بعد ذلك في التحكم فيه والتصرف في أمره- نعوذ بالله من ذلك.

أقول: لقد ثبت بالكتاب والسنة أن الشيطان يستحوذ عل قلوب الغافلين من عباد الله، والباعدين عن منهج رسول الله ﷺ وفلما تمكن منه وكان الاستحواز قوياً كان العبد بعيداً عن الله، وكانت نسبة الإماته فيه شديدة، وكلما كان الامتلاك ضعيفاً والاستحواذ ضعيفاً، يكون العبد قريباً من الله، حتى يتملكه جميعاً والعياذ بالله.

والاستحواذ يكون بسبب الغفلة، والامتلاك يكون يقوة الرغبة في الدنيا.

قال العلامة إبي الطيب في "عون المعبود" (1/522) :

إلاّ قد استحوذ عليهم" **أي: غلبهم وحوَّلهم إليه، فهذه كلمة مما جاء على أصله بلا إعلال خارجية عن أخواتها كاستقام واستقال"** ثم ذكر أن من علاج الاستحواذ التمسك بالجماعة، فإن التخلف عن الجماعة يجعل من العبد فريسة للشيطان كما في الحديث **"فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية"** وهو حسن كما سبق.

(18)

تسول الشيطان

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ [محمد:25] .

قال القرطبي: سول: زين لهم خطاياهم. قاله الحسن.

﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ أي : أمدَّ لهم الشيطان في الأمل ووعدهم طول العمر عن الحسن. وقال: إن الذي ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ في الأمل ومدَّ في أجلهم هو الله عز وجل. قاله الفراء، والمفضل.

قال الكلبي ومقاتل: إن معنى " ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ **أمهلهم، فعلى هذا يكون الله تعالى أملى لهم بالإمهال في عذابهم"** (1)

وقال ابن كثير: إن الذين فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر زين لهم ذلك _ أي الشيطان- وحسنه وأملى لهم: غرهم وخدعهم(2).

قال القاسمي:

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ ﴾أي زين لهم ارتدادهم وحملهم عليه ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ أي: مدَّ لهم في الأمال والأماني، أو أمهلهم الله تعالى، فمد في آجالهم، ولم يُعاجلهم بالعقوبة.

والمعنى: الشيطان سول لهم، والله ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ (3)

وقال البقاعي:

"ولما كانوا قد أحرقوا بذلك أنفسهم وأبعدوها به غاية البعد عن كل خير – أي الذين ارتدوا – عبر عن المعنى بما يدل على ذلك فقال الله تعالى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾أي المحترق باللعنة، البعيد عن الرحمة﴿سَوَّلَ ﴾ أي: حسن لهم بتزيينه وإغوائه الذي حصل

---

(1) تفسير القرطبي (8/ 531)

(2) تفسير ابن كثير (9/ 323)

(3) تفسير القاسمي محاسن التأويل (8/ 375)

لهم منه استرخاء في عزائمهم وفتور في هممهم فجروا معه في مراده في طول الأمل، والإكثار من مواقعه الزلل والأماني من جميع الشهوات والعلل، بعد أن زين لهم سوء العمل، فمكن الله له منهم. وهذا لما علم سبحانه منهم حالة الفطرة الأولى وأملى لهم أي أطال في ذلك ووسع بتكرار ذلك عليهم على تعاقب الملوين ومر الجديدين حتى نسوا المواعظ وأعرضوا عن الذكر - هذا على قراءة الجماعة.

بفتح الهمزة واللام – وأما على قراءة البصريين بضم الهمزة، وكسر اللام، فالمراد أن الله تعالى هو المملي – أي الممهل – لهم بإطالة العمر، وإسباغ النعم، وتسهيل الأماني والحلم، عن المعالجة بالنقم، حتى اغتروا، وهي أيضاً موافقه لقوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [القلم:44،45] وأما في قراء أبي عمرو، بفتح الياء فهو فعل ماض مبنى للمفعول، ودل على أن المملي هو الله سبحانه وتعالى قراءة يعقوب بإسكان الياء على أنه مضارع همزته للمتكلم" (1)

أقول: أما عن كلمة ﴿سَوَّلَ ﴾

فقال الخليل بن أحمد: ﴿سَوَّلَ ﴾ : سوّلتَ لفلان نفسُهُ أمراً، وسوّل له الشيطان: أي زين وأراه إياه(2)

وقال في "اللسان" ﴿سَوَّلَ ﴾ **:** سوّلتَ له نفسُهُ كذا. زيَّنته له. وسّول له الشيطان أغواه.

التسويل: تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان أو يقوله. وفي التنزيل العزيز ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف:18] هذا قول يعقوب عليه السلام – لولده حين أخبروه بأكل الذئب يوسف فقال لهم: ما أكله الذئب، بل سوّلت لكم أنفسكم في شأنه أمراً، أي زينَّت لكم أنفسكم أمراً غير ما تصفون وكأن التسويل: تفعيل من سوّل الإنسان، وهو أمنيته أن يتمناها فتزين لطالبها الباطل وغيره من غرور الدنيا.

(1) نظم الدرر (7/ 171)

(2) كتاب العين (2/ 265) مادة (سول)

وأصل السول مهموز عند العرب، واستثقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به على تخفيف الهمز ، قال الراعي فيه فلم يهمزه :

أخترتك الناسُ إذا رثَّتْ خلائقُهُم   واعتلَّ من كان يرُجى عند السول

والدليل على أن أصل السُّول همز قراءة القُرَّاء قوله عز وجل: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:36] أي : أعطيت أمنيتك التي سألتها.

والتَّسَوُّلُ: استرخاء البطن، والتُّسَوُّنُ مثله.

فرجع معنى كلمة ﴿سَوَّلَ﴾ على معنيين:

الأول: التزين والتحبب والتحسين من قول أو فعل واعتقاد.

فهو – أي اللعين- يحبب بعد أن يزين القول للعبد ليقول به.

ويحسن القول فيلقيه على لسانه ليتكلم به.

ويحببه في الاعتقاد الفاسد ليعتقد به، كما زين للمعتزلة، والخوارج المرجئة والمعطلة، والجبرية، والقدرية، وغيرها من الفرق، فحبب إليهم ما اعتقدوه، حتى يجعلهم من الفرق النارية الضالة، لأنه هو زعيم هذه الفرق النارية ورئيسهم وسائقهم إلى غضب الله، والهاوية.

الثاني: سول: أي منَّاهم ويُمنيهم، ويلقى الأماني في نفوس أتباعه الضعفاء وأولياءه الأزلاء.

ولهذا استخدم – الملعون في السماء وفي الأرض وفي كل زمان ومكان، وفي كل وقت وحين – الأماني الكاذبة والأحلام الخادعة، كسلاح يعيش الإنسان فيه، ويجعله يتوهم أشياء ويحلم بأشياء ربما كانت مستحيلة حتى يقتل عنده الأمل، عندما يتوهم أشياء ثم يوقظه ليصطدم بالواقع المر، فيقع في اليأس.

وربما منَّاه بأشياء مخالفة للشرع، كالذي يتمنى أن يكون مغنياً، وفناناً، و لاعب كرة مشهور، فيغرو بالشهرة والمال حتى يهلك. ولهذا أقسم إبليس أنه سيهلك البشرية بإغراقهم في الأماني الكاذبة فقال كما أخبر الله تعالى عنه ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾ [النساء:119] واللام هنا للقسم كما سبق الكلام في تفسير هذه الآية، ثم قال الله تعالى

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:120] وسيأتي الكلام على أماني الشيطان بالبسط والتوضيح. أقول: وكما أن الشيطان يسول، فإن النفس الخبيثة تسول أيضاً، فيقع منها التسول كما يقع من الشيطان ولهذا أخبر الله تعال عن ذلك فقال ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه:96] .

وقال تعالى على لسان يعقوب ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18] .

وقال في نفس السورة ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف:83] .

وهذا التسول في هذا الآيات بمعنى واحد وهو الغواية والتزيين وإذا كان تسول الإنسان مصدره الشيطان، فيكون جميع التسول منه، لعنه الله تعالى، سواء أكان من الأنسان أو من الشيطان، فمصدره الشيطان، فيرجع التسول كله إليه، لعنه الله.

(19)
تحزين الشيطــان

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة:10] .

قال القرطبي:

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي من تزيين الشيطان لِيَحْزُنَ الَّـذِينَ آمَنُوا إذا توهموا أن المسلمين أصيبوا في السرايا، أو إذا أجروا اجتماعهم على مكايدة المسلمين، وربما كانوا يناجون النبيﷺ فيظن المسلمون أنهم ينتقصونهم عند النبيﷺ ﴿ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ ﴾ أي : التناجي ﴿ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بمشيئته وقيل: بعلمه، وعن ابن عباس بأمره: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: يكلون أمرهم إليه، ويفوضون جميع شئونهم إلى عونه، ويستعيذون به من الشيطان ومن كل شر، فهو الذي سلط الشيطان بالوساوس ابتلاء للعبد وامتحاناً ولو شاء لصرفه عنه.

الثانية: في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول اللهﷺ قال: "إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد" (1) وعند عبد الله بن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: **"إذا كنتم ثلاث فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن يحزنه"** (2) فبين في هذا الحديث غاية المنع وهي أن يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر، وذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يناجه حتى دعا رابعاً، فقال له وللأول: تأخرا وناجي الرجل الطالب للمناجاة، خرجه الموطأ، وفيه أيضاً التنبيه على التعليل بقوله: **"من أجل أن يحزنه"** أي يقع في نفسه ما يحزن لأجله، وذلك بأن يقدر في نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنهم لم يروه أهلاً ليشركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من أُلقيات

(1) أخرجه مسلم في كتاب " **السلام** " (4/ 1717) .

(2) أخرجه البخاري (6290) ومسلم (4/ 38/ 1718) .

الشيطان وأحاديث النفس، وحصل ذلك كله من بقائه وحده، فإذا كان معه غير أمن ذلك، وعلى هذا يستوي في ذلك كل الأعداد، فلا يتناجى أربعة دون وأحد ولا عشرة ولا ألف مثلاً، لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع، فيكون بالمنع أولى، وإنما خص الثلاثة بالذكر، لأنه أول عدد يتأتى ذلك المعنى فيه، وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال، وإليه ذهب ابن عمر ومالك والجمهور، وسواء أكان التناجي في مندوب أو مباح أو واجب فإن الحزن يقع به، وقد ذهب بعض الناس إلى أن ذلك كان في أول الإسلام، لأن ذلك كان في حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المؤمنين، فلما فشا الإسلام سقط ذلك، وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر في المواضع التي لا يأمن الرجل فيها صاحبه، فأما في الحضر وبين العمارة فلا، فإنه يجد من يعينه، بخلاف السفر فإنه مظنة الاغتيال وعدم المغيث، والله أعلم.

قال ابن القيم:

منزلة الحزن

ومن منازل "﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5] منزلة "**الحزن**".

وليست من المنازل المطلوبة، لا المأمور بنزولها، وإن كان لابد للسالك من نزولها. ولم يأت "**الحزن**" في القرآن إلا منهياً عنه. أو منفياً.

فالمنهي عنه: كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ**﴾ [آل عمران:139] وقوله ﴿**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**﴾ [النحل:127] في غير موضع، وقوله: ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة:40] والمنفي كقوله ﴿**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة:38] .

وسر ذلك: أن "**الحزن**" موقف غير مسير، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان: أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾ [المجادلة:10] ونهى النبيﷺ الثلاثة "**أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث، لأن ذلك يحزنه**" فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبيﷺ ، فقال"**اللَّهم إنِّي أعوذ بك من الهم والحزن**" (1)

(1) أخرجه البخاري (2893) وغيره .

فهو قرين الهم، والفرق بينهما: أن المكروه الذي يرد على القلب، إن كان لما يستقبل: أورثه الهم، وإن كان لما مضى: أورثن الحزن وكلاهما مضعف للقلب عن السير، مفتر للعزم.

ولكن نزول منزلته ضروري بحسب الواقع. ولهذا يقول أهل الجنة إذا دخلوها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:34] فهذا يدل على أنهم كان يصيبهم في الدنيا الحزن، كما يصيبهم سائر المصائب التي تجري عليهم بغير أختيارهم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:92] فلم يمدحوا على نفس الحزن. وإنما مدحوا على ما دل عليه الحزن من قوة إيمانهم، حيث تخلفوا عن رسول الله ﷺ لعجزهم عن النفقة، ففيه تعريض بالمنافقين الذين لم يحزنوا على تخلفهم، بل غبطوا نفوسهم به.

وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: "ما يصيب المؤمن من هم ولانصب، ولا حزن إلا كفَّر الله به خطاياه" [(1)] فهذا يدل على أن مصيبة من الله يصيب به العبد، يكفر بها من سيئاته. لا يدل على أنه مقام ينبغي طلبه واستيطانه.

وأما حديث هند بن أبي هالة [(2)] **، في صفة النبي ﷺ: "إنه كان متواصل الأحزان"** فحديث لا يثبت . وفي إسناده من لا يعرف.

وكيف يكون متواصل الأحزان، وقد صانه الله عن الحزن على الدنيا وأسبابها، ونها عن الحزن على الكفار وغُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فمن أين يأتيه الحزن؟.

بل كان دائم البشر، ضحوك السن، كما في صفته الـضَّحوك القتال – صلوات الله وسلامه عليه.

وأما الخبر المروي: "إن الله يحب كل قلب حزين" فلا يعرف إسناده، ولا من رواه، ولا تعلم صحته.

---

(1) أخرجه البخاري (5641) (5642) ومسلم (4/ 52) عن ابي سعيد وأبي هريرة.

(2) أخرجه أبو الشيخ في "أخلاق النبي ﷺ، (18) وسنده ضعيف.

وعلى تقدير صحته: فالحزن مصيبة من المصائب، التي يبتلى الله بها عبده، فإذا ابتلى به العبد فصبر عليه، أحب صبره على بلائه.

وأما الأثر الآخر: "إذا أحب الله عبداً، نصب في قلبه نائحة، وإذا أبغض عبداً جعل في قلبه مزماراً" فأثر إسرائيلي. قيل: إنه في التوراه، وله معنى صحيح، فإن المؤمن حزين على ذنوبه، والفاجر لا ه لاعب، مترنم فرح.

وأما قوله تعالى عن نبيه إسرائيل: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف:84] ، فهو أخبار عن حالة بمصابه بفقده ولده، وحبيبه، وأنه ابتلاه بالتفريق بينه وبينه.

وأجمع أرباب السلوك: على أن حزن الدنيا غير محمود إلا أبا عثمان الحيري، فإنه قال الحزن بكل وجه فضيلة، وزيادة للمؤمن. مالم يكن بسبب معصية قال: لأنه إن لم وجب تخصيصاً، فإنه يوجب تمحصياً.

فيقال: لا ريب أنه محنة وبلاء من الله، بمنزلة المرض والهم والغم، وأما إنه من منازل الطريق: فلا. والله سبحانه أعلم.

قال صاحب المنازل: "الحزن: توجع لفائت، وتأسف على ممتنع"

يريد أن ما يفوت الإنسان قد يكون مقدوراً له، وقد لا يكون فإن كان مقدراً توجع لفوته وإن كان غير مقدور تأسف لا متناعه ...

قال : وله ثلاث درجات:

الأولى حزن العامة، وهو حزن على التفريط في الخدمة، وعلى التورط في الجفاء، وعلى ضياع الأيام".

التفريض في الخدمة عندهم: فوق التفريط في العمل وتضييعه، بل هذا الحزن يكون مع القيام والعمل، فإن الخدمة – عندهم- من باب الأخلاق والآداب، لا من باب الأفعال. في حق العبودية، وأدبها وواجبها، وصاحب هذا الحزن بالأولى: أن يحزن لتضييع العمل.

و"**أما التورط في الجفاء**" فهو أيضاً أخص من المعصية بارتكاب المحظور، لأنه قد يكون لفقد أنس سابق مع الله، فإذا توارى عنه تورط في الجفوة، فإن الشيخ ذكر "**الحزن**" في قسم الأبواب، وهو عنده من قسم البدايات.

وأما تضييع الأيام: فنوعان أيضاً تضييعها بخلوها على الطاعات، وتضييعها بخلوها على مواجيد الإيمان، وذوق حلاوته ، والأنس بالله، وحسن الصحبه معه.

قال الدرجة الثانية: "حزن أهل الإرادة. وهو حزن عل تعلق القلب بالتفرقة، وعلى اشتغال النفس عن الشهود وعلى التسلي عن الحزن".

"**تعلق القلب بالتفرقة**": وهو عدم الجمعية في الحضور مع الله، وتشتيت الخواطر في أودية المرادات.

وأما "اشتغال النفس عن الشهود": فهو نوعان. اشتغالها عن الذكر الذي يوجب الشهود ويثمر بغيره.

والثاني اشتغالها عن الشهود. لضعف الذكر، أو لضعف القلب عن الشهود، أو لمانع آخر. ولكن إذا قهر الشهود النفس لم تتمكن من التشاغل عنه إلا بقاهر يقهرها عنه.

وأما "التسلي عن الحزن": فيعني أو وجود الحزن في القل دليل على الإرادة والطلب، ففقده والتسلي عنه نقص، فيحزن على فقد الحزن، كما يبكي على فقد البكاء ويخاف من عدم الخوف، وهذا فيه نظر. وإنما يحمد الحزن على فقد الحزن، أما إذا اشتغل عن الحزن بفرح محمود – وهو الفرح بفضل الله ورحمته – فلا معنى للحزن على فوات الحزن.

قال صاحب المنازل: "وليست الخاصة من مقام الحزن في شيء لأن الحزن فقد، والخاصة أهل وجدان".

وهذا إن أراد به: أنه لا ينبغي لهم تعمد الحزن: فصحيح. وإن أراد به: لا يعرض لهم حزن: فليس كذلك. والحزن من لوازم الطبيعة، ولكن ليس هو بمقام.

قال: الدرجة الثالثة من الحزن: "التحزن للمعارضات دون الخواطر، ومعارضات القصود، واعتراضات الأحكام".

هذه ثلاثة أمور، بحسب الشهود والإدارة.

الأول: حزن المعارضات. فإن القرب يعترضه وارد الرجاء مثلاً، فلم ينشب أن يعارضه وارد الخوف، وبالعكس، ويعترضه وارد البسط، فلم ينشب أن يعترضه وارد القبض، ويرد عليه وارد الأنس، فيعترضه وارد الهيبة، فيوجب له اختلاف هذه المعارضات عليه حزناً لا محالة.

وليست هذه المعارضات من قبيل الخواطر، بل هي من قبيل الواردات الإلهية، فلذلك قال: "**دون الخواطر**" فإن معارضات الخواطر غير هذا.

وعند القوم: هذا من آثار الأسماء ولاصفات، واتصال أشعة أنوارها بالقلب، هو المسمى عندهم بالتجلي.

وأما "معارضات القصود": فهي أصعب ما على القوم، وفيه يظهر أضطرارهم إلى العلم فوق كل ضرورة، فإن الصادق يتحرى في سلوكه كل أحب الطرق إلى الله، فإنه سالك به وإليه فيعترضه طريقان لا يدري أيهما أرضى لله وأحب إليه. فمنهم : من يحكم العلم بجهده استدلالاً، فإن عجز فتقليداً، فإن عجز عنهما سكن ينتظر ما يحكم له به القدر، ويخلي باطنه من القاصد جملة.

ومنهم: من يلقي الكل على شيخه، إن كان له شيخ.

ومنهم: منهم يلجأ إلى الاستخارة والدعاء، ثم ينتظر ما يجري به القدر.

وأصحاب العزائم يبذلون وسعهم في طلب الأرضي علماً ومعرفة، فإن أعجزهم قنعوا بالظن الغالب، فإن تساوى عندهم الأمران، قدموا أرجحهما مصلحة.

ولترجيح المصالح رتب متفاوتة. فتارة تترجح بعموم النفع، وتارة تترجح بزيادة الإيمان، وتارة تترجح بمخالفة النفس، وتارة تترجح باستجلاب مصلحة أخرى لا تحصل من غيرها، وتارة تترجح بأمنها من الخوف من مفسدة لا تؤمن في غيرها.

فهذه خمس جهات من الترجيح، قل أن يعدم واحدة منها.

فإن أعوزه ذلك كله تخلى عن الخواطر جملة، وانتظر ما يحركه به محرك القدر، وافتقر إلى ربه مستنزل ما يرضيه ويحبه، فإذا جاءته الحركة استخار الله، وافتقر إليه افتقارًا.

ثانياً خشية أن تكون تلك الحركة نفسية أو شيطانية، لعدم العصمة في حقه، واستمرار المحنة بعدوه، ما دام في عالم الابتلاء والامتحان، ثم أقدم على الفعل.

فهذا نهاية ما في مقدور الصادقين.

ولأهل الجهاد في هذا من الهداية والكشف ما ليس لأهل المجاهدة. ولهذا قال الأوزاعي وابن المبارك: " **إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما عليه أهل الثغر**".

يعني أهل الجهاد: فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:69] .

وأما اعتراضات الأحكام: فيجوز أن يريد بالأحكام: الأحكام الكونية، وهو أظهر، وأن يريد بها الأحكام الدينية، فإن أرباب الأحوال يقع منهم اعتراضات على الأحكام الجارية عليهم بخلاف ما يريدونه، فيحزنون عند إدراكهم لتلك الاعتراضات على ما صدر منهم من سوء الأدب، وتلك الاعتراضات هي إرادتهم خلاف ما جرى لهم به القدر فيحزنون على عدم الموافقة، وإرادة خلاف ما أريد بهم.

وإن كان المراد به: الأحكام الدينية: فإنهم تعرض لهم أحوال لا يمكنهم الجمع بينها وبين أحكام الأمر – كما تقدم- فلا يجدون بداً من القيام بأحكام الأمر، ولابد أن يعرض لهم اعتراض خفي أو جلي، بحسب انقطاعهم عن الحال بالأمر، فيحزنون لوجود هذه المعارضة، فإذا قاموا بأحكام الأمر، ورأوا أن المصلحة في حقهم ذلك، وحمدوا عاقبته حزنوا على تسرعهم على المعارضة، فالتسليم لداعي العلم واجب، ومعارضة الحال من قبيل الإرادات والعلل، فيحزن على نفيها فيه[1]. والله أعلم.

(1) مدارج الساكين (1/ 406 – 410)

(20)
النسيان من الشيطان

قال تعالى: ﴿ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾ [الكهف:63]

وقال تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [يوسف:42]

وقال تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:19]

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:68]

قال في الصحاح، النسيان: " هو خلاف الذِّكر والحفظ، بأن يكون ذاكرًا لشيء، فينساه عند الفعل " (1)

وقال الجرجاني: "هو الغفلة من معلوم في غير حالة السِّنة، فلا ينافي الوجوب أي نفس الوجوب، ولا وجوب الأداء " (2)

قال الخليل بن أحمد: نسي : نَسِيَ فلانٌ شيئاً كان يذكرُهُ، وإنه لنسيٌّ، أي كثير النسيان من قوله جل وعز: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:64]

والنَّسْي: الشيءُ المَنْسِيَّ الذي لا يذكر. يقال منه قوله تعالى ﴿وَكُنتُ نَسۡيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم:23] ويقال: هو خرقة الحائض إذا رمت به ، ونسيتُ الحديث نسياناً. ويقال: أَنْسَيْتُ إنساءً ونسيتُ أجودُ، قال الله تعالى ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾ [الكهف:63] ولم يقل: أنسيت، ومعنى أنسيت: أخرت وسُمِّي الإنسان من النِّسيان. (3)

وفي **"اللسان. نَسِيَهُ نَسْياً ونسياناً ونسْوةً ونساوةً ونساوةً والأخيرتان على المعاقبة ".**

تناساهُ وأنساهُ إياه وقوله ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ [التوبة:67]

(1) الصحاح (6/ 2508)
(2) التعريفات (ص 241)
(3) كتاب العين (4/ 216) عادة نسي

قال ثعلب: لا يَنْسى الله عز وجل إنما معناه: تركوه فتركهم فلما كان النسيان ضرباً من الترك وضعه موضعه وفي " **التهذيب** " أي: تركوا أمر الله فتركهم من رحمته.

وقوله تعالى ﴿فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:126]

معناه: ترك.

لأن الناسي لا يُؤاخذ بنسيانه.

وهو معنى الترك، كقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة:106] أي: نأمركم بتركها يقال: أنسيتُهُ: أي أمرت بتركه، ونيستُه: تركتُهُ.

قال الفرّاء: عامّةُ القُرَّاء يجعلون قوله ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ من النسيان والنسيان هنا على وجهين:

أحدهما على الترك، نتركها فلا ننسخا كما قال تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:67] يريد تركوه فتركهم.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:237] الوجه الآخر من النسيان الذي يُنسي كما قال تعالى ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:24] والنَّسْوُة: الترك للعمل.

وقوله ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:19] معناه أنساهم أن يعملوا لأنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:41] قال الزّجّاج: تنْسُونَ ههنا على ضربين:

جائز أن يكون تنسون: تتركون.

وجائز أن يكون المعنى في تركهم دُعاهُم بمنزلة من قد نسيهم وكذلك قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف:51] أي: نتركهم من الرحمة في عذابهم بما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وكذلك قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأنعام:44] يجوز أن يكون معناه: " **تتركوا ويجوز أن يكونوا في تركهم القبول بمنزلة من نسى**" (1)

(1) اللسان مادة نسى (6/ 4416- 4417).

قال العلامة الشنقيطي – رحمه الله-:

دليل على أن النسيان من الشيطان كما دلت عليه الآيات، واستخدام النسيان ورد في القرآن في خمسة وأربعين موضعًا ، وأكثر استخدام النسيان في مواطن **"الترك"** أي أن معناه: **"الترك"** [1] .

قلت: وأكثر السور وردة فيها النسيان سورة الكهف ورده فيها النسيان خمس مرات وكذلك سورة طه.

ثم الأعراف: أربع مرات، ثم البقرة والأنعام ومريم: ثلاث مرات.

قال القرطبي:

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الكهف:63] أن مع الفعل بتأويل المصدر، وهو منصوب بدل اشتمال من الضمير في﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾ وهو بدل الظاهر من المضمر، أي: **" وما أنساني ذكره إلا الشيطان"** .

وفي مصحف عبد الله "وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان" [2] .

والنسيان عند الأصوليين من العواض السماوية التي تمنع جريان الأفعال والأقوال على الناس.

فعرفه بعضهم بقوله "عارض يعرض للإنسان فلا يجعله يتذكر ما كُلِّف به، وهو لا ينافي أهلية الوجوب، ولا أهلية الأداء لبقاء القدرة بكمال العقل"

وهو لا يكون عذراً في حقوق العباد لأنها محترمة لحاجاتهم، لا للابتلاء، وبالنسيان لا يفوت هذا الاحترام ، وعليه لو أتلف مال غيره ناسياً لوجب عليه الضمان، أما حقوق الله تعالى فالنسيان يُعدُّ عذراً بالنسبة لاستحقاق الإثم فالناس لا إهم عليه لقوله ﷺ **"إن الله تعالى وضع عن أمتى الخطأ والنسيان، وما استكروهوا عليه"** [3]

أما في أحكام الدين فقد يكون النسيان عذراً مقبولاً فلا تفسد عبادته كما في أكل الصائم ناسياً[4]

---

(1) الأضواء (4/ 170).

(2) تفسير القرطبي (5/ 16) وإعراب القرآن للنحاس (2/ 464)

(3) تفسير الطبري (15/ 178) والمحرر الوجيز لابن عطية (10/ 424)

(4) الوجيز في أصول الفقه (ص 105) والحديث صحيح مخرج في موضع آخر .

وقال صاحب كتاب عداوة الشيطان (ص 347):

"ويعتبر النسيان أسلوباً من أساليب الشيطان في كيده للإنسان، فينسيه ما فيه خيره وصلاحه من خلال استعداد الإنسان للنسيان، فيلهيه عن طاعة ربه تعالى وذكره، حتى ربما ترك جميع الواجبات، ثم يدعوه إلى المحرمات وارتكاب ما يشينه من المعاصي والمنكرات، فإذا زين الشيطان لغرائز الإنسان أمراً من الأمور، أو زين لها غاية من الغايات – وهو لا يزين لها إلا ما تحبه – لانت لسماعه، ومالت إلى أتباعه، وكان لها من اللذة الحالمة، والسريان العذب، والإغراء المطمع، ما يجعل القلب يستحب الركون إليه، ويأنس لمطاوعته والمزيد منه، وينصرف بالتدريج عما لديه من أمر الله حتى يغدو مشغولاً بخواطر جديدة، وأمال غير التي كان يتعلق بها، وغايات غير التي كان يرسمها له إيمانه بالله، وذلك هو النسيان القلبي" (1) .

قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف يقدر الشيطان على الإنسان؟ قلت: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره" (2)

أقول: إن الشيطان يستدرج العبد بالنسيان، فيبدأ معه بالسهو، ثم الغفلة، حتى يصل به إلى الترك، لأن الشيطان لن يبدأ معه بالترك مباشرة، وإلا استفاق العبد، وهي الخطوات التي نهى الله عباده أن يتبعوها وراء الشيطان، فإن إتباع خطوات الشيطان في القليل يؤدي إلى الكثير، وإتباع الشيطان في المكروه يؤدي إلى إرتكاب المحرمات، وإتباع خطوات الشيطان في ترك السنن يؤدي إلى ترك الفرائض، وهكذا .. ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾[البقرة:168] .

وكما أن هناك نسيان منسوب إلى الشيطان، هناك نسيان منسوب إلى الإنسان، لهذا قال عباد الله ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾[البقرة:286] وهناك نسيان منسوب إلى الأنبياء عليهم السلام، وهناك نسيان ابتلى به الله عباده، وللنسيان أحكام وآداب، ليس هذا موضع البيان.

(1) العداوة (ص 347) وانظر آدم عليه السلام لهبي الخولي (ص 187)

(2) الكشاف (2/ 322)

(21)
وسوسة الشيطــان

قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف:20] .

وقـــال تعـــالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه:120] .

وقـال تعـالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[الناس:1،6]

قال ابن القيم:

"فالوسواس الخناس، وصفان لموصوف محذوف، وهو الشيطان، وحَسُن حذف الموصوف هاهنا، غلبة الوصف حتى صار كالعلم ... قال : فتعيَّن أن الوسواس هو الشيطان نفسه، وأنه ذات لا مصدر والله أعلم" (1)

قال ابن جرير من شر الوسواس يعني : من شر الشيطان وقال: "الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، وإذ ذكر خنس" (2)

قال في" اللسان الوَسْوسة والوَسْواس: الصوت الخفـي مـن ريـح. والوَسْـواس: صوت الحَلْي، وقد وَسْوسَ وَسْوَسـةً ووِسْواسـاً، بالكسر. والوَسْوَسـة والوسـواس: حـديث الـنفس. يقـال: وسْوَسـتْ إليـه نفـسه وَسْوَسـة ووِسْواسـاً بكـسر الـواو، والوَسْوَاسُ، بالفتح، الاسم. والوِسْواس، بالكسر المصدر. والوَسْـواس بـالفتح هـو الشيطان. وكلُّ ما حدَّثك وَوَسْوس إليه فهذا أسم. وقوله تعـالى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأعراف:20] يريد إليها وقال أبر تراب: سمعت خليفة يقول:

---

(1) التفسير القيم (ص605)

(2) تفسير الطبري (30/ 355)

الوَسْوسة الكلام الخفي في اختلاط.

وفي الحديث " **والحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة** "[1] هي حديث النفس والأفكار.

ورجل مُوَسْوَس: أي غلبت عليه الوَسْوسة

والوَسْواس: الشيطان، وقد وَسْوَس في صدره، وَوَسْوس إليه. وقوله عز وجل﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾[الناس:4] أراد ذي الوسواس هو الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس وفي التفسير إن له رأساً كرأس الحية يجثم على القلب. فإذا ذكر العبد ربه خنس وإذا ترك ذكر الله رجع إلى القلب يوسوس.

وفلان الموَسْوِس بالكسر: الذي تعتريه الوساوس.

وقال أبو منصور: وإنما قيل: مُوَسْوِس لتحديثه نفسه بالوسْوَسة، قال الله تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾[ق:16] وَوَسْوس الرجل: كَلَّمْه كلاماً خفياً. وَوَسْوَسَ إذا تكلم بكلام لم يُبينه.[2]

والوسوسة مرض يحدث بسبب الأخلاط.

وقال الفيومي: "الوسواس بالفتح: مرض يحدث من غلبة السوداء يختلط معه الذهن، ويقال: لما يخطر بالقلب من شرٍّ ولَـمّاً لا خير فيه: وسواس "[3]

وفي "المعجم الوسيط: "الوسواس الشيطان، ومرض يحدث من غلبة السوداء، يختلط معه الذهن"[4]

فالوسواسة: تطلق على حديث النفس.

وتطلق على مرض يحدث من غلبة السوداء والسوداء واحد من الأخلاط الأربعة: وهي الصفراء والدمم والبلغم والسوداء.

(1) أخرجه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني وسيأتي تخريجه

(2) اللسان مادة (وسس) وتفسير القرطبي (4/ 155)

(3) المصباح المنير ص (252)

(4) المعجم الوسيط (2/ 1075)

والوسواس: هو الشيطان كما سبق. والشيطان يتعاون مع قرين العبد ليهلك العبد بالوسوسة.

قال ابن عباس ﵄ "إن الشيطان يكون من الجن. فيوسوس في النفس، ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الآذان وكلاهما يتعاونان قال تعالى: يُوحِي ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:112] وكلاهما يوسوس.

قال المعتمر بن سلميان عن أبيه. ذكر لي أن الشيطان الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس (1)

أخرج ابن عبد البر بسند قوي إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من آدم، فأرى جسده ممهى – أي مصفي – يرى داخله من خارجه، وأُري الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه، حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة، وقد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر الله خنس(2)

أقول: الوساوس على ضربين:

الأول: ما يسمى بالوسواس القهري، وهذا يتعلق بالسلوك العام للعبد ، فتجد من يصاب به، مصاب بالتردد في أخذ القرار، ويتردد في فعل الأشياء، فإذا دخل للوضوء فيقع في الوسوسة هل غسل يده أم لا؟ فنجده يغسل يده عدة مرات، ومع هذا يظن أنه لم يغسلها... وهذا مجاله علم النفس.

الثاني: الوسوسة التي سببها تلبيس إبليس وتكون في العقيدة، وفي الطهارة، وغيرهما.

مثال الوسوسة ودليلها قوله ﷺ **"إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق كذا – في رواية (الله) من خلق كذا؟ حتى يقول : من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"** (3)

وهذا الشيطان الذي يوسوس في العقيدة يأتي بطرق وحالات ولقد اعترى بعض

---

(1) مكاشد الشيطان لابن أبي الدنيا

(2) فتح الباري (7/ 374)

(3) فتفق عليه وسيأتي بالفاظه وتخريجاته.

الصحابة مثل هذه الحلات فروى مسلم. في صحيحه أن بعضهم كانوا يأتون النبيﷺ فيقولن: يا رسول الله إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: "أو قد وجدتموه؟! قالوا: نعم قال: **"ذلك صريح الإيمان"** وقد بلغ من وسوسته أن صحابياً جاء إلى النبيﷺ وقال له: يا رسول الله، إني أُحدّث نفسي بالشيء، لأن أكون حممة أحب من أن أتكلم به، وفي رواية: لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به فقال له النبيﷺ **"الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة"** أخرجه أحمد وأبو داود وهو حسن كما سبق.

وهناك وسوسة تجاوز الله عنها، وهي حديث النفس كما في الحديث الذي رواه البخاري (2528) ومسلم (127) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

"إن الله تجاوز عن أمتى ما وسوست به صدرها مالم تعمل به أو تكلم"

قال بعض أهل العلم: "هذه الوسوسة مظهر من مظاهر عجز الشيطان لأنه عندما يعجز عن ثني العبد عن الطاعة وجره إلى المعصية يلجأ إلى التشويش عليه بالخواطر والأفكار التشكيكية" (1)

أما الوسوة في الصلاة، والطهارة فلها موضع آخر في **"الشيطان في السنة"** سيأتي إن شاء الله تعالى.

وللإمام الغزالي في الأحياء فصل جميل في الوسوسة ننقله هنا بنصه للفائدة.

(1) الإنسان بين السحر والعين (ص 214) للأستاذ زهير حموي.

بيان تسلط الشيطان علي القلب بالوسوسة

وسبب غلبتها :

أعلم أن القلب كما ذكرناه مثل قُبة مضروبة لها أبواب تُنصب إليه الأحوال من كل باب، ومثاله أيضاً: مثال هدف تُنصب إليه السِّهام من الجوانب، أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة، ولا تخلو عنها. أو مثال حوص تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه.

وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال؛ أما من الظاهر فالحواس الخمس، وأما من الباطن فالخيال، والشهوة والغضب، والأخلاق المركبة من مزج الإنسان؛ فإنه إذا أُدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب، وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل، وبسبب قوة المزاج، حصل منها في القلب أثر، وإن كفَّ عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر، والمقصود أن القلب في التغير والتأثير دائماً من هذه الأسباب، وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر، وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار، والأذكار، وأعني به إدراكاته علوماً إما على سبيل التجدد، وإما على سبيل التذكر، فإنها تُسمى خواطر من حيث أنها تخطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها.

والخواطر هي المحركات للإرادات، فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة، فمبدأ الأفعال الخواطر، ثم الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء.

والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعوا إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة، وإلى ما يدعوا إلى الخير أعني ما ينفع في الدار الآخرة.

فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين، فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً ، والخاطر المذموم أعنى الداعي إلى الشر يسمى وسواساً.

ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة، ثم إن كل حادث فلابد له من مُحدث.

ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب، وهذا ما عُرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب. فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة.

وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان: فسبب الخاطر الدَّاعي إلى الخير يُسمى ملكاً، وسبب الخاطر الدَّاعي إلى الشر يُمسى شيطاناً، واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا، والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغوائاً وخذلاناً ، فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة، والملك عبارة عن خَلق من خَلقة الله تعالى، شأنه إفاضة الخير، وإفادة العلم، وكشف الحق، والوعد بالخير، والأمر بالمعروف، وقد خلقه وسخره لذلك.

والشيطان عبارة عن خَلق شأنه ضد ذلك ، وهو الوعد بالشر، والأمر بالفحشاء، والتخويف عند الهم بالخير بالفقر، **فالوسوسة** في مقابلة الألهام، **والشيطان** في مقابل **الملك**، والتوفيق في مقابل الخذلان. وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الذاريات:49] فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له، بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها. فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك. وقد قالﷺ: " **في القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله، ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم**" ثم تلا قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[البقرة:268][1] الآية. وقال الحسن إنما هما همان يجولان في القلب، هم من الله تعالى، وهم من العدو، فرحم الله عبداً وقف عند همه، فما كان من الله تعالى أمضاه. وما كان من عدوه جاهده.

والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول أثار الشيطان صلاحاً متساوياً، وليس يترجح أحدهما على الآخر، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو

(1) سيأتي تخريجه إن شاء الله

الإعراض عنها ومخالفتها، فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى، وصار القلب عش الشيطان ومعدته، لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه، وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قبله مستقر الملائكة ومهبطهم، ولما كان لا يخلوا عن شهوة وغضب وحرص وطمع أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشبعة عن الهوى، لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة. ولذلك قالﷺ **"ما منكم من احد إلا وله شيطان"** قالوا: وأنت يارسول الله؟ قال: **" وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير"** [(1)]

وإنما كان هذا الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة، فمن أعانه الله على شهواته حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي، وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر، فالشيطا المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير، ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فسوس. ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم.

والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن، ويكون إجتياز الثاني اختلاساً. وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشيطان وتملكتها، فاملأت بالوساوس الداعية إلى إيثار العاجلة وإطرح الأخرة، ومبدأ اسيلائها اتباع الشهوات، وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة.

وقال جابر بن عبيدة العدوي: شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال: إنما مثل ذلك البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه. يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان. ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾[الحجر:42] فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله، ولذلك سلط الله عليه الشيطان. وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ

(1) متفق عليه وسيأتي تخريجه

﴿ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية:23] وهو إشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله. ولذلك قال عمرو بن العاص للنبيﷺ: يارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال: **"ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل منه واتفل على يسارك ثلاثاً"** قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني(1) ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به، لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل، ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضاً أن يكون مجالاً للشيطان، وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان في مجال، ولا يعالج الشيء إلا بضده، وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة، وهو معنى قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى، وإنما الشيطان يطوف على سبيل الخلسة . قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:201]. وقال مجاهد في معنى قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس:4] قال: هو منبسط على القلب، فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض ، وإذا غفل انبسط على قلبه.

فالتطارد بين بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة:19]

وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قالﷺ: **"إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجارية بالجوع"** (2) وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات. ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه، قال الله تعالى إخباراً عن إبليس: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ [الأعراف:16، 17] وقال

(1) أخرجه مسلم وسيأتي

(2) صحيح دون قوله **"فضيقوا عليه ..."** وسيأتي

ﷺ: "إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتترك دينك ودين آباءك فعصاه وأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك؟ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك؟ فعصاه وجاهد [1] وقال رسول الله ﷺ **"فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة"** . فذكر رسول الله ﷺ معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يُقتل وتُنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة. فإذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته، ولذلك قال عليه السلام : **"وما من أحد إلا وله شيطان"**.

فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم، وإن كان جسماً فكيف يدخل بدن الإنسان ماهو جسم؟ فهذا الآن غير محتاج إليه في علم لمعاملة . بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها.

ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل، فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة، وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو لا محالة فينبغي أن يشتغل بمجاهدته، وقد عَرَّف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:6]وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يس:60] فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه.

نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه، وسلاح الشيطان الهوى والشهوات

(1) صحيح وسيأتي تخرجيه.

وذلك كاف للعالمين. فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته – نعوذ بالله منه – وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته.

نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داع إلى الشر فلا يخفى كون وسوسة، وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاماً، وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمه الملك أو من لمه الشيطان؟

فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير، والتمييز في ذلك غامض، وأكثر العباد به يهلكون، فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير، كما يقول للعالم بطريق الوعظ: أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل، هلكي من الغفلة قد أشرفوا على النار؟ أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة؟ فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكن عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم؟ وهو لا يزال يقرر ذلك في نفسه ويتجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس، ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له: إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك في قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق. ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة التعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول، فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : **"إن الله يؤيد هذا الدين بقول لا خلاق لهم"**[1] . **" وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"** [2] ولذلك روى أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم ﷺ فقال له : "قل لا إله إلا الله فقال: كلمة حق ولا أقولها بقولك. لأن له أيضاً تحت الخير تلبيسات، وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى، وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء

(1) أرجه النسائي عن أنس بسند جيد

(2) متفق عليه من حديث أبي هريرة

والأغنياء وأصناف الخلف ، ممكن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة.

فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ [الأعراف:201] أي رجعوا إلى نور العلم: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:201] أي ينكشف لهم الإشكال، فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر. وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر:47] قيل: هي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات، وأغمض أنواع علوم المعاملة والوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوساوس وتسلط عليه الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه. ولا ينجي من كثرة الوسواس إلاَّ سد أبواب الخواطر. وأبوابها الحواس الخمس، وأبوبها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا، والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس، والتجرد عن الأهل والمال يقلل مدخل الوسوس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى، ثم أنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته، وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا بالموت إذ لا يتخلص حد من الشيطان ما دام حيا. نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد، ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام حياً. فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع وغيرها – كما سيأتي شرحها – ومهما كان الباب مفتوحاً والدجو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة.

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد أينام الشيطان؟ فتبسم وقال: لو نام لاستراحنا. فإذن لا خلاص للمؤمن منه. نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته[1].

(1) أخرجه أبن أبي الدنيا في "مكائد الشيطان"

وقال ابن مسعود: شيطان المؤمن مهزول[1] وقال قيس بن الحجاج. قال لي شيطاني: دخلت يك وأنا مثل الجزور وأن الآن مثل العصفور، قلت: ولم ذاك؟ قال تذيبني بذكر الله تعالى[2] فأهل التقوى لا يتعذر عليه سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة، أعنى الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة، وإنما يتعثرون في طرقه الغامضة فإنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ، والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد، وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة، فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة. والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى، والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مما يهدي إلى غوامض طرقه، وإلا فطرقه كثيرة وغامضة. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً وقال: **"هذا سبيل الله"** ثم خط لنا خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله ثم قال: **"هذه سبل علي كل سبيل منها شيطان يدعو إليه"** ثم تلا: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ**﴾ [الأنعام:153] لتلك الخطوات [3] فبين ﷺ كثرة طرقه.

(1)أخرجه أبن أبي الدنيا في **"مكائد الشيطان"** (19) بسند حسن

(2)أخرجه أبن أبي الدنيا في **"مكائد الشيطان"** (19)

(3) صحيح وقد سبق.

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

أعلم أن هذا أمر غامض، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء بالشرع. فقد روي عن النبيﷺ أنه قال: **"عفى عن أمتي ماحدثت به نفوسها مالم تتكلم به أو تعمل به"** (1) .

وقال أبو هريرة: قال رسول اللهﷺ **"إن الله تعالى يقول للحفظة: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتوبها، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا "** (2) وقد خرجه البخاري ومسلم في **" الصحيحين"** وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة.

وفي لفظ آخر: "من همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت" .

وفي لفظ آخر: "وإذا تحث بأن يعمل سيئة فأنا إغفرها له مالم يعملها" وكل ذلك يدل على العفو، فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:284] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:36] فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفي عنه وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥۗ﴾ [البقرة:283] وقوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ﴾ [البقرة:225] والحق عندنا في هذه

(1) متفق عليه بلفظ "إن الله تجاوز لأمتي .." عن أبي هريرة.
(2) متفق عليه من حديث أبي هريرة

المسألة لا يوقف عليه مالم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح.

فنقول: أول ما يرد على القلب الخاطر، كما لو خطر له مثلاً صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها.

والثاني: هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة في الطبع، وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع، ويسمى الأول حديث النفس.

والثالث: حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل، أي ينبغي أن ينظر إليها، فإن الطبع إذا مل لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الألتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل، وهو على كل حال حكم من جهة العقل، ويسمى هذا اعتقاداً وهو يتبع الخاطر والميل.

الرابع: تصميم العزم على الالتفات وجزم النيه، وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصداً وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس أكد هذا لهم وصار إرادة مجزومة فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل، وربما بغفل بعارض فلا يعمل به ولا يتلفت إليه، وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل.

فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة: الخاطر وهو حديث النفس، ثم الميل، ثم الاعتقاد، ثم الهم فنقول: أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار، وكذلك الميل وهيجان الشهوة أنهما لا يدخلان أيضاً تحت الاختيار.

وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب أنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطراراً واختيارًا، والأحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والإضطراري لا يؤاخذ به.

وأما الرابع وهو الهم بالفعل؛ فإنه مؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفاً من الله تعالى وندماً على همه كتبت له حسنة، لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنه، والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى، والامتناع بالمجاهده على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة، فجدّةُ في مخالفة الطبع هو العمل لله

تعالى والعمل لله تعالى أشد من جَدّه في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنه لأنه رجح جدّه في الامتناع وهمه به على همه بالفعل، وإن تعوق بالفعل بعائقا أو تركه بعذر لا خوفاً من الله تعالي كتبت عليه سيئة، فإن همه فعل من القلب اختياري.

والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلاً في لفظ الحديث قال رسول الله ﷺ قالت الملائكة عليهم السلام: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه. فإن هو عملها فاكتبوها له مثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنه إنما تركها من جرائي[1] وحيث قال: فإن لم يعملها: أراد به تركها لله، فأما إذا عزم على فاحشة فعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنه؟ وقد قال ﷺ: **"إنما يحشر الناس على نياتهم "** [2] ونحن نعلم أن من عزم ليلاً على أن يصبح ليقتل مسلماً أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصراً على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها.

والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال **"إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار"** فقيل: يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال : **"لأنه أراد قتل صاحبه"** [3] وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوماً فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم؟ بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة، ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنه، فأما فوات المراد بعائق فليس حسنة، وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار، فالمؤاخذ به تكليف ما لا يطاق، ولذلك ما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:284] جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله ﷺ وقالوا: كلفنا مال لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال ﷺ **"لعلكم تقولن كما قالت اليهود سمعنا وعصينا وقولوا سمعنا وأطعنا"** [4] فأنزل الله تعالى الفرج بعد سنة بقوله ﴿لَا

(1) في صحيح مسلم عن أبي هريرة.

(2) أخرجه ابن ماجة عن جابر "يحشر الناس" بسند جيد وأصله في صحيح مسلم عن عائشة

(3) متفق عليه عن أبي بكر.

(4) أخرجه مسلم عن أبي هريرة

يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [البقرة:286] فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذه به. فهذا وكشف الغطاء عن هذا الالتباس. وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس لم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن يغلط، وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب؟ بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عن مسئولا؟ أي ما يدخل تحت الاختبار. فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فإن أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذاً بها لأنه مختار، فكيف خواطر القلب تجري هذا المجرى، بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل: قال رسول الله ﷺ **"التقوى ههنا وأشار إلى القلب"** (1) وقال الله :﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ﴾ [الحج:37] ، وقال ﷺ: **"الإثم حواز القلوب"** (2) وقال: **"البر ما اطمأن إليه القلب وإن أفتوك وأفتوك"** (3) حتى إنا نقول إذا حكم القلب اطمأن إليه بإيجاب شيء وكان مخطئاً فيه صار مثاباً عليه، بل من قد ظن أن تطهر فعليه أن يصلي، فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله، فإن تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه. ومن وجد على فراشة أمرأة فظن أن زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبة. فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته. وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح.

(1) أخرجه مسلم عن أبي هريرة

(2) سيأتي تخريجه، وفيه ضعف لكن له شاهد من الحديث الآتي

(3) حسن – أخرجه أحمد وغيره وله شواهد يتقوى بها.

بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا؟

أعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق

فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل أنه ﷺ قال: "فإذا ذكر الله خنس" والخنس هو السكوت، فكأنه يسكت.

وقالت فرقة: لا ينعدم أصله لكن يجري في القلب لا يكون له أثر، لأن القلب إذا صار مستوعباً بالذكر كان محجوباً عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه، فإنه قد يتكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه.

وقالت فرقة: لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً، ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بُعد وعلى ضعف.

وقالت فرقة: ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة، ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنا متساوية وهو كالكرة التي عليه نقط متفرقة، فإنك إذا أدرتها بسرعة تواصلها بالحركة، واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا.

وقالت فرقة : الوسوسة والذكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقاً لا ينقطع، وكما أن الإنسان قد يرى بعينيه شيئين في حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين، والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة، ولكن كلها قاصرة عن الإحاظة باصناف الوسواس، وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه.

والوسواس أصناف، الأول أن يكون من جهة التلبيس بالحق، فإن الشيطان قد يلبس بحق فيقول للإنسان: تترك التنعم باللذاب فإن العمر طويل والصبر علي الشهوات طول العمر لله عظيم، فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه.

وقال لنفسه: الصبر على الشهوات شديد، ولكن الصبر على النار أشد منه، ولا بد من أحدهما، فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب، إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار، فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه، وكذلك يوسوس إليه بالعُجب فيقول: أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده؟ فما أعظم مكانك عند الله تعالى! فيذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به؟ فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله، فإن المعرفة والإيمان يدفعه. فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة.

الصنف الثاني: أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها، وهذا ينقسم إلى ما يعلم لعبد يقيناً أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن، فإن علمه يقيناً خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وإن كان مظنوناً، فربما يبقى مؤثراً بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة.

الصنف الثالث: أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتفكر في غير الصلاة مثلاً "فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود، ويندفع ويعود، فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعاً حتي يكون الفهم مشتملاً على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر فكأنهما في موضعين من القلب وبعيد جداً أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر، ولكنه ليس محالاً إذ قال ﷺ: **"من صلي ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه"**[1] فولا أنه متصور لما ذكره، إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدو تاذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه، وكذلك المستغرق في

---

(1) أخرجه البخاري وسيأتي

الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه لو كَلَّمه غيره لم يسمع ولو أجتاز بين يد أحد لكان كأن لا يراه. وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجاه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من الذاهب وجهاً في محل مخصوص.

وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد، ولكن الخلاص منع عمراً طويلاً بعيداً جداً، ومحال في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله ﷺ.

فقد روي: " أنه نظر إلى علم ثوبه في الصالة فلما سلم رمى بذلك الثوب" وقال **"شغلني عن الصلاة"** وقال : **"أذهبوا به إلى ابي جهم وائتوني بانبجانيته"**[1] وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على المنبر ثم رمى به قال: **"نظرة إليه ونظرة إليكم"** وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلي خاتم الذهب وعلم الثوب- وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به – فال تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة، فما دام يملك شيئاً وراء حاجته ولو ديناراً واحداً لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره، وأنه كيف يحفظه؟

وفي ماذا ينفعه؟

وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد؟

وكيف يظهره حتى يتباهى به؟

إلى غير ذلك من الوساوس. فمن أنشب مخالبه في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انعمس في العسل وظن أن الذباب لا يقع عليه فهو محال. فالدنيا باب عظيم لوسوة الشيطان، وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء: الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي، فلو امتنع أتاه من وجه النصيحه حتى

(1) أخرجه النسائي عن ابن عباس وسيأتي.

يلقيه في بدعه، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام، فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهما إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه، وعند ذلك يشتد إلحاحه، فإنها آخر درجة، ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة.[1]

ونختم هذا العنوان بكلام طيب للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الماتع لا يستغني عنه مسلم فضلا عن طالب علم، وهو كتاب حرى أن يُدرس في المدارس والكليات والمعاهد، والمساجد وهو **"إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"** ولقد اختصرت كلامه في ذم الموسوسين، وبعض الأدوية لعلاج الوسوسة، ".

فقال- رحمه الله - : ومن كيده ألذي بلغ الجهال ما بلغ: الوسواس الذي كادهم به في أمر الطهارة والصلاة عند عقد النية، حتى ألقاهم في الآصار والأغلال، وأخرجهم عن اتباع سنة رسول الله ﷺ ، وخُيِّل إلى أحدهم أن ما جاءت به السنة لا يكفي حتى يضم إليه غيره، فجمع لهم بين هذا الظن الفاسد، والتعب الحاضر، وبطلان الأجر أو تنقيصه ".

ولا ريب أن الشيطان هو الداعي إلى الوسواس: فأهله قد أطاعوا الشيطان، ولبوا دعوته، واتبعوا أمره، ورغبوا عن اتباع سنة رسول الله ﷺ وطريقته، حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله ﷺ ، أو اغتسل كاغتساله ولم يطهر ولم يرتفع حدثه، ولولا العذر بالجهل كان هذا مشاقة للرسول، فقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد، وهو قريب من ثلث رطل بالدمشقي، ويغتسل بالصاع وهو نحو رطل وثلث، والموسوس يرى أن ذلك القدر لا يكفيه لغسل يديه، وصح عنه ﷺ أنه توضأ مرة مرة، ولم يزد على ثلاث، بل أخبر أن: **"من زاد عليها فقد أساء وتعدى وظلم"**[2] فالموسوس مسيء متعد ظالم بشهادة رسول الله ﷺ ، **" فكيف يتقرب إلى الله بماهو مسيء به متعد فيه لحدوده"**.

(1) أحياء علوم الدين (3/ 433 – 456) .

(2) حسن – أخرجه أبو داود (135) وابن خزيمة (174) وخرجته في غير هذا الموضع .

وصح عنه أنه كان يغتسل هو وعائشة رضي الله عنها من قصعة بينهما فيها أثـر العجـين[1]، ولو رأي الموسوس من يفعل هذا لأنكر عليه غاية الإنكار، وقال: ما يكفي هذا القـدر لغسل اثنين؟ كيف والعجين يحلله الماء فيغيره؟ هذا والرشاش ينـزل في المـاء فينجسه عند بعضهم، ويفسده عند آخرين، فلا تصح به الطهارة، وكانﷺ يفعل ذلك مع غير عائشة، مثل ميمونة وأم سلمة، وهذا كله في الصحيح.

وثبت أيضاً في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: " كان الرجال والنساء على عهـد رسول اللهﷺ يتوضئون من إناء واحد" [2] والآنية التي كـانﷺ وأزواجـه وأصـحابه ونساؤهم يغتسلون منها لم تكن من كبار الآنية ولا كانت لها مادة تمدها، كأنبوب الحمام ونحوه، ولم يكونوا يراعون فيضانها حتى يجري الماء مـن حافتهـا، كـما يراعيـه جهـال الناس ممن بُلى بالوسواس في جرن الحمام.

فهدى رسول اللهﷺ الذي من رغب عنه فقد رغب عن سنته، جواز الاغتسال من الحياض والآنية، وإن كانت ناقصة غير فائضة، ومن انتظر الحوض حتـى يفـيض ثـم استعمله وحده ولم يكن أحداً أن يشاركه في استعماله هو مبتدع مخالف للشريعة.

قال شيخنا ويستحق التعزير البليغ الذي يزجره وأمثاله عن أن يشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله، ويعبدوا الله بالبدع بالأتباع.

ودلت هذه السنن الصحيحة على أن النبيﷺ وأصحابه لم يكونـوا يكثـرون صـب الماء، ومضى على هذا التابعون لهم بإحسان.

قال سعيد بن المسيب: " إني لأستنجي مـن كـوز الحـب[3] وأتوضـأ وأفـضل منـه لأهلي"

وقال الإمام أحمد: "من فقه الرجل قلة ولوعه بالماء".

وقال المروزي: "وضأت أبا عبد الله بالعسكر، فسترته من الناس لئلا يقولـوا إنـه لا يحسن الوضوء لقلة صبه الماء:

(1) حديث صحيح، أخرجه البخاري (250) (261) (273) (299) (2956) (7339) وغيره.
(2) صحيح البخاري (193).
(3) الحب: الجرة: أو ما يقال له الزبر، وهو ذو العروتين.

وكان أحمد يتوضأ فلا يكاد يبل الثرى.

وثبت عنهﷺ في الصحيح" **أنه توضأ من إناء فأدخل يده فيه ثم تمضمض استنشق**" [1] وكذلك كان في غسله يدخل يده في الإناء، ويتناول الماء منه، والموسوس لا يجوز ذلك ولعله أن يحكم بنجاسة الماء ويسلبه طهوريته بذلك.

وبالجملة فلا تطاوعه نفسه لاتباع رسول اللهﷺ ، وأن يأتي بمثل ما أتى بل أبداً، وكيف يطاوع الموسوس نفسه أن يغتسل هو وامرأته من إناء واحد قدر الفرق قريباً من خمسة أرطال بالدمشقي، يغمسان أيديهما فيه، ويفرغان عليهما؟ فالموسوس يشمئز من ذلك كما يشمئز المشرك إذا ذكر الله وحده.

قال أصحاب الوسواس: إنما حملنا على ذلك الاحتياط لديننا، والعمل بقولهﷺ: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"[2] وقوله: "**من أتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه**" [3] وقوله: "**الإثم ما حاك في الصدر**"[4].

وقال بعض السلف: الإثم حوز القلوب[5]، وقد وجد النبيﷺ تمرة فقال: "**لولا أني أخشي أن تكون من الصدقة لأكلتها**"[6] أفلا يرى أنه ترك أكلها احتياطاً؟

وقد أفتى مالك رحمه الله فيمن طلق امرأته وشك: هل هي واحدة أم ثلاث بأنها ثلاث احتياطا للخروج. وأفتى من حلف بالطلاق إن في هذه اللوزة حبتين، وهو لا يعلم ذلك، فبان الأمر كما حف عليه ، أنه حانث لأنه حلف علي مالا يعلم وقال فيمن طلق واحدة من نسائه ثم أنسيها: يطلق عليه جميع نسائه احتياطا، وقطعا للشك.

وقال أصحاب مالك فيمن حلف بيمين ثم نسيها: أنه يلزمه جميع ما يحلف به عادة، فيلزمه الطلاق، والعتاق، والصدقة بثلث المال، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين بالله

(1) حديث صحيح: أخرجه البخاري (140) وغيره.

(2) حديث صحيح، أخرجه الترمذي (2518) وأحمد (1/ 200) والنسائي (8/ 328) وعبد الرزاق (4984).

(3) حديث صحيح، أخرجه أحمد (4/ 267) والبخاري (52) ومسلم (1599) وأبو داود (3329)، والترمذي (1205).

(4) حديث صحيح، أخرجه أحمد (182) ومسلم (2553) وغيرهما.

(5) أي حيَّرها وأقلقها.

(6) حديث صحيح، أخرجه البخاري (3/ 164) وأحمد (3/ 184) وعبد الرزاق (18642) وغيرهم.

تعالى، والحج ماشياً، ويقع الطلاق في جميع نسائه، ويعتق عليه جميع عبيده وإمائه، وهذا أحد القولين عندهم.

ومذهب مالك أيضاً: أنه إذا حلف ليفعلن كذا: أنه على حنث حتى يفعله، فيحال بينه وبين امرأته.

ومذهبه أيضاً: أنه إذا قال إذا جاء رأس الحول فأنت طالق ثلاثًا، أنها تطلق في الحال، وهذا كله احتياط.

وقال الفقهاء: من خفي عليه موضع النجاسة من الثوب وجب عليه غسله كله.

وقالوا: إذا كان معه ثياب طاهرة ويتنجس منها ثياب، وشك بها، صلى في ثوب بعد ثوب بعد ثوب، بعدد النجس، وزاد صلاة لتيقن براءة ذمته.

وقالوا: إذا اشتبهت الأواني الطاهرة بالنجسة أراق الجميع وتيمم، وكذلك إذا اشتبهت عليه القبلة، فلا يدري في أي جهة فإنه يصلى أربع صلوات عند بعض الأئمة لتبرأ ذمته بيقين.

وقالوا: من ترك صلاة من يوم ثم نسيها وجب عليه أن يصلى خمس صلوات وقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام من شك في صلاته أن يبني على اليقين.

وحرم أكل إذا خالط كلبة كلباً آخر، للشك في تسمية صاحبه عليه، وهذا باب يطول تتبعه.

فالاحتياط والأخذ باليقين غير مستنكر في الشرع، وإن سميتموه وسواسًا.

وقد كان عبد الله بن عمر يغسل داخل عينيه في الطهارة، حتى عمى. وكان أبو هريرة إذا توضأ أشرع في العضد، وإذا غسل رجليه أشرع في الساقين.

فنحن إذا احتطنا لانفسنا وأخذنا باليقين وتركنا ما يريب إلى ما لا يريب، وتركنا المشكوك فيه للمتيقن المعلوم، وتجنبنا محل الاشتباه، لم نكن بذلك عن الشريعة خارجين، ولا في البدعة والجين، وهل هذا إلا خير من التسهيل والاسترسلا؟

حتى لا يبالي العبد بدينه، ولا يحتاط له، بل يسهل الأشياء ويمشي حالها، ولا يبالي كيف توضا؟

ولا بأي ماء توضأ؟ ولا بأي مكان صلى؟

ولا يبالي ما أصاب ذيله وثوبه، ولا يسأل عما عهد بل يتغافل، ويحسن ظنه، فهو مهمل لدينه لا يبالي ما شك فيه، ويحمل الأمور على الطهارة، وربما كانت أفحش النجاسة، ويدخل بالشك ويخرج بالشك، فأين هذا ممن استقصى في فعل ما أُمر به، واجتهد فيه، حتى لا يخل بشيءٍ منه، وإن زاد على المأمور فإنما قصده بالزيادة تكميل المأمور، وأن لا ينقص منه شيئاً؟.

قالوا: وجماع ما ينكرونه علينا احتياط في فعل مأمور، أو احتياط في اجتناب محظور، وذلك خير وأحسن عاقبة من التهاون بهذين، فإنه يفضي غالباً إلى النقص من الواجب، والدخول في المحرم، وإذا وازنا بين هذه المفسدة ومفسدة الوسواس كانت مفسدة الوسواس أخف، هذا إن ساعدناكم على تسميته وسواساً، وإنما نسميه احتياطاً واستظهاراً، فلستم بأسعد منا بالسنة، ونحن حولها ندندن، وتكميلها نريد.

وقال أهل الاقتصاد والاتباع: قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب:21] ، وقال تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:31] ، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:158] ، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153] وهذا الصراط المستقيم الذي وصانا بإتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو قصد السبيل، وما خرج عنه، فهو من السبل الجائزة، وإن قاله من قاله، لكن الجور قد يكون جورًا عظيمًا عن الصراط، وقد يكون يسيرًا، وبين ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله وهذا كالطريق الحسي، فإن السالك قد يعدل عنه ويجور جوراً فاحشًا، وقد يجور دون ذلك، فالميزان الذي يُعرف به الاستقامة على الطريق والجور عنه هو ما كان رسول الله وأصحابه عليه، والجائر عنه إما مفرط ظالم، أو مجتهد منزول، أو مقلد جاهل، فمنهم المستحق للعقوبة، ومنهم المغفور له، ومنهم المأجور أجراً واحداً، بحسب نياتهم ومقاصدهم واجتهادهم في طاعة الله تعالى ورسوله، أو تفريطهم.

ونحن نسوق من هدى رسول الله وهدى أصحابه ما يبين أي الفريقين أولى باتباعه، ثم نجيب عما احتجوا به بعون الله وتوفيقه.

ونقدم قبل ذكر النهي عن الغلو، وتعدي الحدود، والإسراف وإن الاقتصاد والاعتصام بالسنة عليهما مدار الدين.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[النساء:171] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[الأنعام:141] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[البقرة:190] وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾[البقرة:229] ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:55]

وقال ابن عباس ﭬ: قال رسول الله ﷺ – غداة العقبة وهو على ناقته: **" القط لي حصا، فلقطت له سبع حصيات من حصا الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: " أيها الناس، إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين"** (1) رواه الإمام أحمد والنسائي.

وقال أنس ﭬ: قال رسول الله ﷺ: **"لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات: رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم"** (2)

فنهي النبي ﷺ عن التشديد في الدين، وذلك بالزيادة على المشروع وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه، إما بالقدر، وإما بالشرع.

فالتشديد بالشرع: كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل الوسواس، فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر، حتى استحكم ذلك وصار صفة لازمة لهم.

قال البخاري: "وكره أهل العلم الإسراف فيه – يعني الوضوء – وأن يجاوزوا النبي ﷺ ، وقال ابن عمر ﭬ **"إسباغ الوضوء: الإتقاء"**(3)

---

(1) حديث صحيح، أخرجه أحمد (1/ 215، 347) وابن ماجه (3029) والحاكم (1/ 466).

(2) حديث ضعيف، أخرجه أبو داود (4488) والطبراني (5551) في الكبير.

(3) أخرجه أحمد (ص/ 245) في الزهد، وأبو نعيم (1/ 253) في حلية الأولياء.

فالفقه كل الفقه الاقتصاد في الدين، والاعتصام بالسنة.

قال أبي بن كعب: "عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة وذكر الله عز وجل فاقشعر جلده من خشية الله تعالى إلا تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة إذا كانت أعمالكم اقتصاداً أن تكون على منهج الأنبياء وسنتهم".

قال الشيخ أبو محمد المقدسي في كتابه ذم الوسواس:

الحمد لله الذي هدانا بنعمته، وشرفنا بمحمد ﷺ برسالته، ووفقنا للاقتداء به والتمسك بسنته، ومنّ علينا بإتباعه الذي جعله علمًا على محبته ومغفرته، وسببا لكتابة رحمته وحصوله هدايته، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:31] ، وقال تعالى ﴿أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف:156،187] ثم قال: ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:158] .

أما بعد: فإن الله سبحانه جعل الشيطان عدوا للإنسان، يقعد له الصراط المستقيم، ويأتيه زيادة من كل جهة وسبيل، كما أخبر الله تعالى عنه أنه قال: ﴿ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:17] وحذرنا الله عز وجل من متابعته، وأمرنا بمعاداته ومخالفته، فقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:6]، وقال: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ﴾ [الأعراف:27] ، وأخبرنا بما صنع بأبوينا تحذيرا لنا من طاعته، وقطعان للعذر من متابعته، وأمرنا الله سبحانه وتعالى بإتباع صراطه المستقيم ونهانا عن إتباع السبل سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:153] وسبيل الله وصراطه المستقيم: هو الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته، بدليل قوله عز وجل: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ

﴿٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يس:1،4] وقال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج:67] وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:52] فمن اتبع رسول الله ﷺ في قوله وفعله فهو على صراط الله المستقيم، وهو ممن يحبه الله ويغفر له ذنوبه، ومن خالفه في قوله أو فعله فهو مبتدع، متبع لسبيل الشيطان غير داخل فيمن وعد الله بالجنة والمغفرة والإحسان.

فصل

ثم إن طائفة الموسوسين قد تحقق منهم طاعة الشيطان، حتى اتصفوا بوسوسته، وقبلوا قوله، وأطاعوه، ورغبوا عن إتباع رسول الله ﷺ وصحابته، حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله ﷺ ، أو صلى كصلاته، فوضوءه باطل، وصلاته غير صحيحة، ويرى أنه إذا فعل مثل رسول الله ﷺ في مواكلة الصبيان، وأكل طعام عامة المسلمين، أنه قد صار نجسا، يجب عليه تسبيع يده وفمه، كما لو ولغ فيهما كلب أو بال عليهما هر. ثم إنه بلغ من استيلاء إبليس عليهم أنهم أجابوا إلى ما يشبه الجنون، ويقارب مذهب السوفسطائية الذين ينكرون حقائق الموجودات، والأمور المحسوسات، وعلم الإنسان بحال نفسه من الأمور الضروريات اليقينيات، وهؤلاء يغسل أحدهم عضوه غسلا يشاهده ببصره ويكّبر ويقرأ بلسانه، بحيث تسمعه أذناه، ويعلمه بقلبه، بل يعلمه غيره منه ويتقنه، ثم يشك: هل فعل ذلك أم لا؟ وكذلك يشككه الشيطان في نيته وقصده التي يعلمها من نفسها يقينا، بل يعلمها غيره منه بقرائن أحواله، ومع هذا يقبل قول إبليس في أنه ما نوى الصلاة ولا أرادها، مكابرة منه لعيانه، وجحدًا لقين نفسه، حتى تراه متلددًا متحيرًا، كأنه يعالج شيئًا يجتذبه، أو يجد شيئًا في باطنه يستخرجه، كل ذلك مبالغة في طاعة إبليس، وقبول وسوسته، ومن انتهت طاعته لإبليس إلى هذا الحد فقد بلغ النهاية في طاعته.

ثم أنه يقبل قوله في تعذيب نفسه ويطيعه في الإضرار بجسده تارة بالغوص في الماء البارد، وتارة بكثرة استعماله وإطالة العراك، وربما فتح عينه في الماء البارد، وغسل داخلها حتى يضر ببصره، وربما أفضى إلى كشف عورته للناس، وبما صار إلى حال يسخر منه الصبيان ويستهزئ به من يراه.

قلت: ذكر أبو الفرج ابن الجوزي عن أبي الوفاء ابن عقيل: أن رجلا قال له: أنغمس في الماء مرارًا كثيرة وأشك: هل صح لي الغسل أم لا، فما ترى في ذلك، فقال له الشيخ اذهب، فقد سقطت عنك الصلاة، قال: وكيف؟ قال: لأن النبي ﷺ قال: رفع القلم

عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يبلغ[1] ومن ينغمس في الماء مرارًا ويشك هل أصابه الماء أم لا فهو مجنون.

قال: وربما شغله بوسواسه حتى تفوته الجماعة، وربما فاته الوقت ويشغله بوسوسته في النية حتى تفوته التكبيرة الأولى، وربما فوت عليه ركعة أو أكثر، ومنهم من يحلف أنه لا يزيد على هذا، ثم يكذب.

قلت: وحكى لى من أثق به عن موسوس عظيم رأيته أنا يكرر عقد النيه مرارًا عديدة فيشق على المأمومين مشقة كبيرة، فعرض له حلف بالطلاق أنه لا يزيد على تلك المرة، فلم يدعه إبليس حتى زاد، ففرق بينه وبين امرأته، فأصابه لذلك غم شديد، وأقاما متفرقين دهرًا طويلاً، حتى تزوجت تلك المرأة برجل آخر، وجاءه منها ولد، ثم إنه حنث في يمينٍ حلفها ففرق بينهما وردت إلى الأول بعد أن كاد يتلف لمفارقتها.

وبلغني عن آخر أنه كان شديد التنطع في التلفظ بالنية والتقعر في ذلك، فاشتد به التنطع والتقعر يومًا إلى أن قال: أصلي، مرارًا، صلاة كذا وكذا، وأراد أن يقول: أداء، فأعجم الدال، وقال: أذاء لله، فقطع الصلاة رجل إلى جانبه، يقال: ولرسوله وملائكته وجماعة المصلين.

قال: ومنهم من يتوسوس في إخراج الحرف حتى يكرره مرارًا.

قال: فرأيت منهم من يقول: الله أككبر، قال لي إنسان منهم: قد عجزت عن قول: "**السلام عليكم**" فقلت له: قل مثل ما قد قلت الآن، وقد استرحت.

وقد بلغ الشيطان منهم أن عذبهم في الدنيا قبل الآخرة، وأخرجهم عن اتباع الرسول، وأدخلهم في جملة أهل التنطع والغلو، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

فمن أراد التخلص من هذه البلية فليستشعر أن الحق في اتباع رسول الله ﷺ في قوله وفعله، وليعزم على سلوك طريقته عزيمة من يشك أنه على الصراط المستقيم، وأن ما خالفه من تسويل إبليس ووسوسته، ويوقن أنه عدو له لا يدعوه إلى خير ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:6]، وليترك التعرج على كل ما خلف طريقة

(1) حديث صحيح أخرجه أحمد (1/ 140)، (6/ 100) وأبو داوود (4398) والترمذي (1423) والنسائي (6/ 156) وابن ماجه (3041) وغيرهم.

رسول الله ﷺ كائنا ما كان، فإنه لا يشك أن رسول الله ﷺ كان على الصراط المستقيم، ومن شك في هذا فليس بمسلم، ومن علمه فإلى أين العدول عن سنته؟ وأي شيء يبتغي العبد غير طريقته؟ ويقول لنفسه: ألست تعلمين أن طريقة رسول الله ﷺ هي الصراط المستقيم؟ فإذا قالت له: بلى، قال لها: فهل كان يفعل هذا؟ فستقول: لا، فقل لا، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:32] ؟ وهل بعد طريق الجنة إلا طريق النار؟ وهل بعد سبيل الله وسبيل رسوله إلا سبيل الشيطان؟ فإن اتبعت سبيله كنت قرينه، وستقولين: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزُّخرُف:38] (1)

ولينظر أحوال السلف في متابعتهم لرسول الله ﷺ فليقتد بهم، وليختر طريقهم فقد روينا عن بعضهم أنه قال: **(لقد تقدمني قوم لو لم يجاوزوا بالوضوء الظفر ما تجاوزته)**.

قلت: هو إبراهيم النخعي.

وقال زين العابدين يوما لأبنه: (يا بني، اتخذ لي ثوبا ألبسه عند قضاء الحاجة، فإني رأيت الذباب يسقط على الشيء ثم يقع على الثوب، ثم انتبه فقال: ما كان للنبي ﷺ وأصحابه إلا ثوب واحد، فتركه).

وكان عمر رضي الله عنه يهم بالأمر ويعزم عليه، فإذا قيل له : لم يفعله رسول الله ﷺ انتهى، حتى إنه قال: **(لقد هممت أن أنهى عن لبس هذه الثياب، فإنه قد بلغني أنه تصبغ ببول العجائز، فقال له أبي: ما لك أن تنهي، فإن رسول الله ﷺ قد لبسها ولبست في زمانه، ولو علم الله أن لبسها حرام لبينه لرسوله ﷺ ، فقال عمر: صدقت)**.

ثم ليعلم أن الصحابة ما كان فيهم موسوس، ولو كانت الوسوسة فضيلة لما ادخرها الله عن رسوله وصحابته، وهم خير الخلق وأفضلهم، ولو أدرك رسول الله ﷺ الموسوسين لمقتهم، ولو أدركهم عمر رضي الله عنه لضربهم وأدبهم، ولو أدركهم الصحابة لبدَّعوهم، وها أنا أذكر ما جاء في خلاف مذهبهم على ما يسره الله تعالى مفصلا.

(1) **الخلاصة:** مكائد الشيطان كثيرة، ولكن السعيد من وفقه الله تعالى إلى الحذر والنأي عنها، والشقى من تركه الله يقع فيها.
ومكائد الشيطان إما بتفريط في حق من الحقوق، أو بمغلاة في واجب من الواجبات.

فصل

ومن ذلك الواسوس في انتفاض الطهارة لا يلتفت إليه.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ **، قال:** قال رسول الله ﷺ: **(إذا وجد أحدكم في بطنه شيئًا فأشكل عليه: أخرج منه شيء أم لا؟ فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتا أو يجد ريحاً)** (1) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن زيد قال: (شكى إلى رسول الله ﷺ : الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، قال: لا ينصرف حتى يسمع صوتا أويجد ريحا) (2). وفي المسند وسنن أبي داوود عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **(إن الشيطان يأتي أحدكم وهو في الصلاة فيأخذ بشعره من دبره فيمدها، فيرى أنه قد أحدث ، فلا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا)** (3) ولفظ أبي داوود: **(إذا أتى الشيطان أحدكم فال له: إنك قد أحدثت، فليقل له: كذبت، إلا ما وجد ريحا بأنفه، أو سمع صوتا بأذنه)**. فأمر ﷺ بتكذيب الشيطان فيما يحتمل صدقه فيه، فكيف إذا كان كذبه معلوما متيقا كقوله للموسوس: لم تفعل كذا ، وقد فعله؟.

قال الشيخ أبو محمد: ويستحب للإنسان أن ينضج فرجه وسراويله بالماء إذا بال، ليدفع عن نفسه الوسوسة، فمتى وجد بللا قال: هذا من الماء الذي نضحته، لما روى أبو داوود بإسناده عن سفيان بن الحكم الثقفي، أو الحكم بن سفيان قال: **(كان النبي ﷺ إذا بال توضأ وينتضح)** (4) .

وفي رواية: (رأيت رسول الله ﷺ بال ثم نضح فرجه) وكان ابن عمر ينضح فرجه حتى يبل سراويله.

---

(1) حديث صحيح، أخرجه مسلم (362) وابن خزيمة (2824) وغيرهما.

(2)حديث صحيح، أخرجه البخاري (1/ 46) ومسلم (361) وعبد الرزاق (534).

(3)حديث ضعيف، أخرجه أحمد (3/ 96) وابن خزيمة (1020) وغيرهما،وصححه الألباني رحمه الله .

(4)إسناده مضطرب، أخرجه أحمد (5/ 408) وأبو داوود (166) والنسائي (1/ 40) وابن ماجه (461).

وشكا إلى الإمام أحمد بعض أصحابه أنه يجد البلل بعد الوضوء، فأمره أن ينضح فرجه إذا بال، قال ولا تجعل ذلك من همتك واله عنه.

وسئل الحسن أو غيره عن مثل هذا فقال: (الهُ عنه) فأعاد عليه المسألة فقال: **"أتستدره لا أب لك الهُ عنه"**.

فصـل

ومن هذا ما يفعله كثير من الموسوين بعد البول وهو عشرة أشياء: السلت، والنـتر، النحنحة، والمشي، والقفز، والحبل، والتفقد، والوجور، والحشو، والعصابة، إدرجة[1].

أما السلت فيسلته من أصله إلى رأسه، على أنه قد روى في ذلك حـديث غريـب لا يثبت ففي المسند وسنن ابن ماجه عن عيسى بن داوود عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ **"إذا بال أحدكم فليمسح ذكره ثلاث مرات"** [2].

وقال جابر بن زيد: "إذا بلت فامسح أسفل ذكرك فإنه ينقطع" رواه سعيد عنه.

قالوا: ولأنه بالسلت والنتر يستخرج ما يخشى عوده بعد الاستنجاء.

قـالوا: وإن احتاج إلى مشي خطوات لذلك ففعل فقد أحسن، والنحنحة ليـستخرج الفضلة، وكذلك القفز يرتفع عن الأرض شيئا ثم يجلس بسرعة، والحبل يتخذ بعضهم حبلا يتعلق به حتى يكاد يرتفع، ثم ينخرط منه حتى يقعد، والتفقد يمسك الذكر ثـم ينظر في المخرج هل بقى فيه شيء أم لا، والوجور يمسكه ثم يفتح الثقب ويـصب فيـه الماء، والحشو يكون معه ميل وقطن يحشوه به كما يحشو الدمل بعد فتحهـا، والعـصابة يعصبه بخرقه، والدرجة يصعد في سلم قليلا ثم ينزل بسرعة، والمشي يمشي خطـوات ثم يعيد الاستجمار.

قال شيخنا: وذلك كله وسواس وبدعة، فراجعته في السلت والنتر فلم يره، وقال لم يصح الحديث، قال: والبول كاللبن في الضرع إن تركته قر وإن حلبته در.

قال: ومن اعتاد ذلك ابتلى منه بما عوفي منه من لها عنه.

قـال: ولو كان سنة لكان أولى الناس به رسول الله ﷺ وأصحابه وقد قـال اليهـودي لسلمان: **" لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخرأة، فقال: أجل"** [3] فأين علمنـا نبينـا ﷺ ذلك أو شيئا منه؟ بلى علم المستحاضة أن تتلجم، وعلى قياسها من به سلس البـول أن يتحفظ، ويشتد عليه خرقه.

---

(1) العدد هنا أحد عشر، فلعل داخل من الآخر.

(2) حديث ضعيف، أخرجه أحمد (4/ 347) وابن ماجه (326).

(3) حديث صحيح، أخرجه مسلم (262) وأبو داوود (7).

ومن ذلك الوسوسة في مخارج الحروف والتنطع فيها.

ونحن نذكر ما ذكره العلماء بألفاظهم:

قال أبو الفرج بن الجوزي: قد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف، فتراه يقول: الحمد ، الحمد، فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة، وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد في إخراج ضاد **"المغضوب"** قال: ولقد رأيت من يخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده، والمراد تحقيق الحرف فحسب، وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق، ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة، وكل هذه الوساوس من إبليس.

وقال محمد بن قتيبة في مشكل القرآن: وقد كان الناس يقرأون القرآن بلغاتهم، ثم خلف من بعدهم قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة، ولا علم التكلف، فهفوا في كثير من الحروف، وذلو فأخلوا، ومنهم رجل ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقربه من القلوب بالدين، فلم أر فيمن تتبعت في وجوه قراءته أكثر تخليطا ولا أشد اضطرابا منه، لأنه يستعمل في الحرف ما يدعه في نظيره ثم يؤصل أصلا ويخالف إلى غيره بغير علة.

ويعتبر في كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة، هذا إلى نبذه في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، بإفراطه في المد والهمزة والإشباع، وإفحاشه في الإضجاع والإدغام، وحمله المتعلمين على المذهب الصعب، وتعسيره على الأمة ما يسره الله تعالى، وتضييقه ما فسحه، ومن العجب أن يقرئ الناس بهذه المذهب، ويكره الصلاة بها ففي أي موضع يستعمل هذه القراءة، إن كانت الصلاة لا تجوز بها؟ وكان ابن عيينة يرى لمن قرأ في صلاته بحرفه، أو ائتم بإمام يقرأ بقراءته أن يعيد، ووافقه على ذلك كثير من خيار المسلمين، منهم بشر بن الحارث، وللإمام أحمد بن حنبل، وقد شغف بقراءته عوام الناس وسوقتهم، وليس ذلك إلا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها، وطول اختلاف المتعلم إلى المقرئ فيها، فإذا رأوه قد اختلف في أم الكتاب عشرًا، وفي مائة آية شهرًا، وفي السبع الطوال حولا، ورأوه عند قراءته مائل اشدقين، دار الوريدين، وراشح الجبين، توهموا أن ذلك لفضله في القراءة وحذقه بها، وليس هكذا

كانت قراءة رسول الله ﷺ ، ولا خيار السلف ولا التابعين، ولا القراءة العالمين، بل كانت سهلة رسلة.

وقال الخلال في الجامع: عن أبي عبد الله، أنه قال : " **لا أحب قراءة فلان**" يعني هذا الذي أشار إليه ابن قتيبة ، وكرهها كراهية شديدة وجعل يعجب من قراءته وقال "**لا يعجبني، فإن كان رجل يقبل منك فانهه**".

وحكى عن ابن المبارك عن الربيع بن أنس: أنه نهاه عنها.

وقال الفضل بن زيادة: أن رجلا قال لابي عبد الله: فما أترك من قراءته؟ قال: "**الادغام**" والكسر ليس يعرف في لغة من لغات العرب".

وسأله الحسن بن محمد بن الحارث: أتكره أن يتعلم الرجل تلك القراءة؟ قال أكرهه أشد كراهة، إنما هي قراءة محدثة، وكرها شديدا حتى غضب".

وروى عنه ابن سُنيد أنه سُئل عنها فقال: " أكرهها أشد الكراهية قيل له : ما تكره قال هي قراءة محدثة ، ماقرأ بها " .

وروي جعفر بن محمد عنه أن سئل عنها فطرهها وقال " **كرهها ابن إدريس** "قال: "**وعبد الرحمن بن مهدي**" وقال: "**وما أدري، ايش هذه القراءة** "؟ ثم قال: " **وقراءتهم ليست تشبه كلام العرب**".

وقال عبد الرحمن بن مهدي: "لو صليت خلف من يقرأ بها لأعدت الصلاة".

ونص أحمد رحمه الله على أنه يعيد ، وعنه رواية أخرى: أنه لا يعيد والمقصود أن الأئمة كرهوا التنطع والغلو في النطق بالحرف.

ومن تأمل هدى رسول الله ﷺ ، وإقراره أهل كل لسان على قراءتهم تبين له أن التنطع والتشدق والوسوسة في إخراج الحروف ليس من سنته.

فصل: في الجواب عما احتج به أهل الوسواس

قلنا: سموه ما شئتم، فنحن نسألكم: هل هو موافق لفعل رسول اللهﷺ وأمره، وما كان عليه أصحابه، أو مخالف؟

فإن زعمتم أنه موافق، فبهت وكذب صريح، فإذن لا بد من الإقرار بعدم موافقته وأنه مخالف له، فلا ينفعكم تسمية ذلك احتياطا، وهذا نظير من ارتكب محظورا وسماه بغير اسمه، كما يسمى الخمر بغير اسمها، والربا معاملة، والتحليل الذي لعن رسول الله ﷺ فاعله: نكاحا، ونقر الصلاة الذي أخبر رسول اللهﷺ أن فاعله لم يصل، وأنه لا تجزيه صلاته ولا يقبلها الله تعالى منه، تخفيفا، فهكذا تسمية الغلو في الدين والتنطع: احتياطا.

وينبغي أن يعلم أن الاحتياط الذي ينفع صاحبه ويثيبه الله عليه: الاحتياط في موافقه السنة، وترك مخالفتها، فالاحتياط كل الاحتياط في ذلك، وإلا فما احتاط لنفسه من خرج عن السنة، بل ترك حقيقة الاحتياط في ذلك.

وكذلك المتسرعون إلى وقوع الطلاق في موارد النزاع الذي اختلف فيه الأئمة، كطلاق المكره، وطلاق السكران، والبتة، وجمع الثلاث، والطلاق بمجرد النية، والطلاق المؤجل المعلوم مجئ أجله، واليمين بالطلاق، وغير ذلك مما تنازع فيه العلماء إذا أوقعه المفتي تقليدا بغير برهان، وقال: وذلك احتياط للفروج، فقد ترك معتنى الاحتياط، فإنه يحرم الفرج على هذا ويبيحه لغيره، فأين الاحتياط ههنا؟ بل لو أبقاه على حاله حتى تجمع الأمة على تحريمه وإخراجه عمن هو حلال له، أو يأتي برهان من الله ورسوله على ذلك، لكان قد عمل بالاحتياط، ونص على مثل ذلك الإمام أحمد في طلاق السكران.

فقال في رواية أبي طالب: "والذي لا يأمر بالطلاق فإنما أتى خصلة واحدة، والذي يأمر بالطلاق فقد أتى خصلتين: حرمها عليه، وأحلها لغيره" فهذا خير من هذا، فلا يمكن الاحتياط في وقوع الطلاق إلا حيث أجمعت الأمة، أو كان هناك نص عن الله ورسوله يجب المصير إليه.

قال شيخنا: والاحتياط حسن، ما لم يفض بصاحبه إلى مخالفة السنة، فإذا أفضى إلى ذلك فالاحتياط ترك هذا الاحتياط.

وبهذا خرج الجواب عن احتجاجهم بقوله ﷺ: " من ترك الشبهات فقد استبرأ لدينا وعرضه" وقوله: **" دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"** وقوله: **"الإثم ما حاك في الصدر"** فهذا كله من أقوى الحجج على بطلان الوسواس.

فإن الشبهات ما يشتبه فيه الحق بالباطل، والحلال بالحرام، على وجه لا يكون فيه دليل على أحد الجانبين، أو تتعارض الأمارتان عنده، فلا تترجح في ظنه إحداهما، فيشتبه عليه هذا بهذا، فأرشده النبي ﷺ إلى ترك المشتبه والعدول إلى الواضح الجلي.

ومعلوم أن غاية الوسواس أن يشتبه على صاحبه: هل هو طاعة وقربة، أم معصية وبدعة؟ هذا أحسن أحواله، والواضح الجلي هو إتباع طريق رسول الله ﷺ ، وما سنه للأمة قولا وعملا، فمن أراد ترك الشبهات عدل عن ذلك المشتبه إلى هذا الواضح، فكيف ولا شبهة بحمد الله هناك؟ إذ قد ثبت بالسنة أنه تنطع وغلو، فالمصير إليه ترك للسنة، وأخذ بالبدعة، وترك لما يحبه الله تعالى برضاه، وأخذ بما يكرهه ويبغضه، ولا يتقرب به إليه البتة، فإنه لا يتقرب إليه إلا بما شرع، لا بما يهواه العبد ويفعله من تلقاء نفسه،فهذا هو الذي يحيك في الصدر ويتردد في القلب، وهو حواز القلوب.

وأما التمرة التي ترك رسول الله ﷺ أكلها ، وقال: "أخشى أن تكون من الصدقة فذلك من باب اتقاء الشبهات، وترك ما اشتبه فيه الحلال بالحرام، فإن التمرة كانت قد وجدها في بيته، وكان يؤتي بتمر الصدقة، يقسمه على من تحل له الصدقة،ويدخل بيته تمر يقتات منه أهله، فكان في بيته النوعان، فلما وجد تلك التمرة لم يدر – عليه والسلام- من أي النوعين هي؟

فأمسك عن أكلها، فهذا الحديث أصل في الورع واتقاء الشبهات، فما لأهل الوسواس وما له؟.

وأما قولكم: إن مالكا أفتى فيمن طلّق ولم يدر: أواحدة طلّق أم ثلاثا: أنها ثلاث احتياطا، فنعم، هذا قول مالك، فكان ماذا؟ أفحجة هو على الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد وعلي كل من خالفه في هذه المسألة ؟ حتي يجب عليهم أن بتركوا قولهم لقوله ،

ها القول مما يحتج له، لا مما يحتج به، على أن هذا ليس من باب الوسواس في شيء، وإنما حجة هذا القول: أن الطلاق يوجب تحريم الزوجة، والرجعة ترفع ذلك التحريم ، فهو يقول: قد تيقن سبب التحريم، وهو الطلاق، وشكَّ في رفعه بالرجعة، فإنه يحتمل أن يكون رجعيًا فترفعه الرجعة، ويحتمل أن يكون ثلاثًا، فلا ترفعه الرجعة، فقد تيقن سبب التحريم، وشك فيما يرفعه.

والجمهور يقولون: النكاح متيقن، والقاطع له المزيل لحل الفرج مشكوك فيه، فإنه يحتمل أن يكون المأتي به رجعيًا فلا يزيل النكاح، ويحتمل أن يكون بائنا فيزيله، فقد تيقنا يقين النكاح، وشككنا فيما يزيله، فالأصل بقاء النكاح حتى يتيقن بما يرفعه.

فإن قلتم: فقد تيقن التحريم وشك في التحيل، قلنا: الرجعية ليست بحرام عندكم، ولهذا تجوزون وطأها، ويكون رجعة، إذا نوى به الرجعة.

فإن قلتم: بل هي حرام، والرجعة حصلت بالنية حال الوطء، قلنا: لا ينفعكم ذلك أيضا، فإنه إنما تيقن تحريما يزول بالرجعة، ولم يتقن تحريمًا لا تؤثر فيه الرجعة.

وليس المقصود تقرير هذه المسألة، والمقصود أنه لا راحة في ذلك لأهل الوسواس.

(22)
أماني الشيطــان

قال الله تعالى مبلغاً عن الشيطان الرجيم وقسمه الذي أقسم بـه أمـام الملـك جـل جلاله "**ولأمانيهم**" ثم قال الله راداً عليه وموضحاً لعباده عـن هـذا الـوهم والغـرور فقال: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:120]

وقــال تعــالى ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:64] والأمــاني والأمنية والتمني ورد في القرآن في نحو من خمسة عـشر موضـعاً، ومـا ورد في أكثـر المواضع إلا مذموماً. والأماني المتعلقة بالشيطان في نحـو مـن خمسة مواضـع. وهـذه الأماني بين الله تعالى عواقبها، وأظهر عيوبها، وجلى حقائقها، حتى لا يعـيش العبـد في الأوهام الكاذبة، والأحلام الخيالية، التي تؤدي بالعبد إلى الهـلاك، ولهـذا قـال تعـالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء:32].

قال ابن العربي المالكي "حقيقة التمني هـو نـوع مـن الإرادة يتعلـق بالمستقبل، كالتلهف نوع منها يتعلق بالماضي" .

ثم قال: "نهى الله سبحانه عن التمني لأن فيه تعلق البال بالمـاضي ونـسيان الآجـل، ولأجل ما فيه من ذلك وقع النهي عنه ".

ثم قال: "المراد معنا النهي عن التمني الذي تستحسنه عند الغير حتى ينتقـل إليـك وهو الحسد المنهي عنه مطلقاً في غير هذا الموضع، أما أنه يجوز تمني مثله وهـو الغبطـة، فيستحب الغبط في الخير، وهو المـراد بقولـهﷺ " لا حـسد إلا في اثنتـين: رجـل يتلـو القرآن، وآخر يعمل الحكمة ويعلمها"[1] وهـذا معنـاه : قـال: **" أعملـوا ولا تتمنـوا فليتكم قمتم بها أوتيتم، وأستطعتم اعندكم"**

وأحسن عبارة في ذلك قول الصوفية: كـن طالـب حقـوق مـولاك، ولا تتبـع متعلقات هواك.

---

(1) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عمر.

قال الحسن: " لا يتمين أحد المال وما يدريه لعل هلاكه فيه وهذا إنما يصح إذا تمناه للدنيا، وأما إذا تمناه للخير فقد جَوَّزه الشرع كما تقدم، فيتمناه العبد ليصل به إلى الرب ويفعل الله ما يشاء" [1].

أقول: وقبل أن نتكلم عن التمي وأنواعه يحسن بنا أن نعرف التمني لغة واصطلاحاً.

أما لغة:

التمني: حديث النفس بما يكون، وبما لا يكون.

أي: بما يمكن وقوعه ، وما يكون وقوعه مستحيلاً.

قال ابن الأثير: التمني: تشتهي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون، ومالا يكون.

قال أبو بكر: تمنيت الشيء، أي قَدَّرتُهُ، واحببت أن يصير إليّ من المنى وهو القدُر [2]

قال الحافظ ابن حجر: والتمني، تفعُّل من: الأمْنَية ، والجمع: أماني. والتَّمنِّي، إرادة تتعلق بالمستقبل، فإن كانت في خير فهي مطلوبة، وإلا فهي مزمومة [3]

وللأماني معان أخرى مثل: الدعاء

ومنه ما رواه أحمد (2/ 357) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " **إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيتة"** وإسناده جيد.

وما رواه الطبراني في **"الأوسط"** عن عائشة رضي الله عنها أن رسول ﷺ قال **"إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه"** وصححه الألباني في **"الصحيح"** (1266).

والمعنى: إذا سأل الله حوائجه، ومن فضله فليكثر. قال أحمدبن يحي: والتمني السؤال للرب في الحوائج [4]

(1) أحكام القرآن (1/ 412-413)
(2) تهذيب اللغة للأزهري (15/ 531) واللسان مادة (منى)
(3) فتح الباري (13/ 217)
(4) اللسان

تعريف التمني: هو أن يتمنى المسلم الخير الشرعي، مع عجزه عن فعله، وعزمه الجازم على افعل متى قدر[1] والتمني ينقسم ال مذموم ومحمود.

أما التمني المذموم فهو من مفسدات القلب.

قال ابن القيم – رحمه الله -:

" المفسد الثاني من مفسدات القلب: ركوبه بحر التمني، وهو بحر لا ساحل له ".

وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم، كما قيل:

ولا تكن عبد المنى فالمُنى رؤوسُ أموال المفاليس

وبضاعة ركّابه مواعيد الشيطان، وخيالات المحال والبهتان فلا تزال الأماني الكاذبة، والخيلات الباطلة، تتلاعب براكبه، كما تتلاعب الكلاب بالجيفة.

وهي بضاعة كل نفس مهينة، خسيسة ، سفليَّة، ليست لها همة تنال بها الحقائق الخارجية. بل اعتاضت عنها بالأماني الذَّهنَّية.

وكلٌّ بحسب حاله: من متمن للقدرة والسلطان، وللضرب في الأرض والتطواف في البدان، أو للأموال والأثمان، أو للنسوان والمُردان.

فيتمثل المتمنى صورة مطلوبة في نفسه، وقد فاز بوصلها والتذَّ بالظفر بها فبينما هو على هذه الحال، إذ استيقظ فإذا يده والحصير[2]

قال محمد بن سيرين: ما تمنيت شيئاً قط ! قلنا له : وكيف ذلك؟

قال: إذا عرض لي شيء من ذلك سألته ربي [3]

وقال محمد بن إسحاق الثقفي كان يقال:

"من استعمل التسويف والمنى لم ينبعث في العمل"

وكان يقال: من أقلقه الخوف، ترك أرجو، وسوف، وعسى [4]

قال رجاء بن أبي سلمة: "الأماني تنقص العقل"

---

(1) التمني للدكتور عبد السلام برجس (ص 14)

(2) مدارج الساكلين (1/ 456- 457) بتصرف

(3) و (4) كتاب التمني لابن أبي الدنيا (60و 61)

❊ أنشد محمود الورّاق:

والمرء مرتهنٌ بسوف وليتني   وهلاكُه في السوف والَّليت
لله درُّ فتـــى تدبـَّـر أمــره   فغدا وراح مُبـادر الفــوت

❊ قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه:–

"أياك والمنى، فإنها بضائع النوكي، وتثبط عن الآخرى والأولى واشرف العنى تـرك المنى"

❊ وعن عبد الله بن مسعود قال:

"إذا ركب الرجل دابته فلم يذكر اسم الله، ردفه الشيطان فقـال لـه: تغـنَّ ، فـإذا لم يحسن، قال له تَمَنى"

أخرجه عبد الرزاق بسند جيد.

قال ابن برجس رحمه الله: فضي هذا الأثر: أن الراكب إذا لم يسم الله عنـد ركوبـه، صحبه الشيطان في طريقه، فأشغله عن ذكر الله، بالتغني، فإن كـان الراكـب لا يحـسن التغني، نقله الشيطان إلى مشغل ثان، ألا وهو: التمني، فيتيه في أوديتـه، وتتـشعب بـه مسالكه، فتارة يتمنى زوجة حسناء، وأخرى: بيتاً فسيحاً، وثالثة: ثروة طائلة .. وهكذا يقتل وقته، ويضيع حياته، حتى إذا دنا رحيله، قرع سن النـدم وقـال(**يـاليتني قـدمت لحياتي**)[1]

والأدلة على النهي عـن التمنـي قولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾[النساء:32].

قال ابن كثير:

"أي في الأمور الدنيوية، وكذا الدينية، لحديث أُمّ سَلَمَة، وابن عباس، وهكـذا قـال عطاء بن أبي رباح: نزلت في النهي عن تمني حال فلان، وفي تمني النساء أن يكن رجـالاً فيغزون " [2].

(1) كتاب التمني (ص 41)
(2) أخرجه ابن جرير كما قال ابن كثير (1/ 488)

ومن الأمثلة التي ذم فيها الشرع التمني قولهﷺ **"لا يتمنين احدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحينى ما كات الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي"** (1)

أخرجه البخاري (13/ 220) فتح ، عن أنس، وبوب عليه في كتاب **"التمني"** باب **"ما يكره من التمني"**

قال ابن برحبس في حكم التمني: إذا تمن المسلم أمراً فيه معصية لله تعالى، ثم لم يعملها فلا يخلوا **هذا من أربعة أمور:**

الأول: أن يترك المعصية خوفاً من الله تعالى.

الثاني: أن يترك المعصية خوفاً من المخلوقين، ومراءاةً لهم.

الثالث: أن يترك المعصية لعدم القدرة عليها بعد السعي في تحصيلها.

الرابع: أن يهم بالمعصية فقط.

ولكل قسم من هذه الأقسام الأربعة حكم يخصه:

حكم القسم الأول:

فالأول، وهو: ترك المعصية خوفاً من الله تعالى، يثاب عليه المسلم وذلك لحديث ابن عباس القدسي **"ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة"** متفق عليه

وعن أبي هريرة نحوه وفيه "وإن تركها من أجلي فاكتوبها له حسنة..." الحديث وهو متفق عليه. وهذا لفظ البخاري ولفظ مسلم **"إنما تركها من جراي"**

قال الخطّابي: محل كتابة الحسنة على الترك: أن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه، لأن الإنسان لا يسمى تاركاً إلا مع القدرة"

وقال الحافظ ابن رجب: (إنما تركها من جراي) يعنى من أجلي، وهذا يدل على أن المراد: من قدر على ما همَّ به من المعصية، فتركه لله تعالى، وهذا لا ريب في أنه يكتب له بذلك حسنه، لأن تركه للمعصية بهذا القصد عمل صالح" (2)

(1) له ألفاظ وطرق خرجها في **"بادروا بالموت"** وفي عمل اليوم لأبن السني

(2) جامع العلوم والحكم (2/ 321)

*** حكم القسم الثاني:**

وهو من ترك العصية خوفاً من المخلوقين ومراءاةً لهم، فقد قال جماعة من العلماء: إنه يعاقب على تركها بهذه النية، لأن تقديم خوف المخلوقين على خوف الله محرم"[(1)]

قال ابن برجس رحمه الله-:

في كيفية التخلص من هذا التمني:

التمني المذموم داء خطير، ومرض مزمن، تجب الوقاية منه، والعمل على علاجه إن وقع.

ووسائل معالجة هذا الوباء كثيرة نقتصر على طرف منها؛ فمن ذلك: مجاهدة النفس على رفع الخطرات، فإن الخطرات أصل يبني عليه ما بعهده، كما قال ابن القيم – رحمه الله –:

مبدأ كل علم نظري، وعمل اختياري: هو الخواطر والأفكار:" فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعوا إلى الإرادات والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة: فصالح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار وفسادها بفسادها " .

قال: واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر، فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر، فيأخذها فيؤديها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل: فتستحكم، فتصير عادة.

فردها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتمامها.

ومعلوم أنه لم يعط الإنسان إماتة الخواطر، ولا القوة على قطعها، فإنها تهجم عليه هجوم النفس، إلا أن قوة الإيمان والعقل تعينه على قبول أحسنها، ورضاه به، ومساكنته له، وعلى رفع أقبحها وكراهته له، نفرته" [(2)]

وراجع الرسالة البديعة التي وضعها العلامة ابن برجس في هذا الموضوع، كما يراجع كتاب"**المتمنين**" لابن أبي الدنيا فهو من أمتع من ألف في هذا الموضوع.

وراجع فيه أيضاً التمني المحمود، وأن النبيﷺ تتمنى أن يقاتل في سبيل الله ثم

---

(1) رسالة التمني (ص 54- 55) وراجع فيها بقية أحكام الأقسام الثالث والرابع.

(2) الفوائد (ص 173-174) ورسالة التمني (ص 64-66)

يقتل، ثم يبعث ثم يقاتل ثم يقتل" **وما تناه عبد الله بن حزام لما مات مقتولاً شهيداً في غزوة أحد ما تمناه الصحابة الكرام على رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة، وغيره** "..... راجع ذلك كله في كتاب ابن أبي الدنيا.

وهذا الموضوع التمني يحتاج إلى باحث طويل النفس حتى يستقصي الكلام عنه، ويستخرج لنا في سفر كبير يروي الظمأ ويشفي الغليل.

نستخلص مما سبق أن الأماني الكاذبة، والأحلام الواهمة من أسلحةالشيطان حتى يغرق العباد في هو سحيقة فلا يخرجون منها إلا على الموت.

فالعاقل البصير هو الذي لا يمشي خلف الأماني الكاذبة، ولا الأماني الباطلة، ولا الأحلام الخيالية، ويعيش لله، ويقنع بما رزقه الله تعالى، ولايتمنى الأماني الغارقة الهالكة، لأن هذه الأماني كسب العاجز ومطلب الكسلان كما قالﷺ " **والعاجز من اتبع هواه وتمنى على الله الأماني**"

(23)
كيد الشيطان

الكيد في اللغة يأتي على معان:

الكيد من المكيدة، وقد كاده مكيدةً. والكَيْد الخُبْثُ والمكرُ. كاده يكيده كيداً وميكدة، وكذلك المكايدة. وكل شيءٍ تعالجه، فأنت تكيده.

والكيد: الاحتيال والاجتهاد، وبه سميت الحرب كيداً.

والكيد: التدبير بباطل أو حق

ويقال: فلان يكيد أمراً ما أدري ما هو إذا كان يُريغه ويحتال له ويسعى له ويَخْتِلُه.

والكيد بمعنى الحيض، كادت المرأة: حاضت.

والكيد: القيء.

والكيد: صياح الغراب بَجْهد.

والكيد: إخراج الزَّند النار [1].

والكيد ورد في القرآن في إحدى وأربعين موضعاً، وورد في القرآن **على ثلاثة أنحاء وثلاثة مصادر.**

الأول: صادر من الله تعالى كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق:15،16] وقال تعالى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[الأعراف:183] .

الثاني: الكيد الشيطاني كما في قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء:76] وهو الموضع الوحيد الذي ذكر فيه الكيد مقروب بالشيطان.

الثالث: كيد الكافرين، كما في مواضع كثيرة ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأنفال:18].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾[غافر:25] وهناك كيد نسائي كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾[يوسف:33] وقال ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ

(1) اللسان مادة كيد.

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف:34] وقال ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:28] . وهناك كيد جماعي كالذي وقع من الكافرين، وكيد فردي كما

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر:37] .

وقال في الجمع : ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه:64]

وقال تعالى : ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ [هود:55]

وقال تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:5]

وللسحرة كيد، كما في قوله ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه:69]

والمتتبع للأيات الوارد فيها الكيد أن الكيد يعود على المكائد أو الكايد بالخسران والحسرة.

فقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال:18]

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف:52] وهذا دليل على أن الكائد خائن.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر:25]

وقال عن كيد فرعون: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر:37] .

وقال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء:70]

وقال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات:98] فمن أراد بكيده علواً فسوف يكون من الأسفلين.

وقال تعالى وهو يطمئن أهل الأيمان والحق: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:120] . ويبين الكيد لا يغني في الآخرة فقال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور:46] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل:2] في ضياع، يبين الله تعالى أن كيده هو المتين فقال تعالى ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:45] .

وأن أهل الكفر والضلال إذا كادوا فهم المكيدون فقال تعالى: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾[الطور:42] . أي ينقلب عليهم كيدهم ويعود عليهم وبالاً وخسراً.

هذه هي أخبار الكيد والكائدين في القرآن أما كيد الشيطان فهو ضعيف إذا قيس بكيد الله تعالى أو قرن كيد الشيطان بكيد الإنسان، فكيد الشيطان أقوى وأشد، لأنه أصل الكيد وهو عنوانه، ومنه خرج. فنتحدث عن كيده لنفسه أولاً، ثم كيده لآدم وزوجته حواء، ثم كيده لبني آدم.

قال ابن الجوزي في كتاب. كيد الشيطان (ص 81-125) :-

"فاعلم أن الشيطان قد كاد نفسه قبل كيده لآدم عليه السلام مع حواء، ثم لم يقتصر على ذلك حتى كاد ذرية نفسه (1) وذرية آدم عليه السلام"

أما كيده لنفسه فإنه كان يطوف بآدم وهو صلصال كالفخار، فيتعجب منه ويقول: لأمر عظيم قد خُلق هذا، ولئن سلط علي لأعصينه، ولئن سُلّطت عليه لأهكلنه فلما تم خلق أدم في أحسن تقويم، رأى الملائكة منظراً لم يشاهدوا أحسن منه، فسجدوا كلهم أجمعون بأمر ربهم فشق ذلك على أبليس، فسولت له نفسه بأن في سجوده لآدم غضاضة عليه، إذ يلزم أن يخضع لمن دونه في زعمه لكونه مخلوقاً من نار، والنار في زعمه أشرف من الطين، فالمخلوق منها خير من المخلوق منه، وخضوع الأفضل لمن دونه غضاضة عليه، وهضم لمنزلته، فلما وقع هذا الفكر في قلبه قارنه الحسد فأبى السجود وعارض نص المعبود، برأيه المردود، وقال : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[ص:76]. ثم قرر ذلك بحجته الداحضة حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[ص:76] (2) .

---

(1) إبليس له ذرية وزوجة وجنود وسيأتي مزيد من هذا البحث.

(2) وقد أخرج ابن جرير في "تفسيره" بإسناد صحيح إلى الحسن في قوله: خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ(2) (76) [الأعراف] قال "قاس إبليس، وهو أول من قاس" ونحوه عن ابن سيرين – رحمهما الله تعالى. وقال العلامة الأصولي محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – في "مذكرة أصول الفقه" (ص 341 دار الأصالة).

وقياس إبليس هذا مردود من ثلاثة أوجه:

الأول: هو ما ذكر من كونه فاسد الاعتبار لمخالفة النص. =

ولم يعلم أنه لو امتثل أمره تعالى لكان فيه عزه وسعادته، وبالامتناع أهان نفسه كل الإهانة، من حيث أراد تعظيمها، وأذلها كل الإذلال، من حيث أراد عزتها، ووضعها كل الوضع، من حيث أراد رفعتها، ففعل بنفسه ما لو اجتهد أعظم أعدائه أن يفعل به ذلك ، لم يبلغ ذلك المبلغ، ومن كان غشه لنفسه هكذا كيف يختار العاقل أن يتبعه ويقبل وسوسته؟!

*** وأما كيده للأبوين:**

فقد قص الله تعالى علينا قصته معهما لتكن تلك القصة عبرة، ونصيحة لنا فإنه شاملها تطير إليها، أين يمضيان، فاحس منهما ميلاً إلى الخلود في الجنه، فعلم أنه لا يدخل عليهما إلا من هذا الباب، وهذا الباب أعظم كيده في الإضلال، ومن هذا الباب لا يدخل على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم(1)، ويصادف نفسه ويخالطها، ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرف مقصودها يستعين به على إضلال العبد، فإن اللعين لما عرف أن الأبوين يريدان الخلود في الجنة، وعلم أنهما إذا أكلا من الشجرة المنهية تبدوا عوراتهما ويخرجان من الجنة، قال لهما إني خُلقت قبلكما، وإني أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما إلى شجرة الخلد، فخدعهما حيث سمى تلك الشجرة "**شجرة الخلد**"، فلما سماها شجرة الخلد، وقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه:120] .

قال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:20] إلا كراهية أن تأكلا منها، وتخلدا في الجنة، ولا تموتا، وتكونا كالملائكة الذين لا يموتون، حلف لهما أنه ناصح لهما، حتى إطمأن قلبهما به، وأجاب إلى ما دعاهما إليه، فجرى عليهما – ما جرى وكان ذلك بكيده ومكره الذي جرى به القلم.

= **الثاني:** منه كون النار خيراً من الطين، بأن النار طبيعتها الخفة الطيش، والإفساد والتفريق، وأن الطين طبيعته الرزانة والإصلاح، تودعه الحبة فيعطيها سنبلة والنواة فيعطيها نخله وإذا نظرت إلى ما في البساتين الجميلة من أنواع الفواكه والحبوب والزهور عرفت أن الطين خير من النار.

الثالث: أنا لو سلمنا جدلاً أن النار خير من الطين، فشرف الأصل يستلزم شرف الفرع، فكم من أصل رفيع، فرعه وضيع.

إذا افتخرت بأباء لهم شرف　　　قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

(1) كما ثبت في الصحيحين البخاري (2053) ومسلم (2175) من حديث صفية زوج النبيﷺ أنه قال: "**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**".. وسيأتي

ورد الله تعالى كيده عليه، وتدارك الأبوين برحمته ومغفرته، وعاد عاقبة مكره عليه ، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر:43] . وظن العدو أن الظفر والغلبة في هذه الحرب له، ولم يعلم بكمين جيش: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف:23] ولا بإقبال دولة: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:122] .

والحاصل أن العدو بلى بالذنب وأصرَ، واحتج وعارض الأمر، وقدح في الحكمة ولم يندم على المعصية، فلحقته الذلة واللعنة، والحبيب بلي بالذنب فاعترف وتاب، وأزيل عنه العتاب، قبل منه المتاب، وفتح له من الرحمه الهداية كل باب.

* ثم كاد العدو أحد ولدي آدم، فإنه لم يزل يتلاعب به حتى قتل أخاه، وأسخط أباه، وعصى مولاه. وسنَّ قتل النفوس في الأرض.

وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال : **"ما من نفس تقتل ظلماً إلى كان على ابن آدم كفل منها؛ لأنه أول من سن القتل"**(1)

فإن العدو كاد هذا القاتل بقطع رحمه، وعقوق والديه، وإسخاط ربه، وظلم نفسه، وعرضه لأعظم العقاب وحرمه من جزيل الثواب.

ثم جرى الأمر على السداد والاستقامة، وكانت الأمة واحدة، والدين واحداً، والعبود واحداً، كما قال الله تعالى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ﴾[البقرة:213]

قال ابن عباس: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ كانوا على الإسلام(2)، وهذا القول الصحيح في الآية.

وروى عن ابن عباس: "أن الناس كانوا أمة واحدة كانوا كفاراً" وهذا القول ضعيف جداً ، وهو منقطع عن ابن عباس (3) والصحيح خلافه.

(1) أخرجه البخاري (3335) ومسلم (1677) والترمذي (2673) والنسائي (7/ 81) وابن ماجة (2616) وأحمد (1/ 383 – 430 – 433) والحميدي (188) عن ابن مسعود.

(2) أخرجه ابن جرير (4/ 275) والحاكم (3– 546) والبيهقي في الأسماء" (440) من طريق قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق – وقال الحاكم: صحيح غير شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(3) لأن رواته كلهم ضعاف كما قال الشيخ شاكر: اهل بيت كلهم ضعاف وهم العوافيين – أقول: ومع ضعفهم : فيه انقطاع، لأن العوفي مع كونه ضعيف لكنه لم يسمع من أبن عباس في التفسير.

قال سعيد عن قتادة: "كان بين آدم ونوح – عليهما السلام – عشرة قرون، كلهم على الهدى، وعلى شريعة الحق، ثم اختلفوا، فبعث الله.

النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكموا به بين الناس فيما أختلفوا فيه[1]

فإن العدو كادهم وتلاعب بهم، حتى أنقسموا قسمين: (كفاراً ومؤمنين).

*** وكان أول من تلاعب بهم (عباد الأصنام):**

من جهة العكوف على القبور، وتصوير أهلها؛ ليتذكروا بها كما قص الله تعالى قصتهم في كتابه فقال: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:21،23].

قال البخاري في "صحيحه" عن ابن عباس "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت".[2]

وقال ابن جرير عن محمد بن قيس: " إنهم كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا، قال أتباعهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم"[3]

ولم يزل الأمر يشتد على ما قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً فعصوه وكذبوه، فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فصنعها وركبها، وغرق من غرق، فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى ارض، حتى قذفها إلى أرض جدة، فلما نضب الماء بقيت على الشط، فسفت الريح عليها التراب، حتى وارتها، فلم

---

(1) أبن جرير (4/ 276) وابن سعد (1/ 44) بسند حسن

(2) صحيح البخاري (4920)

(3) أخرجه ابن جرير (12/ 254) بسند ضعيف جداً

تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، فلم تزل تعبد حتى بعص الله النبي ﷺ فهدمها وكسرها[1]

قال ابن هشام حدثني أبي: "أن الذي حمل العرب على عباة الأصنام والحجارة: أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكه، ولد له أولاد كثيرة، حتى ملأوا مكة، وضاقت عليهم، ووقعت بينهم الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضاً، وانتشروا في البلاد لطلب المعاش، وكان لا يذهب أحد إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، وصبابة بمكة، فحيث ما نزلوا وضعوه، وطافوا به. كطوفهم بالبيت حباً للبيت، وصبابة به، ثم عبدوا ما استحسنوه، ونسوا ما كانوا عليه من دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، واستبدلوا به غيره، وعبدوا الأصنام ، واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام، وصاروا إلى ما كان عليه الأمم من قبلهم، ومع ذلك فيهم بقايا من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، يتمسكون بها من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة، والمزدلفة، وكان أول من غير دين إبراهيم عليه السلام، ونصب الأصنام عمرو بن لحي.

وسبب ذلك أن أم عمرو كانت فهيرة بنت عامر بن الحارث، وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة، فلما بلغ عمرو نازعه في الولاية، وقاتل جرهم بني إسماعيل، فظفر بهم وأجلادهم عن الكعبة، ونفاهم من بلاد مكة، وتولى حجابة البيت، ثم إنه مرض مرضاً شديداً **فقيل له :**

إن بالبلقاء من الشام حمة إن أتيتها برئت، فأتاها فاستحم بها فبرئ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه التماثيل التي تعبدونها؟ فقالوا: نستمطر بها فنمطكر، ونستنثر بها على العدو فننصر، فسألهم أن يعطوه منها، فأعطوه، فقدم به مكة، ونصبها حول الكعبة، وأمر الناس بعبادتها وتعظيمها. [2]

وبهذا السبب اتخذت العرب الأصنام، وكان أقدمها: (مناة). وكان منصوباً على ساحل البحر بين مكة والمدينة وكانت العرب كلهم يعظمونه، ويذبحون له، ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج.

(1) إسناد فيه محمد بن السائل وهو منهم بالكذب

(2) أنظر تحريجه أول الجزء الأول من السيرة النبوية لابن هشام بتحقيقي.

قال هشام: كان الأوس والخزرج ومن جاورهم من عرب أهل يثرب وغيرها يحجون الحج، ويقفون المواقف كلها من الناس، ولا يحلقون رؤوسهم، فإذا نفروا كانوا يأتونه، ويلحقون رؤوسهم عنده، وكانوا لا يرون لحجهم تماماً إلى بذلك(1).

فبعث رسول اللهﷺ عام الفتح عليًا فهدمها.

ثم أتخذوا اللات بالطائف، وهي أحدث من مناة، وكانت حجرة مربعة، وكانوا بنوا عليها بيتاً، وكان سدنتها من ثقيف، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها، فلم تزل كذلك حتى أسلم ثقيف، فبعث رسول اللهﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

ثم اتخذوا العزى وهي أحدث من اللات، وكانت بوادي نخلة، فوق ذات عرق، وكانوا يسمعون منها الصوت.

قال هشام: وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن العزى كانت شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخله فلما فتح رسول الله عليه الصلاة والسلام مكة بعث خالد بن الوليد فقال: "**أئت ببطن مكة نخله ، فإنك تجد فيها ثلاث سمرات، فاعضد الأولى**" فأتاها فعضدها فلما جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام قال له النبي عليه الصلاة والسلام: "**هل رأيت شيئاً**" قال : لا، قال : "**فاعضد الثانية**"، فأتاها فإذا هي بجنّية نافشة شعرها، واضعة ثدييها على عاتقيها تضرب أنيابها، وخلفها سادنها، فقال خالد: كفرانك، إني رأيت الله قد أهانك، ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حممه، ثم عضد الشجرة، وقتل السادن، ثم أتى النبي عليه الصلاة والسلام فأخبره بما رأى، فقال عليه الصلاة والسلام: "**تلك العزى ولا عزى للعرب بعدها**" (2)

وكان لقريش من غير هذه الأصنام – في جوف الكعبة وحولها – صناماً كثيرة.

*** منها هبل:**

قال هشام: "هو عندهم أعظمها، وكان من عقيق أحمر، على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى، هكذا أدركته قريش، وجعلوا له يداً من الذهب، وكان في جوف الكعبة، وفي قدامه قداح، وكانوا إذا أرادوا أمراً من سفر وغيره أتوه، واستقسموا عنده بتلك القداح".

(1) أنظر صحيح البخاري (4861) .

(2) راجع تخريجه مطولاً في "السيرة" .

* **ومنها إساف ونائلة:**

قال هشام: " كان إساف رجلاً، ونائلة أمرأة كلاهما من جرهم، وكـان يتعـشقان في أرض اليمن، فأتيا الحج فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوه من البيت، وفجراً فيه، فَمسخا حجرين فأصبح الناس فوجودهما ممسوخين، فأخرجوهما فوضعوهما عند الكعبة ليتعظ الناس بهما، فلما طال الزمان وعبدت الأصنام عبدا مع سائر الأصنام.

فإن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وجد حول البيت ثلثمائة وستين صنما. وجعل بطعـن بقوسه وجوهها وعيونها، ويقـول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:81] وهـي تتـساقط عـلى رؤوسـها، ثـم أمـر بهـا وأخرجـت مـن المـسجد، وأحرقت[1].

* **قال ابن إسحق:** "كان عمرو بن الجموع سيداً من سادات بني سلمة، وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب، فلما أسلم فتيان من بني سلمة كـانوا يدخلون بالليل على صنمه فيحملونه ويطرحونه منكساً على رأسه في بعض حفـر بنـي سلمة، فيها عذرات الناس، فإذا أصبح عمرو. ولم يجد صنمه في موضعه يغدو يلتمسه، فإذا وجده يغسله ويطهره ويطيبّه، ويقول: والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه، فإذا أمسى ونام كانوا يفعلون بصنمه مثل ذلك، فيغدو. يلتمسه ويجد فيه مثل ما كان في المرة الأولى من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه، فإذا أمسى كانوا يفعلون به كذلك، فلما طال عليه استخرجه من حيث ألقوه، فغسله وطهره وطيّبه، ثم جاء بسيفه، فعلقه عليه، ثـم قال: "والله إني لأعلم من يصنع بلك هذا، فإن كان فيك خـير، فهـذا الـسيف معـك، فامتنع، فلما أمسى ونام غدوا عليه، وأخذوا السيف من عنقه، ثـم وجـدوا كلبـاً ميتـا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمه فيها عذرات الناس، وأصبح عمرو، ولم يجده في مكانه، فخرج يلتمسه، فوجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه هكذا تعجب مـن شـأنه، وكلمـه بعـض مـن أسـلم مـن قومـه، فأسـلم وحـسن إسلامه[2].

(1) أخرجه البخاري (2478) (2487) ومسلم (1781) وأحمد (1/ 337) والترمذي (138)
(2) خرجته في السير بتحقيق طبعة دار العقيدة.

وهكذا كان لأهل كل وادٍ صنم في دارهم يعبدونهم، فإذا إراد أحدهم السفر، كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفره ودخل منزله، كان أول ما يصنع أن يتمسح به، وكان الرجل إذا سافر، ونزل منزلاً، أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها، وأتخذه ربّاً، وجعل الثلاثة الباقية أقافي لقدره، فإذا أرتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك.

وقال مهدي بن ميمون: سمعت أبا رجاء يقول: **"كنا في الجاهلية نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً أحسن منه كنا نأخذه، ونلقي الأول، وإذا لم نجد حجراً جمعنا حقنه (جثوة) من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبنا عليه، ثم طفنا به، أخرجه البخاري (4376) "**.

وقال أبو رجاء: " كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه، ونحلب عليه ونعبده، وكنا نعبد الجمر الأبيض، فنعبده زماناً ثم نلقيه"

*** ومن كيده وتلاعبه بالمشركين:**

أنه زين لقوم منهم عبادة الملائكة، فعبدوهم ولم يكن عبادتهم في الحقيقة لهم بل كانت للشيطان، كما قال تعالى﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ:40،41] .

*** ومن كيده وتلاعبه:**

ما تلاعب بعبّاد النار حتى أتخذوها إلهًا معبوداً

قيل: " كان هذا عهد قابيل على ما ذكره أبو جعفر محمد بن جرير: أن قابيل لما قتل أخاه هابيل وهرب من أبيه آدم عليه السلام**، أتاه إبليس. وقال له: إنما قبل قربان هابيل وأكلته النار؛ وهو أول من نصب النار للعبادة".**

وسرى هذا المذهب في المجوس، وبنوا لها بيوتاً كثيرة، واتخذوا لها الوقوف والسدنة، ولا يدعونها تخمد لحظة واحدة، ولهم في عبادتها شرائع يأخذون بها، وهم فرق، شتى منهم:

المزدكية، وهؤلاء يرون الاشتراك في النساء والمكاسب، كالاشتراك في الهواء والطرق وغيرها.

ومنهم الخُرَّمية: وهم من شر طوائفهم، ولا يقرون بصانع ولا معاد، ولا نبوة، ولا كتاب، ولا حلال، ولا حرام، وعلى مذهبهم طائفة القرامطة، والإسماعيلية، والبشتكية، والنصيرية، والدرزية، وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم فاطمية وهم أكفر الكفار.(1)

فكل هؤلاء نجمهم هذا المذهب، ويتفاوتون في التفضيل، والمجوس شيوخهم وأئمتهم وقدوتهم، وإن كان المجوس يستقيدون بأصل دينهم وشرائعهم، وهؤلاء لا يتقيدون بدين من الأديان، ولا بشريعة من الشرائع.

ثم إن عباد النار يفضلونها على التراب، ويصوبون رأي أبليس ويقولون إنها أوفر العناصر خيراً، وأعظمها جرماً، وأوسعها مكاناً، وأشرفها جوهراً وألطفها جسماً، ولا كون في العالم إلا بها، ولا نمو إلا بها، ولا انعقاد إلا بممازجتها.

* ومن عباداتهم لها انهم يحفرون لها أخدوداً مربعاً في الأرض، ويطوفون به، وهم أصناف مختلفة.

فمنهم من يحرم إلقاء النفوس فيها، وإحراق الأبدان بها، وهم أكثر المجوس.

* وطائفة أخرى بلغت عبادتهم لها إلى أن يقربوا أنفسهم وأولادهم لها، وهو أكثر ملوك الهند وأتباعهم، ولهم سنة معروفة في تقريب نفوسهم لها، وإلقاءها فيها، فيعمد الرجل الذي يريد أن يفعل ذلك بنفسه، أو بولديه فيجمله، ويلبسه أحسن اللباس،وأفخر الحلي، ثم يركبه أعلى المراتب وحوله المعازف والطبول والبوقات، فيزف لنار أعظم من زفافه ليلة عرسه حتى إذا قابلها وهي تأجج يطرح نفسه فيها، فيضج الحاضرون ضجة واحدة بالدعاء له، وغبطة على ما فعل، فلا يلبس إلا قليلاً حتى يأتيهم الشيطان في صورته وشكله وهيئته، بحيث لا ينكرون منه شيئاً فيأمرهم بما فعل.

ويوصيهم بالتمسك بذلك الدين، ويخبرهم أنه صار إلى جنة ورياض وأنهار، ولم يتألم بمس النار، فلا يهولنهم ذلك، ولا يمنعهم عن أن يفعلوا مثله.

ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين لها عاكفين عليه، ومن سننهم: الحث على الأخلاق الجميلة كالصدق ، والعدل، والعفة، والوفاء، والأمانة، وترك اضدادها.

(1) هذه الفرق ذكرتها في التلبيس بتحقيق.

ولهؤلاء في عبادتها شرائع، ونواميس، وأوضاع لا يخلون بها.

❊ ومن كيده وتلاعبه:

ما تلاعب بطائفة أخرى حتى عبدوا الماء(1) من دون الله تعالى، وزعموا أن الماء أصل كل شيء، وبه كل ولادة، ونمو، ونشوء، وطهارة، وعمارة، وما من عمل في الدنيا إلا ويحتاج إلى الماء. ومن شريعتهم في عبادتهم : أن رجلاً منهم إذا أرد عبادته يتجرد، وستر عورته، ثم يدخل فيه حتى يصير إلى وسطه، فيقيم هناك ساعة، أو ساعتين، أو أكثر ، بقدر ما يمكنه، ويكون معه ما يمكنه أخذه من الرياحين، فيقطعها ضغاراً فيلقها فيه شيئاً شيئاً، وهو يسبحه ويحمده، فإذا أراد الانصراف يحرك الماء بيده، ثم يأخذ منه فيضعه على رأسه ووجهه وجسده، ثم يسجد له، وينصرف.

❊ ومن تلاعبه بعبادة الحيوانات:

فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات.

❊ ومن تلاعبه:

تلاعبه بالدهرية، وأنهم قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكى الله عنهم: - ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:24] فهؤلاء هم المعطلة حقاً، وهم فحول المعطلة وقد سرى هذا التعطيل إلى سائر فرق المعطلة على اختلاف آرائهم، وتباين أوقوالهم في التعطيل، كما سرى داء الشرك تأصيلاً وتفصيلاً في سائر فرق المشركين على إختلاف ضلالتهم، وتباين مذهبهم فيه، وكما سرى جحد النبوات تأصيلاً وتفصيلاً في سائر فرق من جحد النبوة، أو صفة من صفاتها، وهذه الفرق الثلاث سرى داؤها وبلاؤها في الناس في هذا الزمان، ولا ينجو منه إلا أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام العرافون بحقيقة ما جاء به ، المتمسكون به ظاهراً وباطناً دون ما سواه.

فداء التعطيل، وداء الشرك، وداء مخالفة الرسول، وجحد ما جاء به أو شيء منه: هو أصل بلاء العالم، ومنبع كل شر، وأساس كل باطل، وليست فرقة من فرق أهل الإلحاد والبدع إلا وقولها مشتق من هذه الأصول الثلاثة، أو من بعضها.

(1) قال ابن القيم في الإغاثة (595) هم الحلبانية .

فهذه البلايا الثلاثة قد سرت في كثير من "طوائف الفلاسفة" لا في جميعهم؛ لأن الفلاسفة جمع الفيلسوف، وهو أسم جنس لمن يحب الحكمة؛ لأن أصله فيلاسوفاً، ففيلا: هو "**المحب**"، وسوفا: هي "**الحكمة**"، ومنه اشتقت الفلسفة بمعنى محبة الحكمة.

*** والحكمة نوعان: (قولية وفعليه).**

فالقولية: قول الحق.

والفعلية: فعل الصواب.

وكل طائفة من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها، وأصح الطوائف حكمة من حكمتهم أقرب إلى حكمة الرسل التي جاؤا بها، عن الله تعالى، إذ هي الحكمة المتضمنة للعلم النافع، والعمل الصلاح المشتملة على الهدى، ودين الحق، والفلاسفة بزعمهم يأخذون بمحاسن ما دلت عليه العقول وعقلاؤهم يوجبون أتباع الأنبياء وشرائعهم، وبعضهم لا يوجبون ذلك، ولا يحرمون.

وسفهاؤهم سفلهم يمنعون ذلك، ولهذا لم يكن هؤلاء من الأمم المستقلة التي لها كتاب ونبي.

وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه.

وأخص من ذلك:

أنه في عرف المتأخرين صار اسماً لأتباع أرسطو، وهم المشآؤن خاصة، وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم، وبسطها وقررها، وأراد تقربها من دين الإسلام بجهده، وغاية ما امكنه أن يقربها، وهي التي يعرفها، بل لا يعرف غيرها المتأخرون من المتكلمين.

وهؤلاء فرقة شاذة من فرق الفلاسفة، ومقالتهم واحدة من مقالات القوم، حتي قيل إنه ليس فيهم من يقول بقدم الأفلاك غير أرسطو وشيعته، وهو أول من عرف أنه قال بقدم هذا العالم، والأساطين قبل كانوا يقولون بحدوثه وإثبات الصانع، ومباينته له، وكذلك الأساطين منهم، متفقون على إثبات الصفات والأفعال الاختيارية له تعالى، كما ذكره فيلسوف الإسلام في وقته أويو البركات البغدادي، وقرره غاية التقرير.

وكـذلك أسـاطينهم ومتقـدموهم كـانوا معظمـين للرسـل وشرائعهـم، مـوجبين لاتباعهم، خاضعين لأقوالهم، معترفين بأن ما جاءوا به طور آخر، وراء طـور العقـل، وأن عقول الأنبياء وحكمتهم فوق عقول العالمين وحكمتهم، وكـانوا لا يتكلمـون في الإلهيات، ويسلمون بأن الكلام فيها إلى الرسل، ويقولون: علومنا، إنما هي الرياضيات والطبيعيات وتوابعها، وكانوا يقرون بحدوث العالم.

وقد حكى أرباب المقالات أن أول من عرف عنه القوم بقدم هـذا العلـم أرسـطو، وكان مشركاً يعبد الأصنام، ودرج على إثره أتباعه من الملاحدة، يتستر، باتباع الرسـل مع كونه منحلاً عن كل ما جاؤا به، وأتباعه يعظمونه فوق ما يعظم به الأنبياء، ويرون عرض ما جاء به الأنبياء على كلامه، فما وافقه منها قبلوه، وما خالفه لم يعبأوا بـه شـيئاً ويسمونه المعلم الأول؛ لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، وله في الإلهايات كلام كله أخطاء من أوله إلى أخره.

وجاء فيه بما يسخر منه العقلاء، حيـث أنكـر أن يكـون الله تعـالى يعلـم شـيأً مـن الموجودات، وقرر ذلك بأنه لو علم شيئاً لكمل بمعلوماته، ولم يكـن كـاملاً في نفـسه، وكان يلحقه التعب والكلال، من تصور المعلومات، فهذا عقل هذا المعلم.

وقد حكى ذلك أبو البركات، وبالغ في إبطال حججه وردها.

ولولا أنه تعالى يحكي عـن المـشركين والكفـار أقـوالاً أسـخف وأبطـل مـن هـذا، لاستحيا العاقل من حكاية مثل هذا، ولكنه تعالى سن لنا حكاية أقـوال أعدائـه، إذ في ذلك من قوة الإيمان، وظهور جلالته، ومعرفة قدره، وتمام نعمة الله تعالى على أهله، ما لا يخفى لحقيقة ما كان عليه هذا المعلم، وما علمه لأتباعه: الكفر بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر[1].

---

(1) تم أختصاره من كتاب كيد الشيطان لابن الجوزي، وهو كتاب مفيد في بابه فجزى الله مؤلفه خيراً، ومـن أراد المزيد عن أهل الضلال فليرجع لهذا الكتاب.

فصل

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى:-

ومن كيده للإنسان: " أن يورده الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعته، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه، ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به، ويضحك منه، فيأمره بالسرقة، والزنا، والقتل، ويدل عليه ويفضحه ".

*** قال رحمه الله:-**

ومن كيد عدو الله تعالى: " **أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله تعالى سبحانه عنه بهذا فقال** ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:175] "

*** قال رحمه الله:**

"ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده أو يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء، حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله، كم فتن بهذا السحر من إنسان وكم "، حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان؟ وكم جلاَّ الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنّع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة؟ وكم بهرج من الزيوف على الناقدين، وكم روّح من الزغل على العارفين؟ فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام، ووأد النبات، ونكاح الأمهات، ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [المائدة:105] والإعراض عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام في قالب التقليد، والاكتفاء بقول

من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي ينـدرج به العبد بين الناس.

فهو صاحب الأبوين حين أخرجهما من الجنة، وصاحب قابيل حين قتل أخاه، وصاحب قوم نوح حين أغرقوا، وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم، وصاحب قـوم صـالح حـين أهلكوا بالصيحة، وصاحب الأمة اللوطية حين خسف بهـم وأتبعـوا بـالرجم بالحجـارة، وصاحب فرعون وقومه حين أخذوا الأخذة الرابية، وصاحب عباد العجـل حـين جـرى عليهم ما جرى، وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر، وصاحب كل هالك ومفتون.

*** وقال – رحمه الله تعالى:-**

وأول كيده ومكره: أنه كاد الأبوين بالأيمان الكاذبة: أنه ناصح لهما، وأنه إنـما يريد خلودهمـا في الجنـة، قـال تعـالى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف:21،22]

*** وقال – رحمه الله تعالى:-**

ومن كيده العجيب: " أنه يشأم النفس، حتى يعلم أي القـوتين تغلـب عليهـا قـوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الأنكفاف والإحجام والمهانة؟.

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همتـه، وإرادتـه عن المأمور به، وثقّله عليه، فهوَّن عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون به.

وإن رأي عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنـده المـأمور بـه، ويهمـه أنـه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقصر بالأول ويتجاوز بالثاني، كما قال بعض السلف **"ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر"**

وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: واد التقـصير، ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جداً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسـول الله ﷺ وأصحابه.

فقوم قِصَّر بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة، وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد بالوسواس.

وقوم قَصَّر بهم من إخراج الواجب من المال، وقوم تجاوز بهم حتى أخرجوا جميع ما في أيديهم وقعدوا كلاً على الناس، مستشرفين إلأى ما بأيديهم.

وقوم قَصَّر بهم عن تناول ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس حتى أضروا بأبدانهم وقلوبهم، وقم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة فاضروا بقلوبهم وأبدانهم.

وكذلك قَصَّر بقومٍ في حقِّ الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم، وتجاوز بآخرين حتى عبدرهم. وقصَّر بقومٍ في خُلطة الناس حتى اعتزلوهم في الطاعات، كالجمعة والجماعات والجهاد وتعلم العلم، وتجاوز بقوم حتى خالطوهم في الظلم والمعاصي والآثام.

وقَصَّر بقوم حتى امتنعوا من ذبح عصفور أو شاة ليأكله، وتجاوز بآخرين حتى جرأهم على الدماء المعصومة.

وكذلك قَصَّر بقوم حتى منعهم من الأشغال بالعلم الذي ينفعهم، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا العلم وحده هو غايتهم دون العمل به.

وقَصَّر بقوم حتى أطعمهم من العشب ونبات البرية، دون غذاء بني آدم، وتجاوز بآخرين حتى أطعمهم الحرام الخالص.

وقصر بقوم حتى زين لهم ترك سنة رسول الله ﷺ من النكاح فرغبوا عنه بالكلية، وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا ما وصولا إليه من الحرام.

وقَصَّر بقوم حتى جفوا الشيوخ من أهل الدين والصلاح، وأعرضوا عنهم، ولم يقوموا بحقهم، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم مع الله تعالى.

وكذلك قَصَّر بقوم حتى منعم قبول أقوال أهل العلم والالتفات إليها بالكلية، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا الحلال ما حللوه والحرام ما حرموه، وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة.

وقَصَّر بقوم حتى قالوا إن الله سبحانه لا يقد على أفعال عباده ولا شاءها منهم، ولكنهم يعلمونها بدن مشيئة الله تعالى وقدرته، وتجاوز بآخرين حتى قالوا: إنهم لا

يفعلون شيئاً البتة، وإنما الله سبحانه هو فاعل تلك الأفعال حقيقة، فهي نفس فعل لا أفعالهم ، والعبيد ليس لهم قدرة ولا فعل البته.

وقصّر بقوم حتى قالوا: إن رب العالمين ليس داخلاً في خلقه ولا بائناً عنهم، ولا هو فوقهم ولا تحتهم ولا خلفهم ولا أمامهم ولا عن أيمانهم ولا عن شمائلهم، وتجاوز بآخرين حتى قالوا: هو في كل مكان بذاته، كالهواء الذي هو داخل في كل مكان.

وقصّر بقوم حتى قالوا: لم يتكلم الرب سبحانه بكلمة واحدة البتة، وتجاوز بآخرين حتى قالوا: لم يزل أزلاً وأبداً قائلاً: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص:75]ويقول لموسى ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ ﴾[النازعات:17] فلا يزال هذا الخطاب قائماً به ومسموعاً منه، كقيام صفة الحياة به.

وقصّر بقوم حتى قالوا: إن الله سبحانه لا يشفع أحداً في أحد البتة، ولا يرحم أحداً بشفاعة أحد، ويتجاوز بآخرين حتى زعموا أن المخلوق يشفع عنده بغير أذنه؛ كما يشفع ذو الجاه عند الملوك ونحوهم.

وقصّر بقوم حتى قالوا: إيمان أفسق الناس وأظلمهم كإيمان جبريل وميكائيل، فضلاً عن أبي بكر وعمر، وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة.

وقَصَّر بقوم حتى نفوا حقائق أسماء الرب تعالى وصفاته وعطلوه منها، وتجاوز بآخرين حتى شبهوه بخلقه ومثلوه بهم.

وقصّر بقوم حتى عادوا أهل بيت رسول اللهﷺ ، وقاتلوهم، وأستحلوا حرمتهم، وتجاوز بقوم حتى ادعوا فيهم خصائص النبوة: من العصمة وغيرها وربما أدعوا فيهم الألهية.

وكذلك قَصَّر باليهود في المسيح حتى كَذَّبوه ورموه وأمه بما برأهما الله تعالى منه، وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه إبن الله، وجعلوه إلهاً يعبد مع الله.

وقصّر بقوم حتى تعبدوا بالنجاسات، وهم النصارى وأشباههم، وتجاوز بقوم حتى أفضى بهم الوسواس إلى الأصار والأغلال، وهم أشباه اليهود.

وقَصَّر بقوم حتى تزيّنوا للناس وأظهروا لهم من الأعمال والعبادات ما يحمدونهم عليه، وتجاوز بقوم حتى أظهروا لهم من القبائح ومن الأعمال السيئة ما يسقطون به جاههم عندهم، وسموا أنفسهم الملامتية.؟

وقَصَّر بقوم حتى أهملوا أعمال القلوب ولم يلفتوا إليها وعدوها فضلاً، أو فضولاً، وتجاوز بآخرين حتى قَصَّروا نظرهم وعملهم عليها، ولم يلتفتوا إلى كثير من أعمال الجوارح، وقالوا: العارف لا يسقط وارده لورده.

❊ وقال – رحمه الله تعالى:-

"ومن حيلة ومكايده: الكلام الباطل، والآراء المتهافته، والخيالات المتناقضة، التي هي زبالة الأذهان، ونحاتة الأفكار، والزبد الذي يقذف به القلوب والمظلمة المتحيرة، التي تعدل الحق بالباطل، والخطر بالصواب، قد تقاذفت بها أمواج الشبهات، ورانت عليها غيوم الخيالات، فمركبها القيل والقال، والشك والتشكيك، وكثرة الجدال، ليس لها حاصل من اليقين يعوّل عليه، ولا معتقد مطابق للحق يرجع إليه، ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:112] ، فقد أتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً، وقالوا من عند أنفسهم فقالوا منكراً من القول وزوراً فهم في شكّهم يعمهون، وفي حيرتهم يترددون، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة:102] على ألسنة أسلافهم من أهل الضلال فهم إليه يحاكمون، وبه يتخاصمون، فارقوا الدليل واتبعوا أهواء قوم ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:77] "

❊ وقال رحمه الله تعالى:-

"ومن كيده بهم وتحيّله على إخراجهم من العلم والدين: أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، وأوحى إليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج الفلسفية، والطرق الكلامية، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن، وأحالهم على منطق يونان، وعلى ما عندهم من الدعاوي الكاذبة العرية عن البرهان، وقال لهم: تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان ومرت عليها القرون والأزمان، فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الإيمان، كإخراج الشعرة من العجين"

* **وقال – رحمه الله تعالى:-**

ومن كيده: " ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات، وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات، فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات، وفتح لهم أبواب الدعاوي الهائلات، وأوحى إليهم: أن وراء العلم طريقاً إن سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن، فحسَّن لهم رياضة النفوس وتهذيبها، وتصفية الأخلاق والتجافي عما عليه أهل الدنيا، وأهل الرياسة والفقهاء، وأرباب العلوم، والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء، حتى ينتقش فيه الحق بلا وساطة تعلم، فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل، وخيلة للنفس.

حتى جعله كالمشاهد كشفاً وعيانا، فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا: لكم العلم الظاهر، ولنا الكشف الباطن، ولكم ظاهر الشريعة، وعندنا باطن الحقيقة، ولكم القشور ولنا اللباب، فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل من النهار، ثم أحالها في سلوكهم على تلك الخيلات، وأوهمهم أنها من الآيات البينات، وأنها من قبل الله سبحانه إلهامات وتعريفات، فلا تعرض على السنة والقرآن، ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان . فلغير الله لا له سبحانه ما يفتحه على الشيطان من الخيالات والشطحات، وأنواع الهذيان، وكلما ازدادوا بعداً وإعراضاً عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم"

* **وقال – رحمه الله تعالى:-**

ومن أنواع مكايده ومكره .. " أن يدعو العبد بحسن خلقه وطلاقته وبشره إلى أنواع من الآثام والفجور، فيلقاه من لا يخلصه شره إلا تجهمه والتعبيس في وجهه والإعراض عنه، فيحسن له العدو أن يلقاه ببشره، وطلاقة وجهه، وحسن كلامه، فيتعلق به، فيروم التخلص منه فيعجز، فلا يزال العدو يسعى بينهما حتي يصيب حاجته، فيدخل على العبد بكيده من باب حسن الخلق، وطلاقة الوجه، ومن هاهنا وصى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع وأن لا يسلم عليهم ولا يريهم وجهه، ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض ".

وكذلك أوصوا عند لقاء من يخاف الفتنة بقائه من النساء والمردان، وقالوا: متى كشفت للمرأة أو الصبي بياض أسنانك كشفا لك عما هنالك، ومتى لقيتهما بوجه عابس وقيت شرهما.

ومن مكايده: أنه يأمرك أن تلقى المساكين وذوي الحاجات بوجه عبوس ولا تريهم بشراً ولا طلاقة، فيطمعوا فيك، ويتجرءوا عليك، وتسقط هيبتك من قلوبهم، فيحرمك صالح أدعيتهم، وميل قلوبهم إليك، ومحبتهم لك فيأمرك بسوء الخلق، ومنع البشر والطلاقة مع هؤلاء، وبحسن الخلق والبشر مع أولئك، ليفتح لك باب الشر، ويغلق عنك باب الخير.

***وقال رحمه الله تعالى:-**

ومن مكايده أنه يأمرك بإعزاز نفسك وصونها حيث يكون رضا الرب تعالى في إذلالها وابتذالها، كجهاد الكفار والمنافقين، وأمر الفجار والظلمة بالمعروف ونهيهم عن المنكر فيخيل إليك أن ذلك تعريض لنفسك إلى مواطن الذل، وتسليط الأعداء وطعنهم فيك، فيزول جاهك فلا يقبل منك بعد ذلك ولا يسمع منك.

*** وقال: رحمه الله تعالى:-**

ومن كيده وخداعه:" أنه يأمر الرجل بانقطاعه في مسجد، أو رباط، أو زاوية، أو تربة، ويحبسه هناك، وينهاه عن الخروج، ويقول له: متى خرجت تبذلت للناس، وسقطت من أعينهم، وذهبت هيبتك من قلوبهم، وربما ترى في طريقك منكراً، وللعدو في ذلك مقاصد خفية يريدها منه: منها الكبر، واحتقار الناس، حفظ الناموس، وقيام الرياسة، ومخالطة الناس تذهب ذلك، وهو يريد أن يزار ولا يزور، ويقصده الناس ولا يقصدهم، ويفرح بمجي الأمراء إليه واجتماع الناس عنده، وتقبيل يده، فيترك الواجبات والمستحبات والقربات ما يقربه إلى الله، ويتعوض عنه بما يقرب الناس إليه"

*** وقال- رحمه الله تعالى:-**

ومن كيده: " أنه يغري الناس بتقبيل يده، والتمسح به، والثناء عليه، وسؤاله الدعاء، ونحو ذلك حتى يرى نفسه، ويعجبه شأنها، فلو قيل له: إنك من أوتاد الأرض، وبك يدفع البلاء عن الخلق، ظن ذلك حقاً، وربما قيل له: إنه يتوسل به إلى الله

تعالى ويسأل الله تعالى به وبحرمته فيقضي حاجتهم، فيقع ذلك في قلبه، ويفرح به، ويظنه حقاً، وذلك كل الهلاك، فإذا رأي من أحد من الناس تجافياً عنه، أو قلة خضوع له، تذمر لذلك ووجد في باطنه، وهذا شر من أرباب الكبائر المصرين عليها، وهم أقرب إلى السلامة منه " .

*** وقال – رحمه الله :-**

ومن كيده: " أنه يحسن إلى أرباب التخلي والزهد والرياضة العمل بها حسهم وواقعهم، دون تحكيم أمر الشارع، ويقولون: القلب إذا كان محفوظاً مع الله كانت هواجسه وخواطره معصومة من الخطأ، وهذا من أبلغ كيد العدو فيهم.

فإن الخواطر والهواجس ثلاثة أنواع: رحمانية، وشيطانية، ونفسانية، كالرؤيا، فلو بلغ العبد من الزهد والعبادة ما بلغ فمعه شيطانه ونفسه لا يفارقانه إلى الموت، والشيطان يجري منه مجرى الدم، والعصمة إنما هي للرسل صلوات الله وسلامه عليهم الذين هم وسائط بين الله عز وجل وبين خلقه، وفي تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده ومن عداهم يصيب ويخطئ، وليس بحجة على الخلق"

*** وقال رحمه الله:-**

ومن كيده: " أمرهم بلزوم زي واحد، ولبسه واحدة، وهيئة ومشية معينة وشيخ معين، وطريقة مخترعة، ويفرض عليهم لزوم ذلك بحيث لزمونه كلزوم الفرائض، فلا يخرجون عنه ويقدحون فيمن خرج عنه ويذمونه، وربما يلزم أحدهم موضعاً معيناً للصلاة لا يصلي إلا فيه، وقد نهى رسول الله ﷺ: "أن يوطن الرجل المكان للصلاة كما يوطن البعير" (1) وكذلك ترى أحدهم لا يصلي إلى على سجادة، ولم يصل ﷺ على سجادة قط، ولا كانت السجادة تفرش بين يديه، بل كان يصلي على الأرض، وربما سجد في الطين، وكان يصلي على الحصير، فيصلى على ما اتفق بسطه، فإن لم يكن ثمت شيء صلى على الأرض"

(1) أخرجه أحمد وأبو داود (135) وابن خزيمة (174) وهو حسن ، وقد خرجته مطولاً في عمل اليوم لابن السني .

❊ **وقال رحمه الله:-**

ومن كيده الذي بلغ الجهال ما بلغ: " الوسواس الذي كادهم به في أمر الطهارة والطلاة عند عقد النية، حتى ألقاهم في الآصار والأغلال، وأخرجهم عن أتباع سنة رسول الله ﷺ، وخَيّل إلى أحدهم أن ما جاءت به السنة لا يكفي حتى يضم إليه غيره، فجمع لهم بين هذا الظن الفاسد، والتعب الحاضر، وبطلان الأجر أو تنقيصه.

ولا ريب أن الشيطان هو الداعي إلى الوسواس: فأهله قد أطاعوا الشيطان، ولبوا دعوته، واتبعوا أمره، ورغبوا عن اتباع سنة رسول الله ﷺ وطريقته، حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله ﷺ، أو اغتسل كاغتساله ولم يطهر ولم يرتفع حدثه، ولولا العذر بالجهل كان هذا مشاقة للرسول، فقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد، وهو قريب من ثلث رطل بالدمشقي، ويغتسل بالصاع وهو نحو رطل وثلث، والموسوس يرى أن ذلك القدر لا يكفيه لغسل يديه، وصح عنه ﷺ أنه توضأ مرة مرة، ولم يزد على ثلاث، بل أخبر أن: "من زاد عليها فقد أساء وتعدى وظلم"[1] فالموسوس مسيء متعد ظالم بشهادة رسول الله ﷺ، فكيف يتقرب إلى الله بما هو مسيء به متعد فيه لحدوده".

❊ **وقال – رحمه الله تعالى:-**

"**ومن أعظم مكايده:** ما نصبه للناس من الأنصاب والأزلام التي هي من عمله، وقد أمر الله تعالى باجتناب ذلك، وعلق الفالح باجتنابه فقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة:90]

ثم قال: رحمه الله تعالى:-

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب: فتنة أنصاب القبو، وهي أصل فتنة عبادة الأصنام، كما قاله السلف من الصحابة والتابعين، وقد تقدم.

ومن أعظم كيد الشيطان: أنه ينصب لأهل الشرك قبر مُعظَّم يعظمه الناس، ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله، ثم يوحي إلى أوليائه: أن من نهى عن عبادته، واتخاذه

---

(1) سبق تخريجه

عيداً، وجعله وثناً فقد تَقَّصه، وهضم حقه، فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته ويكفرنه، وذنبه عند أهل الإشراك: أمره بما أمر الله به رسوله، ونهيه عما نهى الله عنه ورسوله: من جعله وثناً وعيداً، وإيقاد السرج عليه، وبناء المساجد والقباب عليه وتجصيصه، وإشادته وتقبيله، واستلامه، ودعائه، أو الدعاء به، أو السفر إليه، أو الاستغاثة به من دون الله، مما قد علم بالأضرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله: من تجريد التوحيد لله وأن لا يعبد إلا الله، فإذا نهي الموحد عن ذلك غضب المشركون، واشمأزت قلوبهم، وقالوا : قد تنقص أهل الرتب العالية، وزعم أنهم لا حرمة لهم، ولا قدر، وسرى ذلك في نفوس الجهال والطغام، وكثير ممن يسنب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم هو أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك، فما كانوا أولياءه، إن أولياؤه إلا المتبعون له الموافقون له، العارفون بما جاء به، الداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا، لا بسو ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم، يبغونها عوجاً، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وقال رحمه الله تعالى:-

"ومن مكايد عدو الله ومصايده، التي كاد بها من قلَّ نصيبهُ من العلم والعقل والدين، وصد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء، والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقيم اللواط والزنا، وبه ينال العاشف الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكارً منه وغروراً، وأوحي إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، فلو رأيتم عند ذلك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه ، وأنصبت أنصبابة واحدة إليه ، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم. ورقَّصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط خمارة النفوس، ففعل فيها أعظم ما يفعله حميا الكئوس، فلغير الله، عمل للشيطان، قلوب هناك تمرق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق

حتى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخيله، وَخَـزَ في صـدورهم وخَـزًا، وأزَّهـم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزّاً، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسط الديار، فيا رحمة للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام، ويا سوأتا من أشـباه الحمـير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام، بالذين يزعمـون أنهـم خـواص الإسـلام، قـضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعبا، مزامير الشيطان أحب إليهم من اسـتماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك ساكناً، ولا أزعـج لـه قاطناً، ولا أثار فيه وجداً، ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زنداً، حتى إذا تلي عليه قرآن الشيطان، وولج مزموره سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينيه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعاضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت، فيأيها الفاتن المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون، هلا كانت هذه الأشجان، عند سماع القرآن؟

وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد؟

وهذه الأحوال السنيات، عند تلاوة السور والآيات؟

ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية على الضم قدراً وشرعاً، والمشكلة سبب الميل عقلاً وطبعاً، فمن أين هذا الإخاء والنسب؟

لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب، ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهـد الـرحمن خلـلاً؟ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾[الكهف:50]

وقد أحسن القائل:

تُلي الكتـاب، فأطرقـوا، لا خيفـة ... لكنه إطـراق سـاه لاهـي
وأتى الغنـاء، فكالحمـير تناهقـوا ... والله ما رقصـوا لأجـل الله
دف ومزمـار، ونغمـة شـاذن ... فمتى رأيت عباده بملاهـي؟
ثقـل الكتـاب عليـه لمـا رأوا ... تقييـده بأوامـر ونواهـي

سمعــوا له رعــداً وبرقا، إذ حـوى ... زجراً وتخويفاً بفعــل مناهــي
ورأوه أعظــــم قاطــع للنفــــس ... عن شهواتها، يا ذبحها المتناهي
وأتــى السمــاع موافقاً أغراضهــا ... فلأجل ذاك غدا عظيم الجـــاه
أين المساعـد للهــوى مــن قاطــع ... أسبابه، عند الجهول الساهـي؟
إن لم يكــن خمــر الجسـوم، فإنـــه ... خمر العقـول مماثل ومضاهــي
فانظـر إلى النشــوان عنــد شرابــه ... وأنظر إلى النسوان عند ملاهي
وانظـــر إلى تمزيــق ذا أثوابــــه ... من بعد تمزيق الفؤاد اللاهـــي
واحكم أي الخمرتين أحق بالتحريم ... والتأثيـــــم عنـــــد الله؟

وقال آخر:

برئنـــا إلى الله مـــــن معشـــر ... بهـم مرض مــن سمـاع الغنا
وكم قلت: يا قـــوم، أنتــم عــلى ... شفــا جــرف ما بـــه مـن بنا
شفـــا جـــرف تحتـــه هـــــوة ... إلى درك، كـم بــه مــن عنـا؟
وتكـــــرار ذا النصــح منا لهـــم ... لنعــذر فيـــم إلى ربنـــــا
فلمــــا استهانـــــوا بتنبيهنــا ... رجعنــا إلى الله في أمــــــرنا
فعشنـــا على سنـــة المصطفـــــى ... ومـاتـــوا على تنتنـــا تنتنـــا

ولم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى، تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض، وتحذر مـن سلوك سبيلهم، واقتفاء آثارهم، من جميع طوائف الملة.

*** وقال – رحمه الله تعالى:-**

ومن مكايده التي بلغ فيها مراده: "مكيدة التحليل، الذي لعن رسول الله ﷺ فاعله، يشبهه بالتيس المستعار، وعظَّم بسببه العار والشنار، وغيّر المسلمين به الكفار، وحصل بسببه من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العبـاد، واسـتكريت لـه الـتروس المـستعارات، وضاقت به ذرعًا النفوس الأبيّات، ونَفَرت منه أشد من نفارها من السِّفاح وقالت: لو كان هذا نكاحاً صحيحاً لم يلعن رسول الله ﷺ من أتى بما شرعه من النكاح، فالنكـاح سنته، وفاعل السنة مقرب غير ملعون، والمحلل مع وقوع اللعنة عليه بالتيس المستعار مقرون، فقد سمّاه الرسول ﷺ بالتيس المـستعار، وسـمّاه الـسلف بمـسمار النـار، فلـو

شاهدت الحرائر المصونات، على حوانيت المحللين متبذلات، تنظر المرأة إلى التيس نظر الشاة إلى شفرة الجازر، وتقول: يا ليتني قبل هذا كنت من أهل المقابر، حتى إذا تشارطا على ما يجلب اللعنة والمقت، نهض واستتبعها خلفه للوقت، بلا زفاف ولا إعلان، بل بالتخفي والكتمان، فلا جهاز ينقل، ولا فراش إلى بين الزوج يحول، ولا صواحب يهدينها إليه، ولا مصلحات يجلينها عليه، ولا مهر مقبوض ولا مؤخر ولا نفقة ولا كسوة تقدر، ولا وليمة ولا نثار، ولا دف ولا إعلان ولا شعار والزوج يبذل المهر وهذا التيس يطأ بالأجر، حتى إذا خلا بها وأرخى الحجاب، والمطلق والولي واقفان على الباب. دنا يطهرها بمائه النجس الحرام، ويطيبها بلعنة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، حتى إذا قضيا عرس التحليل، ولم يحصل بينهما المودة والرحمة التي ذكرها الله تعالى في التنزيل، فإنها لا تحصل باللعن الصريح ، ولا يوجبها إلا النكاح الجائز الصحيح، فإن كان قد قبض أجرة ضرابه سلفاً وتعجيلاً، وإلا حبسها حتى تعطيه أجره طويلاً، فهل سمعتم زوجاً لا يأخذ بالساق حتى يأخذ أجرته بعد الشرط والاتفاق؟

حتى إذا طهرها وطيبها، وخلصها بزعمه من الحرم وجنبها، قال لها : اعترفي بما جرى بيننا ليقع عليك الطلاق، فيحصل بعد ذلك بينكما الالتئام والاتفاق، فتأتي المضخمة إلى حضرة الشهود، فيسألونها: هل كان ذاك، فلا يمكنها الجحود، فيأخذون منها أو من المطلق أجراً، وقد أرهقوهما من أمرهما عسرا، هذا وكثير من هؤلاء المستأجرين للضراب يحلل الأم وابنتها في عقدين، ويجمع ماءه في أكثر من أربع وفي رحم أختين، وإذا كان هذا من شأنه وصفته، فهو حقيقة بما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **"لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له"** (1) رواه الحاكم في الصحيح والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، قال: والعمل عليه عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمر ﷺ وهو قول الفقهاء من التابعين.

ورواه الإمام أحمد في مسنده، والنسائي في سننه بإسناد صحيح، ولفظهما: "لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمؤتشمة، والواصلة والموصولة، والمحلل والمحلل له، وآكل الربا وموكله " (2) .

(1) أخرجه أحمد (2/ 323) وأبو داوود (2076) والترمذي (1119) وابن ماجة (1934) وهو صحيح.
(2) أخرجه أحمد (1/ 434) والنسائي (8/ 147) وهو صحيح.

وفي مسند الإمام أحمد ، وسنن النسائي أيضاً: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **" آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه، إذا علموا به، والواصلة والمستوصلة، ولاوي الصدقة والمعتدي فيها، والمرتد على عقبيه أعرابيا بعد هجرته، والمحلل والمحلل له: ملعونون على لسان محمدﷺ يوم القيامة "**[1].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ عن النبي محمدﷺ: "أنه لعن المحلل والمحلل له". رواه الإمام أحمد وأهل السنن، كلهم غير النسائي[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: "لعن الله المحلل والمحلل له" [3] رواه الإمام أحمد بإسناد رجاله كلهم ثقات، وثقهم ابن معين وغيره.

وقال الترمذي في كتاب العلل: سألت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث؟ فقال: هو حديث حسن، وعبد الله بن جعفر المخزومي صدوق ثقة، وعثمان بن محمد الأخنسي ثقة.

وقال أبو عبد الله بن ماجه في سننه: حدثنا محمد بن بشَّار حَدَّثنا أبو عامر عن زمعة بن صالح وعن سلمة بن وهران عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: **"لعن رسول اللهﷺ المحلل والمحلل له"** [4].

وعن ابن عباس أيضاً، قال: "سئل رسول الله ﷺ عن المحلل؟ فقال: لا إلا نكاح رغبة، لا نكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله، ثم تذوق العسيلة" رواه أبو إسحاق الجوزجاني في كتاب المترجم قال: أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن حصين عن عكرمة عنه، وهؤلاء كلهم ثقات، إلا إبراهيم، فإن كثيراً من الحفاظ بضعفه والشافعي حسن الرأي فيه، ويحتج بحديثه[5].

وعن عقبة بن عامرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له" رواه ابن ماجه

(1) أخرجه أحمد والنسائي (8/ 147) وصححه الألباني.

(2) صحيح – وله طرق خرجتها في **"الدرر"**

(3) صحيح ، وخرجته في **"الدرر"**

(4) صحيح ، مخروج في **"الدرر"**

(5) وأخرجه الطبراني في **"الكبير"** (11567) وإسناده ضعيف.

بإسناد رجاله كلهم موثقون، لم يجرح واحد منهم[1].

وعن عمرو بن دينار – وهو من أعيان التابعين – **"أنه سئل عن رجل طلق أمرأته، فجاء رجل من أهل القرية، بغير علمه ولا علمها، فأخرج شيئا من ماله، فتزوجها ليحلها له، فقال: لا، ثم ذكر أن النبي ﷺ سئل عن مثل ذلك فقال: لا، حتى ينكح مرتغباً لنفسه، فإذا فعل ذلك لم يحل له حتى يذوق العسيلة"** ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف بإسند جيد [2].

وهذا المرسل قد احتج به من أرسله، فدل على ثبوته عنده، وقد عمل به أصحاب رسول الله ﷺ، كما سيأتي، وهو موافق لبقية الأحاديث الموصولة، ومثل هذا حجة بإتقان"

وقال رحمه الله تعالى:-

ومن مكايدة التي كاد بها الإسلام وأهله: الحيل، والمكر، والخداع الذي يتضمن تحليل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته في أمره ونهية، وهي من الرأي الباطل الذي أتفق السلف على ذمه.

فإن الرأي رأيان: رأي يوافق النصوص، وتشهد له بالصحة والاعتبار، وهو الذي اعتبره السلف، وعملوا به.

ورأي يخالف النصوص، وتشهد له بالإبطال والإهدار، فهو الذي ذموه وأنكروه.

وكذلك الحيل نوعان: نوع يتوصل به على فعل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى عنه، والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه.

ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المُظلوم ظالماً، والظالم مظلوماً، والحق باطلا، والباطل حقاً، فهذا النوع الذي أتفق السلف على ذمة، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض"

---

(1) أخبرجه ابن ماجه (1936) والحاكم (2/ 198) وحسنة الألباني.

(2) وهومع هذا مرسل..

وقال – رحمه الله تعالى:-

"ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته: ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه أوليائه من الفتنة بالقبور، حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله، وعبدت قبوهم، واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل، ثم جعلت أصناماً، وعُبدت مع الله تعالى"

وقال – رحمه الله تعالى:-

"ومن مكايدة ومصايدة: ما فتن به عشاق الصور.

وتلك لعمر الله الفتنة الكبرى، والبلية العظمى، التي استعبدت النفوس لغير خلاقها وملكت القلوب لم يسومها الهوان من عشاقها، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد، ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد، فصيرت القلب للهوى أسيراً، وجعلته عليه حاكماً وأميراً، فأوسعت القلوب محنة، وملأتها فتنة، وحالت بينها وبين رشدها، وصرفتها عن طريق قصدها، ونادت عليها في سوق الرقيق فباعتها بأبخص الأثمان، وأضاعتها بأخس الحظوظ وأدني المطالب عن العالي من غرف الجنان، فضلا عما هو فوق ذلك من القرب من الرحمن، فسكنت إلى ذلك المحبوب الخسيس، الذي ألمها به أضعاف لذتها، ونيله والوصول إليه أكبر أسباب مضرتها، فما أوشكه حبيباً يستحيل عدواً عن قريب، ويتبرأ منه محب لو أمكنه حتى كأن لم يكن له حبيب، وإن تمتع به في هذا الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين، لا سيما إذا صار الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا إلا المتقين.

فيا حسرة المحب الذي باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بخس، وشهوة عاجلة، ذهبت لذتها وبقيت تبعتها، وانقضت منفعتها، وبقيت مضرتها، فذهبت الشهوة، وبقيت الشقوة، وزالت النشوة، وبقت الحسرة، فوارحمتاه لصب جمع له بين الحسرتين، حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم، وحسرة ما يقاسيه من النصب في العذاب الأليم. فهناك يعلم المخدوع أي بضاعة أضاع، وإن من كان مالك رقة وقبله لم يكن يصلح أن يكون له من جملة الخدم والأتباع، فأي مصيبة أعظم من مصيبة ملك أنزل

عن سرير ملكه، وجعل لمن لا يصلح أن يكون مملوكـه أسـيرا، وجعـل تحـت أوامـره ونواهيه مقهوراً. فلو رأيت قلبه وهو **في يد محبوبه لرأيته:**

كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الري، والطفل يلهو ويلعب

ولو شاهدت حالة وعيشه لقلت :

وما في الأرض أشقى من محـب وإن وجـد الهـوى حلـو المـذاق

تـراه باكيـا في كـل حيـن مخافـة فرقـة ، أو لاشتيـاق

فبكي إن نأوا، شوقاً إليهـم ويبكـى إن دنـوا، حـذر الفـراق

ولو شاهدت نومه وراحته لعلمت أن المحبة والمنام تعاهدا وتحالفا أن ليس يلتقيان ولو شاهدت فيض مدامعة، ولهيب النار **في أحشائه لقلت:**

سبحان رب العرش متقن صنعه ومؤلـف الاضـداد دون تعانـد

قطر تولد عن لهيب في الحشـا مـاء ونـار في محـل واحـد!!

ولو شاهدت مسلك الحب في القلب وتغلغه فيه، لعلمت أن الحب ألطـف مـسلكا فيه من الأرواح في أبدانها

فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا الملك المطاع لمن يسومه سـوء العـذاب، ويوقـع بينـه وبين وليه ومولاه الحق الذي لا غناء له عنه ولا يد له منه أعظم الحجاب؟ فالحب بمن أحبه قيل وهو له عبد خاضع ذليل، إن دعاه لباه، وإن قيل له: ما تتمنى؟ فهو غاية مـا يتمناه، لا يأنس ولا يسكن إلى سواه، فحقيق به أن لا يملك رقة إلا لأجل حبيب، وأن لا يبيع نصيبه منه بأخس نصيب".

وقال رحمه الله تعالى:

"ومن أبلغ كيد الشيطان وسخريته بالمفتونين بالصور: إنه يمنى أحدهم أنه إنما يحب ذلك الأمر أو تلك المرأة الأجنبية لله تعالى، لا للفاحشة، ويأمره بمؤاخاته.

وهذا من جنس المخادنة، بل هو مخادنة باطنة، كذوات الأخدان اللاتي قال الله تعالى فـيهن: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ ﴾[النساء:25] وقـال في حـق الرجال: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ ﴾[المائدة:5].فيظهرون للناس أن مبحبتهم تلك الصورة لله تعالى، ويبطنون اتخاذها خدّنا، يتلذذون بها فعلا، أو تقبـيلاً،

أو تمتعاً بمجرد النظر والمخادنة، والمعاشرة، واعتقادهم أن هذا لله، وأنه قربة وطاعة: هو من أعظم الضلال والغي، وتبديل الدين، حيث جعلوا ما كرهه الله سبحانه محبوباً له، وذلك من نوع الشرك، والمحبوب المتخذ من دون الله طاغوت، فإن أعتقاد كون التمتع بالمحبة والنظر والمخادنة وبعض المباشرة لله، وأنه حب فيه: كفر وشرك، كاعتقاد محبي الأوثان في أوثانهم.

وقد يبلغ الجهل بكثير من هؤلاء إلى أن يعتقد أن التعاون على الفاحشة تعاون على الخير والبر، وأن الجالب محسن إلى العاشق، جدير بالثواب، وأنه ساع في دوائه وشفائه، وتفريج كرب العشق عنه، وأن **"من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة"** (1)

وقال – رحمه الله تعالى:-

في بيان كيد الشيطان لنفسه، قبل كيده للأبوين، ثم لم يقتصر على ذلك، حتى كاد ذرية نفسه، وذرية آدم، فكان مشئوما على نفسه وعلى ذريته وأوليائه وأهل طاعته من الجن والإنس.

أما كيده لنفسه:

فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم ﷺ، كان في امتثال أمره وطاعته وسعادته وفلاحه، وعزة ونجاته، فسوّلت له نفسه الجاهلة الظالمة: أن في سجوده لآدم ﷺ غضاضة عليه، وهضما لنفسه، إذ يخضع ويقع ساجداً لمن خلق من طين، وهو مخلوق من نار والنار – بزعمه – أشرف من الطين، فالمخلوق منها خير من المخلوق منه، وخضوع الأفضل لمن هو دونه غضاضة عليه وهضم لمنزلته، فلما قام بقلبه هذا الهوس، وقارنه الحسد لآدم، لما رأي ربه سبحانه قد خصّه به من أنواع الكرامة فإنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وعلَّمه أسماء كل شيءٍ، وميّزة بذلك عن الملائكة وأسكنه جنته، فعند ذلك بلغ الحسد من عدو الله كل مبلغ، وكان عدو الله يطيف به وهو صلصال كالفخار، فيتجعب منه، ويقول: لأمر عظم قد خُلق هذا، ولئن سُلّط عليّ لأعصينه، ولئن سُلّطت عليه لأهلكنه، فلما تم خلق آدم ﷺ في أحسن

(1) أخرجه أحمد (2/ 252) ومسلم (2699) والترمذي (1425).

تقويم وأكمل صورة وأجملها، وكملت محسانة الباطنة، بالعلم والحلم والوقار، وتولى ربه سبحانه خلقه بيده، فجاء في أحسن خلق، وأتم صورة، طوله في السماء ستون ذراعاً، قد ألبس رداء الجمال والحسن، والمهابة، والبهاء فرأت الملائكة منظراً لم يشاهدوا أحسن منه ولا أجمل، فوقعوا كلهم سجوداً له، بأمر ربهم تبارك وتعالى، فشق الحسود قميصه من دبر، واشتعلت في قلبه نيران الحسد المتبن، فعارض النص بالمعقول بزعمه، كفعل أوليائه من المبطلين، وقال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:12] فأعرض عن النص الصريح، وقابله بالرد الفاسد القبيح، ثم أردف ذلك بالإعتراض على العليم الحكيم، الذي لا تجد العقول إلى الاعتراض على حكمته سبيلاً، فقال: ﴿أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:62]

وتحت هذا الكلام من الأعتراض معنى: أخبرني، لم كَرَّمته علىَّ؟ وفور هذا الأعتراض: أن الذي فعلته ليس بحكمة ولا صواب، وأن الحكمة كانت تقتضى أن يسجد هو لي، لأن المفضول يخضع للفاصل، فلم خالفت الحكمة؟.

ثم أردف ذلك بتفضيل نفسه عليه، وإزرائه به، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [ص:76].

ثم قرر ذلك بحجته الداحضة في تفضيل مادته وأصله على مادة آدم عليه السلام وأصله فأنتجت له هذه المقدمات إباءه وامتناعه من السجود، ومعصيته الرب المعبود، فجمع بين الجهل والظلم، والكبر والحسد والمعصية، ومعارضة النص بالرأي والعقل، فأهان نفسه كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها، ووضعها من حيث أراد رفعتها، وأذلها من حيث أراد عزتها، وآلمها كل الألم من حيث أراد لذتها، ففعل بنفسه ما لو اجتهد أعظم أعدائه في مضرته لم يبلغ منه ذلك المبلغ، ومن كان هذا غشه لنفسه، فكيف يسمع منه العاقل ويقبل، ويواليه؟ قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف:50] .

قال رحمه الله تعالى:-

وأما كيدة للأبوين:

فقد قص الله سبحانه علينا قصته معهما وأنه لم يزل يخدعهما، ويعدهما، ويمنيهما الخلود في الجنة، حتى حلف لهما بالله جهد يمينه: أنه ناصح لهما، حتى أطمأنا إلى قوله، وأجاباه إلى ما طلب منهما، فجرى عليهما من المحنة والخروج من الجنة ونزع لباسهما كيدة عليه، وتدارك الأبوين برحمته ومغفرته، فأعادهما إلى الجنة على أحسن الأحوال وأجملها، عاد عاقبة مكره عليه: ﴿يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:43]

وظن عدو الله بجهله أن الغلبة والظفر له في هذه الحرب، ولم يلم بكمين جيش: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:23] . ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:122].

وظن اللعين بجهله أن الله سبحانه يتخلى عن صفية وحبيبة الذي خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلَّمه أسماء كل شيء، من أجل أكلة أكلها.

وما علم أن الطبيب قد علم المريض الدواء قبل المرض، فلما أحس بالمرض بادر إلى استعمال الدواء، لما رماه العدو بسهم وقع في غير مقتل، فبادر إلى مداواة الجرح، فقام كأن لم يكن به قلبة – والقلبة: الدواء العلة.

وبُلي العدو بالذنب فأصر واحتج وعارض الأمر، وقدح في الحكمة، ولم يسأل الإقالة، ولا ندم على الزلة، وبُلي الحبيب بالذنب فاعترف وتاب وندم، وتضرع واستكان وفزع إلى مفزع الخليقة، وهو التوحيد والاستغفار، فأزيل عنه العتب، وغفر له الذنب، وقبل منه المتاب، وفتح له من الرحمة والهداية كل باب، ونحن الأبناء، ومن أشبه أباه فما ظلم، ومن كانت شيمته التوبة والاستغفار فقد هدى لأحسن الشيم".

ثم قال – رحمه الله:-

ثم كاد أحد ولدي آدم، ولم يزل يتلاعب به، حتى قتل أخاه، وأسخط أباه، وعصى مولاه، فسن للذرية قتل النفوس، وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله تعلى عليه وآله وسلم أنه قال: **" ما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الآول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل"**. أخرجه البخاري (3335) ومسلم (1677) وقد سبق

فكاد العدو هذا القاتل بقطيعة رحمه، وعقوق والديه، وإسخاط ربه، ونقص عدده وظلم نفسه، وعرضة لأعظم العقاب، وحرمه حظه من جزيل الثواب".

وقال – رحمه الله تعالى:" ومن كيده وتلاعبه: ما تلاعب بعُبَّاد النار، حتى أتخذوها إلها معبوده"

وقال: ومن كيده وتلاعبه: " تلاعبه بطائفة أخرى تعبد الماء من دون الله وتسُمى الحلبانية ".

وتزعم أن الماء لما كان أصل كل شيء، وب كل ولادة ونمو ونشوء، وطهارة وعمارة وما من عمل في الدنيا إلا ويحتاج إلى الماء، فكان حقه أن يعبد"

وقال: ومن تلاعبه: " تلاعبه بعباد الحيوانات، وظائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات، وطائفة تعبد الشجر، وطائفة تعبد الجن" كما سيأتي.

ومن تلاعبه بهم: "أن زين لقوم عبادة الملائكة، فعبدوهم يزعمهم، ولم تكن عبادتهم في الحقيقة لهم، ولكن كانت للشياطين فعبدوا أقبح خلق الله، وأحقهم باللعن والذم"

وقال رحمه الله تعالى:-

ومن تلاعبه وكيده تلاعبه بالثنوية

وهم طائفة قالوا: الصانع اثنان، ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة، وهما قديمان، لم يزالا، ولن يزالا قويين حساسين، مدركين، سميعين، بصيرين، وهما مختلفان في النفس والصورة، متضادان في الفعل والتدبير، فالنور فاضل حسن، نقي، طيب الريح، حسن المنظر، ونفسه خَيّرة، كريمة، حكيمة، نفاعة، منها الخيرات والمسرات، والصلاح، وليس فيها شيء من الضرر، ولا من الشر.

والظلمة على ضد ذلك: من الكدر، والنقص، ونتن الريح، وقبح المنظر، ونفسها نفس شريرة، بخيلة، سفيهة، منتنة، مضرة منها الشر والفساد.

ثم اختلفوا، فقالت فرقة منهم: إن النور لم يزل فوق الظلمة.

وقالت فرقة: بل كل واحد منهما إلى جانب الآخر.

وقالت فرقة: النور لم يزل مرتفعاً في ناحية الشمال، والظلمة منحطة في الجنوب، ولم يزل كل واحد منهما مبايناً لصاحبه.

وزعموا أن لكل واحد منهما أربعة أبدان ، وخامس هو الروح ، فأبدان النرر الأربعة : النار ، والنور ، والريح ، والماء ، وروحه : النسيم ، ولم يزل يتحرك في هذا الأبدان .

وأبدان الظلمة الأربعة : الحريق ، والظلمة ، والسوم ، والضباب ، وروحها : الدخان وسموا أبدان النور ملائكة ، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت .

وبعضهم يقول : الظلمة تتولد شياطين ، والنور يتولد ملائكة ، والنور لا يقدر علي الشر ولايجيء منه ، والظلمة لا تقدر علي الخير ، ولا يجيء منها .

ولهم مذاهب سحيفة جدًا .

وفرض عليهم صوم سبع العمر ، وأن لا يؤذي أحدهم ذا روح البتة .

ومن شريعتهم : أن لا يدخروا إلا قوت يوم ، وتجَنب الكذب ، والبخل ، والسحر ، وعبادة الأوثان ، والزنا والسرقة .

واختلفوا : هل الظلمة قديمة أو حادثة ؟

فقالت فرقة منهم : هي قديمة لم تزل مع النور .

وقالت فرقة : بل النور هو القديم ، ولكنه فكر فكرة رديئة حديث منها الظلمة .

فدار مذهبهم علي أصلين من أبطل الباطل .

أحدهما : أن شر الموجودات وأخبثها ، وأردأها : كفؤ لخير الموجودات ، وضد له ، ومناوئ له يعارضه ، ويضاده ، ويناقضه دائمًا ، ولا يستطيع دفعه .

وهذا أعظم من شرك عباد الأصنام ، الذين عبدوها لتقربهم إلي الله تعالي ، فإنهم جعلوها مملوكة له ، مربوبة مخلوقة ، **كما كانوا يقلون في تلبيتهم :**

لبيك اللَّهُم لَبيك   لبيك لا شريك لك
إلا شريك هو لك   تملكه وما ملك

والأصل الثاني: أنهم نَزَّهوا النور أن يصدر منه شر، ثم جعلوه منبع الشر كله، وأصله ومولده وأثبتوا إلهين، وربّين، وخالقين، فجمعوا بين الكفر بالله تعالى، وأسمائه وصفاته ورسله، وأنبيائه، وملائكته، وشرائعه، وأشركوا به أعظم الشرك.

وحكي أرباب المقالات عنهم: أن قوماً منهم يقال لهم: الديصانية زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة، وكانت تحاكي جسم النور – الذي هو الباري عندهم – " زماناًفتأذى بها "

في ذكر تلاعبه بالدهرية :-

وهؤلاء قوم عطّلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾ [الجاثية:24] .

وهؤلاء فرقتان، فرقة قالت: إن الخالق سبحانه لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها وإمساك حركتها. وفرقة قالت: إن الأشياء ليس لها أول البتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل، تكونت الأشياء: مركباتها، وبسائطها، من ذاتها، لا من شيءٍ آخر وقالوا: إن العالم دائم لم يزل ولا يزال، لا يتغير، ولا يضمحل، ولا يجوز أن يكون المبدع فعل فعلا يبطل ويضمحل إلا وهو يبطل ويضمحل مع فعله، وهذا العالم هو الممسك لهذه الأجزاء التي هي فيه

وهؤلاء هم المعطلة حقًا، وهم فحول المعطلة، وقد سرى هذا التعطيل إلى سائر فرق المعطلة، على اختلاف آرائهم وتباينهم في التعطيل، كما سرى داء الشرك تأصيلا وتفصيلا في سائر فرق المشركين على اختلاف مذاهبهم فيه، وكما سرى جحد النبوات تأصيلا وتفصيلا في سائر من جحد النبوة أو صفة من صفاتها، أو أقرَّ بها جملة وجحد مقصودها وزبدتها أو بعضه.

فهذه الفرق الثلاثة سرى داؤها وبلاؤها في الناس، ولم ينج منه إلا أتباع الرسل، العارفون بحقيقة ما جاء به، المتمسكون به دون ما سواه، ظاهرا وباطنا.

فداء التعطيل، وداء الإشراك، وداء مخالفة الرسول وجحد ما جاء به، أو شيء منه: هو أصل بلاء العالم، ومنبع كل شر وأساس كل باطل، فليست فرقة من فرق أهل الإلحاد والباطل والبدع إلا وقولها مشتق من هذا الأصول الثلاثة، أو من بعضها.

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإني لا أظنك ناجيا

وقال رحمه الله تعالى عن أمة النصاري عُبّاد الصليب:

والمقصود: أن دين الأمة الصليبية، بعد أن بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ، بل قبله بنحو ثلاثمائة سنة، مبنى على معاندة العقول والشرائع، وتنقص إله العالمين ورمية بالعظائم، فكل نصراني لا يأخذ بحظه من هذه البلبة فليس بنصراني على الحقيقة.

أفليس هو الدين الذي أسسه أصحاب المجامع المتلاعنين على أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد؟

فيا عجباً كيف رضى العاقل أن يكون هذا مبلغ عقله، ومنتهى علمه؟

أفترى لم يكن في هذه الأمة من يرجع إلى عقله وفطرته، ويعلم أن هذا عين المحال، وإن ضربوا له الأمثال، واستخرجوا له الأشباه، فلا يذكرون مثالاً ولا شبهاً إلا وفيه بيان خطئهم وضلالهم.

كتشبيه بعضهم اتحاد اللاهوت بالناسوت، وامتزاجه باتحاد النار والحديد، وتمثيل غيرهم ذلك باختلاط الماء باللبن، وتشبيه آخرين ذلك بامتزاج الغذاء، واختلاطه بأعضاء البدن إلى غير من الأمثال والمقاييس التي تتضمن امتزاج حقيقتين واختلاطهما، حتى سارا حقيقة أخرى، تعالى الله عز وجل عن إفكهم وكذبهم.

ولم يقنعهم هذا القول في رب السموات والأرض، حتى اتفقوا بأسرهم على أن اليهود أخذوه وساقوة بينهم ذليلاً مقهوراً، وهو يحمل خشبته التي صلوبه عليها، واليهود يبصقون في وجهه، ويضربونه، ثم صلبوه وطعنوه بالحربة، حتى مات، وتركوه مصلوباً حتى التصق شعره بجلده، لما يبس دمه بحرارة الشمس، ثم دفن، وأقام تحت التراب ثلاثة أيام، ثم قام بلا هوتيته من قبره.

هذا قول جميعهم: ليس فيهم من ينكر منه شيئاً.

فياللعقول! كيف كان حال هذا العالم الأعلى والأسفل في هذه الأيام الثلاثة؟ ومن كان يدير أمر السموات والأرض؟ ومن الذي خلف الرب سبحانه وتعالى في هذه المدة؟ ومن الذي كان يمسك السماء أن تقع على الأرض، وهو مدفون في قبره؟.

ويا عجبا! هل دفنت الكلمة معه، بعد أن قتلت وصلبت؟ أم فارقته وخذلته أحوج ما كان إلى نصرها له، كما خذله أبوه وقومه؟ فإن كانت قد فارقته وتجرد منها، فليس هو

حينئذ المسيح، وإنما هو كغيره من آحاد الناس، وكيف يصح مفارقتها له بعد أن أتحدث به، ومازجت لحمه ودمه؟ وأين ذهب الاتحاد والامتزاج؟ وإن كانت لم تفارقه وقتلت وصلبت، ودفنت معه، فكيف وصل المخلوق إلى قتل الإله، وصلبه ودفنه؟.

ويا عجبا! أي قبر يسع إله السموات والأرض؟ هذا وهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون.

الحمد لله، ثم الحمد لله تعالى، الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله يا ذا الجلال والإكرام، كما هديتنا للإسلام أسالك أن لا تنزعه عنا، حتى تتوفانا على الإسلام.

أَعُبَّاد المَسيح لنا سؤال ... نُريد جَوابه ممن وَعَاهُ
إذا مَات الإلهُ يصنع قومٍ ... أَماتوهُ، فَما هذا الإلهُ؟
وهل أرضاهُ ما نالوهُ منه؟ ... فبشراهم إذا نالوا رضاهُ
وإن سخط الذي فعلوه فيه ... فقوتهم إن أَوْهت قِوَاهُ
وهل بقى الوجود بلا إله ... سميعٌ يستجيب لمن دعاه؟
وهل خَلت الطباق السبع لما ... ثَوى تحت التراب، وقد عَلاهُ؟
وهل خلت العوالم من إلهٍ ... يُدبرها، وقد سَمَرتُ يَدَاهُ؟
وكيف تخلَّت الأملاك عنه ... بنصرهم، وقد سمعوا بكاهُ؟
وكيف أطاقت الخشبات حمل ... الإله الحقّ شُدَّ على قَفَاهُ؟
وكيف دنا الحديد إليه حتى ... يخالطهُ، ويلحقه أذاهُ؟
وكيف تمكنت أيدي عِدَاه ... وطالت حيث قد صفعوا قَفَاهُ؟
وهل عاد المسيحَ إلى حياةٍ ... أم المُحيي له ربٌّ سِوَاهُ؟
ويا عجبا لقبر ضمّ رَبّاً ... وأعجب منه بطنُ قد حَوَاهُ
أقام هناك تسعاً من شهورٍ ... لدى الظُّلمات من حَيْض غِذَاهُ
وشقَّ الفَرْج مولوداً صغيراً ... ضعيفاً، فاتحاً للثدى فَاهُ
ويأكلُ، ثم يشرب، ثم يأتي ... يلازم ذاك، هل هذا إله؟
تعالى الله عن إفك النَّصارى ... سيُسئل كُلّهم عَمَّا افتراهُ

أعُبَّاد الصَّليب ، لأي معنى … يعُظَّم أو يُقَبّح من رَمَاهُ ؟
وهل تقضى العقول بغير كسرٍ … وإحراقٍ له ، ولمن بَغَاهُ؟
إذا ركب الإله عليه كُرهاً … وقد شُدّت لتسميرٍ يَدَاهُ
فذاك المركب الملعون حَقّاً … فَدسة ، لا تبسه إذ تَرَاهُ
يُهان عليه رب الخَلق طُرًّا … وتعبده ؟ فإنك من عِدَاهُ
فإن عظَّمته من أجل أن قد … حوى ربّ العباد ، وقد علاهُ
وقد فقد الصليب ، فإن رأينا … له شكلاً تذكرنا سَنَاهُ
فهلاّ للقبور سجدت طُراً … لضم القبر ربُّك في حشاه؟
فيا عبد المسيح أَفقْ ، فهذا … بدايتهُ ، وهذا منتهاه

"فقد بان لكل ذي عقل أن الشيطان تلاعب بهذه الأمة الضالة كل التلاعب، ودعاهم فأجابوه، واستخفهم فأطاعوه

فتلاعب بهم في شأن المعبود سبحانه وتعالى.

وتلاعب بهم في أمر المسيح.

وتلاعب بهم في شأن الصليب وعبادته.

وتلاعب بهم في تصوير الصور في الكنائس وعبادتهم، فلا تجد كنسية من كنائسهم تخلو عن صورة مريم والمسيح، وجرجس، وبطرس، وغيرهم من القديسين عندهم، والشهداء، وأكثرهم يسجدون للصور، ويدعونها من دون الله تعالى.

حتى لقد كتب بطريق الإسكندرية إلى ملك الروم كتاباً يحتج فيه للسجود للصور: بأن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يصور في قبة الزمان صورة الساروس، وبأن سليمان ابن داود لما عمل الهيكل عمل صورة الساروس من ذهب، ونصبها داخل الهيكل.

ثم قال في كتابه: وإنما مثال هذا مثال الملك يكتب إلى بعض عماله كتاباً، فيأخذه العامل ويقبله ويضعه على عينيه، ويقوم له، لا تعظيماً للقرطاس والمداد، بل تعظيماً للملك، كذلك السجود للصور تعظيم لاسم ذلك المصور، لا للأصباغ والألوان.

وبهذا المثال بعينه عبدت الأصنام.

وما ذكره هذا المشرك عن موسى وسليمان عليهما السلام، لو صح، لم يكن فيه دليل على السجود للصور، وغايته: أني كون بمثابة ما يذكر عن داود: أنه نقش خطيئته في كفه كيلا ينساها، فأين هذا مما يفعله هؤلاء المشركون: من التذلل، والخضوع، والسجود بين يدي تلك الصور؟

وإنما المثال المطابق لما يفعله هؤلاء المشركون مثال خادم من خدام الملك دخل على رجل، فوثب الرجل من مجلسه، وسجد له، وعبده، وفعل به ما لا يصلح أن فعل إلا مع الملك، وكل عاقل يستجهله ويستحمقه في فعله، إذ قد فعل مع عبد الملك ما كان ينبغي له أن يخص به الملك دون عبيدة: من الإكرام، والخضوع، والتذلل.

ومعلوم أن هذا إلى مقت الملك له، وسقوطه من عينه، أقرب منه إلى إكرام له، ورفع منزلته.

كذلك حال من سجد لمخلوق، أو لصورة مخلوق، لأنه عمد إلى السجود الذي هو غاية ما يتوصل به العبد إلى رضا الرب، ولا يصلح إلا له، ففعله لصورة عبد من عبيده، وسوّى بين الله وبين عده في ذلك، وليس وراء هذا في القبح والظلم شيء.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]

وقد فطر الله سبحانه عبادة على استقباح معاملة عبيد الملك وخدمة بالتعظيم والإجلال، والخضوع، والذي الذي يعامل به الملك، فكيف حال من فعل ذلك باعداء الملك؟ فإن الشيطان عدو الله والمشرك إنما يشرك به، لا يولي الله ورسوله، بل رسول الله وأولياؤه بريئون ممن أشرك بهم، معادون لهم، أشد الناس مقتا لهم، فهم في نفس الأمر إنما أشركوا بأعداء الله، وسووا بينهم وبين الله في العادة والتعظيم، والسجود، والذل، ولهذا كان بطلان الشرك وقبحه معلوماً بالفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والعلم بقبحه أظهر منالعلم بقبح سائر القبائح

والمقصود: ذكر تلاعب الشيطان بهذه الأمة في أصول دينهم، وفروعه. كتلاعبه بهم في صيامهم، فإن أكثر صومهم لا أصل له في شرع المسيح، بل هو مختلق مبتدع.

فمن ذلك: أنهم زادوا جمعة في بدء الصوم الكبير، يصومونها لهرقل مخلص بيت المقدس.

وذلك أن الفرس لما ملكوا بيت المقـدس، وقتلـوا النـصاري، وهـدموا الكنـائس، أعانهم اليهود، على ذلك، وكانوا أكثر قتلا وفتكا في النصاري من الفرس.

فلما سار هرقل إليه استقبله اليهود بالهدايا، وسألوه أن يكتب لهم عهدا، ففعل.

فلما دخل بيت المقدس، شكا إليه من فيه من النصارى ما كان اليهود صنعوه بهم.

فقال لهم هرقل: وما تريدون مني؟ قالوا: تقتلهم.

قال: كيف أقتلهم، وقد كتبت لهم عهدا بالأمان، وأنتم تعلمون ما يجب على نـاقض العهد؟

فقـالوا لـه: إنك حين أعطيتهم الأمان لم تدر ما فعلـوا مـن قتـل النـصارى، وهـدم الكنائس، وقتلهم قربان الله تعالى، ونحن نتحمل عنك هـذا الـذنب، ونكفـره عنـك، ونسأل المسيح أن لا يؤاخذك به، ونجعل له جمعة كاملة في بدء الصوم، لصومها ، ونترك فيها أكل اللحم، ما دامت النصراينة، ونكتب به إلى جميع الآفاق، غفرانًا لما سألناك.

فأجـابهم، وقتل من اليهود حول بيت المقدس وجبـل الخليـل مـا لا يحـصى كثـرة. فصيروا أول جمعة من الصوم الذي يترك فيه الملكيـة أكـل اللحـم، يـصومونها لهرقـل الملك، غفراناً لنقضه العهد، وقتل اليهود، وكتبوا بذلك لى الآفاق.

وأهل بيت المقدس، وأهل مصر يصومونها، وبقية أهل الشام والروم يتركون أكـل اللحم فيها، ويصومون الأربعاء والجمعة.

وكذلك لما أرادوا نقل الصوم إلى فصل الربيع المعتدل، وتغيير شريعة المسيح، زادوا فيه عشرة أيام، عوضاً وكفارة، لنقلهم له.

ومـن ذلـك: تلاعبـه بهـم في أعيـادهم فكلهـا موضـوعة مختلقـة، محدثـة بـآرائهم واستحسانهم.

فمن ذلك: عيد ميكائيل.

وسـببه: أنه كان بالإسكندرية صنم، وكان جميع من بمصر والإسكندرية بعيدون له عيدا عظيما، ويذبحون له الذبائح، فولي بتركة الإسكندرية واحداً منهم فأراد أن يكسره، ويبطل الذبائح، فأمتنعوا عليه، فأحتال عليهم، وقال: إن هذا الصنم لا ينفع ولا يـصر فلو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملك الله تعالى: وجعلتم هذه الذبائح له كان يشفع لكـم

عند الله وكان خيراً لكم من هذا الصنم، فأجابوه إلى ذلك، فكسر الصنم، وصيره صلباناً، وسمى الكنيسة ميكائيل، وسماها قيسارية، ثم احترقت الكنيسة وخربت، وصيروا العيد والذبائح لميكائيل. فنقلهم من كفر إلى كفر، ومن شرك إلى شرك.

فكانوا في ذلك كمجوسي أسلم، فصار رافضياً، فدخل الناس عليه يهنئونة، فدخل عليه رجل وقل: إنك إنما انتقلت في زاوية من النار إلى زاوية أخرى.

ومن ذلك عيد الصليب، وهو مما اختلقوه وابتدعوه، فإن ظهور الصليب إنما كان بعد المسيح بزمن كثير.

وكان الذي أظهره – زوراً وكذباً – أخبرهم به بعض اليهود أن هذا هو الصليب الذي صلب عليه إلههم وربهم، فانظر غلى هذا السند، وهذا الخبر، فاتخذوا ذلك الوقت الذي ظهر فيه عيدًا، وسمّوه عيد الصليب، ولو أنهم فعلوا كما فعل أشباههم من الرافضة، حيث اتخذوا وقت قتل الحسين ﷺ مأتماً وحزنا لكان أقرب إلى العقول.

وكان من حديث الصليب: أنه لما صُلب المسيح – على زعمهم الكاذب – وقُتل ودُفن رفع من القبر إلى السماء، وكان التلاميذ كل يوم يصيرون إلى القبر إلى موضع الصلب ويصلون، فقالت اليهود: إن هذا الموضع لا يخفي، وسيكون له نبأ، وإذا رأي الناس القبر خاليا آمنوا به، فطرحوا عليه التراب والزبل، حتى صار مزبلة عظيمة، فلما كان في أيام قسطنطين الملك، جاءت زوجته إلى بيت المقدس تطلب الصليب، فجمعت من اليهود والسكان بيت المقدس وجبل الخليل مائة رجل، واختارت منهم عشرة، واختارت من العشرة ثلاثة، أسم أحدهم يهوذا، فسألتهم أن يدلوها على الموضع، فامتنعوا وقالوا: لا علم لنا بالموضع فطرحتهم في الحبس في جب لا ماء فيه فأقاموا سبعة أيام لا يطعمون، ولا يسقون

فقال يهوذا لصاحبيه: إن أباه عَرَّفه بالموضع الذي تطلب، صلاح الاثنان، فأخرجوهما، فخبراها بما قال يهوذا، فأمرت بضربه بالسياط، فأقر، وخرج إلى الموضع الذي فيه المقبرة، وكان مزبلة عظمة، فصلى ، وقال: اللهم إن كان في هذا الموضع، فأجعله أن يتزلزل ويخرج منه دخان فتزلزل الموضع، وخرج من دخان، فأمرت الملكة بكنس الموضع من التراب، فظهرت المقبرة وأصابوا ثلاثة صلبيان، فقالت الملكة: كيف

لنا أن نعلم صليب سيدنا المسيح؟ وكان بالقرب منهم عليل شديد العلة قد ايس منـه، فوضع الصليب الأول عليه، ثم الثاني، ثم الثالث، فقـام عنـد الثالـث، واسـتراح مـن علته، فعلمت أنه صليب المسيح، فجعلته في غلاف من ذهب، وحملته إلى قسطنطين.

وكان من ميلاد المسيح إلى ظهور هذا الصليب: ثلاثمائة وثمانية وعشرون سنة. هذا كله نقله سعيد بن بطريق النصراني في تاريخه.

والمقصود: أنهم ابتدعوا هذا العيد بنقل علمائهم بعد المسيح بهذه المادة.

وبعد، فسند هذه الحكاية من بين يهودي ونصراني، مع انقطاعها، وظهـور الكـذب فيها لمن له عقل من وجوه كثيرة.

ونكفي في كذبها وبيان أختلافها: أن ذلك الصليب الذي شفي العليل كان أولى أن لا يميت الإله الرب المحيي المميت.

ومنها: أنه إذا بقى تحت التراب خشب ثلمثائة وثمانية وعشرون سنة، فإنه ينخر ويبلى لدون هذه المدة.

فإن قال عُبَّاد الصليب: إنه لم مس جسم المسيح حصل له الثبات والقوة والبقاء.

وقيل لهم: فما بال الصليبيين الباقيين لم يتفتتا واشتبها به؟

فلعلهم يقولون: لما مسّت صليبه مسها البقاء والنبات.

وجَهْل القوم وحُمقهم أعظم من ذلك، والرَّب سبحانه لما تجلّي للجبل تدكدك الجبل، وساخ في الأرض، ولم يثبت لتجليه، فكيف تثبت الخشبة لركوبه عليها في تلك الحال؟. ولقد صدق القائل: إن هذه الأمة عار على بني آدم أن يكونوا منهم.

فإن كانت هذه الحكاية صحيحة، فما أقربها من حيل اليهود التـي تخلـصوا بهـا مـن الحبس والهلاك، وحيل بني آدم تصل إلى أكثر من ذلك بكثير، ولا سيما لما علم اليهود أن ملكة دين النصرانية قاصدة إلى بيت المقـدس، وأنهـا تعـاقبهم حتـى يـدلوها عـلى موضع القتل والصلب، وعلموا أنهم إن لم يفعلوا لم يتخلصوا من عقوبتها.

ومنها: أن عُبّاد الصليب يقولون: إن المسيح لما قتل غار دمه، ولو وقع منه قطرة عـلى الأرض ليبست ولم تنبت، فيا عبجا! كيف يحيى الميت، ويبرأ العليل بالخشبة التي شهر عليها وصلب، أهذا كله من بركتها وفرحها به، وهو مشدود عليها يبكي ويستغيث؟.

ولقد كان الأليق أن يتفتت الصليب ويضمحل لهيبة من صلب عليه وعظمته، ولخسفت الأرض بالحاضرين عند صلبه، والمتمالئين عليه، بل تنفطر السموات وتنشق الأرض، وتخر الجبال هذا.

ثم يقال لعُبّاد الصليب: لا يخلو أن يكون المصلوب الناسوت وحده، أو مع اللاهوت؟ فإن كان المصلوب هو الناسوت وحده، فقد فارقته الكلمة، وبطل اتحادها به، وكان المصلوب جسداً من الأجساد، ليس بإله، ولا فيه شيء من الإلهية والربوبية البتة .

وإن قلتم: إن الصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا، فقد اقررتم بصلب الإله وقتله وموته، وقدرة الخلق على أذاه، وهذا أبطل الباطل، وأمحل المحال، فبطل تعلقكم بالصليب من كل وجه عقلا وشرعًا.

وأما تلاعبه بهم في صلاتهم فمن وجوه

أحدها: صلاة كثير منهم بالنجاسة والجناية، والمسيح بريئ من هذه الصلاة، وسبحان الله أن يتقرب إليه بمثل هذه الصلاة، فقدره أعلى، وشأنه أجل من ذلك.

ومنها: صلاتهم إلى مشرق الشمس، وهم يعلمون أن المسيح لم يصل إلى المشرق أصلا، وإنما كان يصلي إلى قبلة بيت المقدس.

ومنها: تصليبهم على وجوههم عند الدخول من الصلاة، والمسيح بريئ من ذلك، فصلاة مفتاحها النجاسة، وتحريمها التصليب على الوجه، وقبلتها الشرق، وشعارها الشرك، كيف يخفي على العاقل أنها لا تأتي بها شريعة من الشرائع البتة؟

ولما علمت الرهبان، والمطارنة، والأساقفة: أن مثل هذا الدين تنفر عنه العقول أعظم نفرة، شدوه بالحيل والصور في الحيطان، بالذهب واللازورد والزنجفر وبالأزغل وبالأعياد المحدثة، ونحو ذلك مما يروج على السفهاء وضعفاء العقول والبصائر وساعدهم ما عليه اليهود من القسوة، والغلظة، والمكر والكذب والبهت، وما عليه كثير من المسلمين من الظلم والفواحش، والفجور، والبدعة والغلو في المخلوق، حتى يتخذه إلها من دون الله، واعتقاد كثير من الجهال أن هؤلاء من خواص المسلمين وصالحيهم، فتركب من هذا وأمثاله تمسك القوم بما هم فيه، ورؤيتهم أنه خير من كثير مما عليه المنتسبون إلى الإسلام من البدع والفجور والشرك، والفواحش.

ولهذا لما رأي النصاري الصحابة وما هم عليه آمن أكثرهم اختياراً وطوعاً، وقالوا: ما الذي صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء.

ولقد دعونا نحن وغيرنا كثيراً من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبروا أن المانع لهم ما يرون عليه المتنسبين إلى الإسلام، ممن يعظمهم الجهال: من البدع والظلم، والفجور، والمكر والاحتيال، ونسبة ذلك إلى الشرع ولمن جاء به، فساء ظنهم بالشرع وبمن جاء به.

فالله طليب قُطَّاع طريق الله، وحسبيهم.

فهذه إشارة يسيرة جدا إلى تلاعب الشيطان بعباد الصليب، تدل على ما بعدها، والله الهادي الموفق"

ثم قال عن اليهود:

في ذكرى تلاعبة بالأمة الغضبية وهم اليهود

قال الله تعالى في حقهم: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة:90]

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:60،63] . قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة:80] .

وقد أمرنا الله سبحانه أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون" (1)

فأول تلاعب الشيطان بهذه الأمة في حياة نبيها، وقرب العهد بإنجائهم من فرعون وإغراقه وإغراق قومه، فلما جاوزوا البحر رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم، فقالوا:

(1) صحيح – أخرجه الترمذي (2954) وغيره، وقد خرجته في القصص.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:138] فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

[الأعراف:138،139]

فأي جهل فوق هذا؟ والعهد قريب، وإهلاك المشركين أمامهم، بمرأي من عيونهم، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلها، فلبوا من مخلوق أن يجعل لهم إلها مخلوقا، وكيف يكون الأله مجعولا؟ فإن الإله هو الجاعل لكل ما سواه.

والمجعول مربوب مصنوع، فيستحيل أن يكون إلهاً.

وما أكثر الخلف لهؤلاء في اتخاذ إله مجعول، فكل من أتخذ إلها غير الله فقد أتخذ إلها مجعولاً.

وقد ثبت عن النبي ﷺ: "أنه كان في بعض غزواته، فمروا بشجرة يعلق عليها المشركون أسلحتهم وشاراتهم وثيابهم، يسمونها ذات أنواط، فقا لبعضهم: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: "**الله أكبر.. قلتم كما قال قوم موسى لموسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ **ثم قال: لتركبن سنن من كان قبلكم خذو القذة بالقذة**".

ثم قال – رحمه الله تعالى:-

ومن تلاعبه بهم

عبادتهم العجل من دون الله تعالى، وقد شاهدوا ما حل بالمشركين من العقوبة، والأخذة الرابية، ونبيهم حي لم يمت.

هذا، وقد شاهدوا صانعه يصنعه ويصوغه، ويصليه النار، ويدقة بالمطرقة، ويسطو عليه بالمبرد، ويقلبه بيديه ظهراً لبطن.

ومن عجيب أمرهم: أنهم لم يكتفوا بكونه إلههم، حتى جعلوه إله موسى، فنسبوا موسى عليه السلام إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى، بل عبادة أبلد الحيوانات، وأقلها دفعاً عن نفسه، بحيث يضرب به المثل في البلادة والذل، فجعلوه إله كليم الرحمن.

ثم لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا موسى عليه السلام ضالاً مخطئاً، فقالوا: ﴿فَنَسِيَ﴾ [طه:115] قال ابن عباس: "**أي ضل وأخطأ الطريق**".

وفي رواية عنه: **"أي أن موسى ذهب يطلب ربه فضل، ولم يعلم مكانة".**
وعنه أيضاً: **"نسى أن يذكر لكم أن هذا إله وإلهكم".**
وقال السدي: **"أي ترك موسى إله ههنا، وذهب يطلبه".**
وقال قتادة: **" أي أن موسى إنما يطلب هذا، ولكنه نسيه وخالفه في طريق ، آخر".**

هذا هو القول المشهور: أن قوله ﴿فَنَسِيَ﴾ من كلام السامري وعباد العجل معه. وعن ابن عباس رواية أخرى: **"أن هذا من إخبار الله تعالى عن السامري: أنه نسى، أي ترك ما كان عليه من الإيمان".**

والصحيح: القول الأول، والسياق يدل عليه، ولم يذكر البخاري في التفسير غيره، فقال يقولونه: **"أخطأ الرب".**

فإنه لما جعله إله موسى استحضر سؤالا من بني إسرائيل يوردونه عليه، فيقولون له: إذا كان هذا إله موسى، فلأي شيء ذهب عنه لموعد إلهه؟

فأجاب عن هذا السؤال قبل إيراده عليه بقوله ﴿فَنَسِيَ﴾ ..
"وهذا من أقبح تلاعب الشيطان بهم"(1).

(1) هذا مختصر مفيد من كتاب. ابن القيم المفيد – رحمه الله تعالى – **"إغاثة اللهفان"** وهو كتاب. جدير بالدراسة والتدريس ومن أراد المزيد من كيد الشيطان وتلاعبه بالإنسان وبالأمم السالفة، وبخاصة أمة النصارى واليهود فليراجع إلى أصل الكتاب وهو مطبوع كثيراً ومحقق من محققين كثيرين، وتحقيقاتهم تحتاج إلى تحقيق والله المستعان.

(24)
عبادة الشيطـــان

قال القرطبي – رحمه الله-:

" أصل العبادة التذلل والخضوع، وسُمّيت وظائف الشرع على المكلفين عابدات، لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى"

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

العبادة: " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"

قال ابن كثير – رحمه الله-:

وعبادته "هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور، وذلك هو حقيقة دين الإسلام، لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع"

قلت: إذا معنى عبادة الشيطان انتقال ما كان لله من كمال الذل والخضوع مع تمام الحب، والانقياد لأوامره، والاستسلام الكامل له سبحانه إلى هذا الملعون المطرود من رحمه الله تعالى.

فإن عبادة الشيطان تكمن في إتباع أوامرة واجتناب نهيه، والتذلل له، والاستسلام له، ثم السجود الذي يمثل حقيقة هذه العبادة العملية.

ولقد ذكر الله تعالى العبادة في كتابة في مائة وخمسة عشر موضعًا، مقسمة على عبادة الله تعالى وحدة لا شريك له، وعبادة ما سواه وتتمثل في عبادة الشيطان، والجن، والملائكة والأنبياء، والطواغيت، والأوثان.

والناظر إلى دعوة الرسل وأصل بعثتهم يجد أنهم يدعون أممهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك عبادة ما سواه.

فقال على لسان المسيح عليه السلام:

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:72] وقال تعالى على لسانه أيضاً ثم ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة:117].

وقال على لسان هود عليه السلام:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [هود:50]

وقال على لسان شعيب عليه السلام:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الأعراف:85]

وقال في حق نوح عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [المؤمنون:23]

وقال في حق إبراهيم عليه السلام:

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ﴾ [العنكبوت:16]

وقال في حق جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]

ولقد أمر الله تعالى نبيه وصفيه وحبيبه محمد ﷺ بالعبادة في آيات كثيرة، فقال:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزُّمَر:2]

وقال تعالى قارنا الشكر بالعبادة:

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزُّمَر:66]

وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ [هود:123]

فقرن التوكل على الله مع عبادته، ليبين أن الشكر تارة من العبادة وأن التوكل عليه أساس العبادة، والأمر كله، أوله وآخره، مبدأه ومنتهاه إليه ومعرفة ذلك أيضا من العبادة.

وقال تعالى موضحا أسباب العبادة :

﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:21]وأمر بالعبادة ونهى عن ضدها فقال تعالى :

﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ﴾ [النساء:36]

وقال تعالى آمراً عباده بالسجود الذي هو روح العبادة فقال: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩﴾ [النجم:62].

وقال طالبا من عبادة ابتغاء الرزق منه، وأن رزقه وسعته في حسن عبادته فقال:

﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:17]

وقال موضحا أن الصراط المستقيم في العبادة له والتقرب إليه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزُّخرُف:64].

وقال مبينا أسباب أنزال الكتب وإرسال الرسل فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر:2] .

وقال وهو يوضح أن الصلاة من العبادة وهي روحها: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه:14].

وأمر بالصبر على عبادته وطاعته فقال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم:65] .

وأمرنا أن نعبده ونستعين به أكثر من سبعة عشر مرة في اليوم فقال في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5] ولقد أمر الله تعالى رسوله بالعبادة فجاء على لسانه أنه قال ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ﴾ [الرعد:36] .

وقال تعالى: ﴿مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزُّمَر:14] وقال الله تعالى وهو يبين موقف النبي ﷺ من عبادة غير الله تعالى، وموقفه ضد المشركين عبدة الأوثان: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزُّمَر:64] ، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:1،2].

وقال تعالى موضحا لماذا خلق الله الانس والجن:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56] .

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيِّنة:5] .

وقال تعالى: ﴿مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة:31].

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعبده وينشغل بعبادته حتى الموت فقال تعالى:

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:99] أي: الموت. وبني صفات الرب المعبود فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡ ﴾ [يونس:104]

وقال تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [يس:22] أي: الذي خلقني.

ولقد أمر الله تعالى بعبادته بعد ما بين أن الحكم له وحده: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ﴾ [يوسف:40] .

وقضى ووصى وكتب وأمر بعبادته فقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:23] .

والعبادة هي الميثاق الذي أخذه الله على بين إسرائل وجميع الخلق فقال تعالى:

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [البقرة:83] .

والعبادة هي الكلمة العدل التي دعا إليها النبي ﷺ أهل الكتاب. فقال تعالى:

﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران:64] .

والعبادة هي كلمة أوصى بها إبراهيم عليه السلام نبيه فقال تعالى: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة:133] .

ولقد نهى الله تعالى نبيه ﷺ أن يعبد غيره، وما يدعوا إليه أهل الشرك والكفر، فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام:56] .

فصل: عبادة غير الله

قال تعالى مُبكّتاً من عبد غيره من الذين لا يملكون الضر والنفع، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورًا، ولا رزقا، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [المائدة:76] .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء:66،67]

وقوله ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تشمل كل مخلوق، سواء أكان من الجن ، أو الإنس، أو الملائكة، أو الشجر أو الحجر أو البقر..الخ.

وفي هذه الآيات يبين الله تعالى أن من يملك الضر والنفع، والرزق والحياة والبعث بعد الموت هو أولى بالعبادة، ولا يملك هذا كله إلا الله سبحانه القوي المتين.

وقال تعالى موضّحًا أن غيره لا يملك الرزق، فلماذا عُبد من دون الله؟

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ [العنكبوت:17]

وقال تعالى مبينا الذي يملك الوفاة هو أحق بالعبادة فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ [يونس:104]

وأما عن عبادة الأوثان والأصنام فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [العنكبوت:17] أي تصنعونها بأيديكم وتعلمون حقيقته، ثم تعبدونه من دون الله وتجعلون ما تعملون بأيديكم ألهة تطلبون منها النفع وتخافون منها الضر!

ثم إذا سألتهم لماذا عبدتم الأوثان؟ قالوا: كما أخبر الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزُمَر:3]

وقال تعالى عن إبراهيم وهو يدعو هذه الدعوة المباركة: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:35]

ولذلك تبرأ من عبادتهم فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:4]

وقال تعالى في حق الطواغيت، والطاغوت الشيطان وغيره فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ [الزُّمَر:17]

وأما عن عبادة الملائكة فقال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ:40] على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صور الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى فيقول للملائكة ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾؟، أي: أنتهم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟ كما قال ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان:17] وهكذا تقول الملائكة: (**سبحانك**) أي: تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ:41] أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبأ:41] يعنون: الشيطاطين، لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم) (6/ 547).

وأما عن عبادة الشيطان فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم:44]

وقال تعالى:

﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:60]

وقال تعالى:

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:41]

فالآية الأولى تدل على أن عبادة الشيطان قديمة جدا وكانت معروفة قبل بعثة إبراهيم عليه السلام.

بل هي قبل بعثة نوح عليه السلام وهي من أسباب بعثة نوح عليه السلام، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم كما في صحيح مسلم (2865) عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: "**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلالاً، وإني خلقت عبادي حنفاء، كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً** "الحديث"

وظل الناس أمة واحدة على التوحيد الخالص حتى وقع فيهم الشرك وأخرج ابن جرير (4/ 275) والحاكم (2/ 546) والبيهقي في "الأسماء (440) من طريق همام بن يحيى عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

"كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق – في رواية: "كلهم على الإسلام" فاختلفوا فعبث الله النبيين مبشرين ومنذرين"

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"

ووافقه الذهبي.

وكانت بداية الإنحراف ، الغلو في الصالحين كما قال تعالى حاكياً عن قوم نوح عليه السلام ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:23].

أخرج البخاري (4920) **من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس** رضي الله عنهما:

"**صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير، لآل ذي القلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم عُبدت**"

ومن هنا بدأ الشرك، ومعه بدأت عبادة الشيطان. فعبادة الشيطان لها جذور ممتدة على طول الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأي عبادة من دون الله سببها الشيطان المريد، فمن عبد الملائكة أو الأنبياء أو من دونهم من البشر، وكذلك من عبد الحيوانات مثل الخيل، والبقر، ومن الجمادات مثل الشجر والحجر، كلها سببها الشيطان، فما من شيء عُبد من دون الله إلا وأصله الشيطان هو الذي أرشد وزيّن وأغوى البشر لعبادته.

ومع وجود هذا الكم الكبير من الآلهة التي تعُبد في الأرض، إلا أن هناك طوائف كبيرة من البشر وقطيع كبير من المخابيل عبدوا الشيطان، وجعلوا منه الألة الأعظم الذي ينبغي أن يُبعد، ويُتقرب إليه، ويُسجد له!!

وهذا الطائفة التي عبدت إبليس قديمة، وجعلت له هيكلاً، ومعابداً، واخترعوا شرائع، وابتدعوا شعائر، وسنوا عبادات، يتقربون بها إلى إبليس الحقير. ولنبدأ رحلة عبادة الشيطان التي طافت بلاد العالم من المشرق إلى المغرب والعكس حتى انتقلت مؤخراً لمصر في معقل المترفين حيث جعلوا لهم موطناً في مصر، وبدؤا ينشرون سمومهم في البلاد، وبين البسطاء والسُّذج من المترفين، ونشرت الجرائد والمجلات عن هذه الشبكة الإبليسية في عام 1997م، وهذه العبادة انتقلت عبر المسرحيات الغربية، والأفلام الأجنبية إلى بلادنا، وسمت نفسها **"بعبدة الشيطان"** وهذه فرقة قديمة جداً وهي تسمى بـ (**اليزيدية**) أو **"عبدة الشيطان"**

وموطن هذه الفرقة:

اليزيدية طائفة ينتمى معظمها إلى الجنس الكردي، ويقطن أتباعها في بعض نواحي الشرق الأدني وخاصة في المناطق التالية:

- قضاء الشيخان في الشمال الشرقي من الموصل، وفيه مراكزهم الدينية **"كباعدري"** قاعدة أميرهم، وقبر الشيخ عدي وهو أهم مقاماتهم الدينية.
- قضاء سنجار الواقع في الشمال الغربي من العراق على الحدود بينه وبين سوريا، وهي منطقة جبلية منيعة ومعقل حصين، كانوا يعتصمون به في أيام الاضطهاد.
- ديار بكر، وماردين، وجبل الطور.
- منطقة حلب حول كلس وعينتاب.

- البلاد الأرمنية الواقعة على الحدود بين تركيا وروسيا وخاصة في منطقتي قرص وايراوان، وحول تفليس من بلاد القوقاز.

- ويوجد بعض اليزيدية – عبدة الشيطان – في إيران.

فإذا نظرت إلى هذه الخريطة التي ترسم تواجد فيها هذه العبادة تجد أن مصدرها إما الشمال الشرقي للعراق، وهي أرض الفتن ومصدر معظم الفرق النارية التي انشقت عن مذهب أهل السنة والجماعة.

أو أن مصدرها بلاد فارس وفيها يُعبد غير الله في أكثر مواطنها، وفيها مصدر عبادة النار، فالأرض التي أنبتت فيها عبادة النار، لا مانع أن يخرج منها عبادة الشيطان، وإن كنت لا أشك في أن عبادة الشيطان تسبق في التواجد عبادة النار.

وهذه الطائفة "عبدة الشيطان، أو **"اليزيدية"** لم يعطي لها المؤرخون، والذين ألفوا في الفرق كبير اهتمام، وهي فرقة تتسم بالتكتم الشديد، والتخفي عند إقامة الشعائر الدينية أو عدم إطلاع الغير عليها، أو إعلامه بها، والتظاهر بغير المعتقد الأصلي، مثلهم في ذلك مثل الشيعة في استخدامهم **"التقية"** فإذا ما خالطوا الناس جاروهم في أمورهم السائدة، لا سيما أهل السُّنة منهم. [1]

وهذا هو شأن الفرق الباطنية في كل زمان ومكان. [2]

قالت الدكتورة أمنة: هذه العبادة في العقيدة اليزيدية **"عبدة الشيطان"** والتي سُطرت في كُتبهم المقدسة!! لديهم مليئة بالاضطراب والركاكة مما جعل انتشارها في عصر تواجدهم أمراً غير وارد.

وقالت: العزلة التي فرضها **"اليزيدية"** على أنفسهم وانعزالهم في المناطق النائية، مع وجود العقبات الطبيعية والأدبية التي تعترض الطريق إليهم.

أقول: إن من أسباب عدم انتشارها، الفطرة القويمة التي فطر الناس عليها، خاصة عند المسلمين من أهل السُّنة، لأن هذه العبادة ينكرها العقل والحس قبل الشرع والدين.

---

(1) راجع رسالة العبادة الشيطانية د/ أمنة محمد نصر.

(2) هكذا قال عبد الرزاق الحسني في عبدة الشيطان في العراق.

ولأن شعائر هذه الفرقة المنحرفة مخالفة للعقل والنقل والحس والفطرة فلم تلق رواجاً إلا عند غير المسلمين، حتى لو كانوا أميين.

ولأن هذه الفرقة أنشأت بين فرق كبيرة منحرفة، وكان لكل فرقة من هذه الفرق أتباع، ومريدين، غير أن الأله المعبود عندهم تستنفر منه الطباع، وتقشعر منه الأبدان، وهو ملعون على الألسن بالفطرة فهذا كله مما عاق هذه العبادة من الانتشار، وما انتشرت إلا عند اللادنيين فقط، والله أعلم.

قالت الدكتورة: والعامل الهام في عدم شيوع هذه العبادة المنحرفة والتي يتخفى بها أصحابها، وتمارس في الظلام والعزلة، لقصورها ونفور الفطرة البشرية السوية لها. مثل هذه العبادة رغم تزيين الشيطان لها ولمرتكبيها في الماضي والحاضر، إلا أن الانحسار وعدم الشيوع أو النماء لها سمة واضحة لدى السواد الأعظم من البشر"

أقول: إن سبب انتشارها في القرون المتأخرة بين المترفين من البشر، الخواء الديني الموجود عند الأغنياء، والفراغ الكبير الذي يسيطر على هذه الفئة من الناس.

ومن أسباب انتشاره أيضاً، الانحلال الخلقي، والتسيب الواضح لديهم، خاصة أنهم يقيمون طقوسهم في الظلام، وفيه يقع الاختلاط الفاحش بين الفتيات والفتيات، لأن معظم أتباع هذه العبادة الإبليسية من الشباب والشابات، فمع الفراغ الديني وحب الجنس المسيطر على الشباب، يجد الشباب بغيته، فربما كان حبهم للعبادة هذه من هذا الأمر، أي: الغريزة الجنسية – لأنهم وجدوا دين يبيح لهم المحرمات، ويحُل لهم المخدرات!!

فلو أن أتباع هذه العبادة، نزلوا قرية من قرى مصر، وليس فهم قارئ ولا كاتب، لرجموهم بالحجارة، ولدفنوهم أحياء، غيرة منهم على دينهم وفطرتهم.

ومنشأ هذه الفرقة كما قال ابن الجوزي في **"التلبيس"** (ص 28) بتحقيقي **"من الخوارج الإباضية ينسبون إلى يزيد بن أنيسة"** وقال" وقالوا: إن ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات، فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلق غيره: برهم، وفاجرهم" قلت: هذا المعتقد الذي ذكره ابن الجوزي عن **"الزيدية "**اتباع زيد بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، كما في مقالات الأشعري (1/ 140) والفرق للبغدادي (ص 22).

وقال في "الملل والنحل" (188/4)**: "أنهم أتباع يزيد بن أنيسة"** لكن قال الأستاذ أحمد تيمور في كتاب **"اليزيدية ومنشأ غلتهم"** (ص 28): **"والذي ظهر لنا بعد التحقيق أنه لا علاقة بين يزيدية اليوم، وتلك الفرقة أتباع ابن أنيسة، وأن أتباع ابن أنيسة قد لحقوا بغيرهم من الفرق التي بادت، وبادت معها أراؤها".**

قالت الدكتورة: "ونحن نميل إلى رأي الأستاذ تيمور لأن منطق الأمور من التي طرحت للبحث في عقيدة اليزيدية، والمعروف عن عقائد الخوارج الأباضية لا يمكن أن يلتقيا، أو ينتميا على أصل واحد، وإلى نفس الرأي يذهب صديق الدحلوجي في كتابه " اليزيدية ومنشأغلتهم (ص 28): **"ونسبة اليزيدية إلى يزيد بن أنيسة غلط فاضح، إذ أن مبدأه الذي عُرف به لا ينطبق وهذه الديانة – يزيدية العراق – التي تقول بالحلول، والتناسخ، وعبادة الشمس وتدعوا إلى الإباحية، أما الخوارج فيجتهدون، ولا يعرفون من هذه الاعتقادات شيئاً ولم يرو لنا التاريخ أن ابن أنيسة كان له اتباع يعملون بمبدئه"** [1]

"وجاء في الموسوعة الميسرة (ص 555) أن تعداده "اليزيدية" يزيد عن مائة وعشرين ألف نسمة، منهم حوالي سبعون ألفا في العراق وحدها والباقي موزع في الأقطار الأخرى التي أشرنا إليها في بداية الحديث" [2]

وكان أشهر نعت لليزيدية في التاريخ **"عبدة الشيطان"** أو **"عبدة إبليس "**أو**" عبدة الطاووس"** الذي يرمزون به إلى الشيطان**!!** أما أهم كتبهم المقدسة: مصحف ورش – أي الكتاب الأسود وفيه قصة خلق العالم، وعقائد اليزيدية، وما حلل وما حرم عليهم. تقول اليزيدية بسبعة آلهة أولهم وأعظمهم على الإطلاق هو **"الشيطان"** أو **"طاووس ملك"** يعني الشيطان. وأباح لهم أي: عبدة الشيطان – شيوخهم كل عمل يلقى هوى في نفوسهم ووضع عنهم التكاليف الدينية، ويعتقدون بالرجعة والحلول، وأن شيطنهم الأكبر – عدى بين مسافر الأموي. سيرجع إليهم على فترات متتابعة ويظهر بينهم، ويحل فيهم، وأنه سيحملهم يوم القيامة في طبق على رأسه ويدخل بهم الجنة، دون ما حساب أو عقاب**!!"**

(1) من كتاب العبادة الشيطانية (ص 46).

(2) من كتاب العبادة الشيطانية (ص 46).

وقال الأستاذ عبد الرزاق الحسن في "عبادة الشيطان" (ص 41- 42): "العيادة التي يتقرب بها اليزيدية إلى هذا الملاك!! تختلف عن العبادة التي يتقربون بها إلى الله، فعبادتهم للشيطان عبادة تضرع وتعطف وخشية، بخلاف عبادة الله، فإن عبادتهم له عبادة شكر وإمتنان.. أما عبادة الشيطان لأحبابه أو إخلاصاً له، بل خشية منه، وحذراً من غضبة وصورته وقد بلغ الخوف باليزيدية من الشيطان إلى درجة أنهم تركوا عبادة الله، مبرئين أنفسهم من الخطايا في ذلك، لأن الله لأحد لصلاحه وجوده، ومحبته للخلائق، لا يفعل بهم شيئاً لأنه صالح.

أما الشيطان، فهو منقاد طبعاً إلى عمل الشر، لأنه مصدر الشر ومبدؤه.

وعليه – فالحكمة تقتضى على من يريد السعادة أن يهمل – حسب رأيهم – عبادة الله ويطلب ولاء الشيطان" "ومن هنا فقد حكم المشرع للمذهب اليزيدي بتحريم التلفظ بلفظ شيطان، أو إبليس، أو اللعن، أو كل لفظ اشتق من حروف ومعاني هذه الكلمات، وكذلك كل لفظ قريب الشبه، لفظاً أو معنى من هذه الكلمات!!

وبناءً على هذا عكفوا على كتاب الله – عز وجل – يطمسون بالشمع كل كلمة فيها لعن، أو لعنة، أو شيطان، أو استعاذة أو مشتقات هذه الأسماء، ومدلولاتها، لفظاً كان أو معنى زاعمين أن ذلك لم يكن موجوداً في أصل القرآن، وأن ذلك زيادة من صنع المسلمين" [1]

وبعد وفاة الشيخ – عدي- شيخ طريقتهم، وجامع شملهم، بدأ الزيدية ينحرفون شيئاً فشيئاً حتى صاروا من غلاة الصوفية وما زالوا يتمادون في الغي حتى باينوا جميع الفرق الإسلامية، وخرجوا من الإسلام جملة..."[2]

"ومما لا شك فيه أن جذور الشطح الصوفي ترك سعة من الفكر والجرأة لهذه الطائفة أن تذهب إلى ما ذهبت إليه، فقد روى عن الحسين بن منصور الحلاج[3] وأنه

(1) مصحف ورش: ص 6. عبدة الشيطان (ص 42) والعبادة الشيطانية (ص 61)

(2) العبادة الشيطانية (ص 62)

(3) جده مجوسياً، وكان له شطحات كفرية أدت إلى الحكم بقتله فقتل وصلب بإجماع الفقهاء – راجع البداية (14/ 830) وتاريخ بغداد (8/ 112) وسير أعلام النبلاء (14/ 313) ولسان الميزان (2/ 314)

قال:- "لما قيل لإبليس أسجد لآدم. خاطب الحق قائلاً: أرفع شرف ا لسجود عن سرى الهالك حتى أسجد له، إن كنت أمرتني بهذا فقد نهيتني.

فقال الحق تعالى: فإني أعذبك عذاب الأبد.

فقال إبليس: أو لست تراني في عذابك لي؟

قال الحق تعالى: بلى

فقال إبليس: فرؤيتك لي تحملني على رؤية العذاب، أفعل ما شئت.

فقال الحق تعالى: إني أجعلك رجيماً.

قال إبليس: أو لست لك بحامد؟ أفعل بي ما شئت.

قلت: هذا الحوار استوحي منه الكاتب الفاسق توفيق الحكيم، وهو ليس كذلك روايته المعروفة "مظلوم" التي تحكي عن توبة الشيطان وأنه ذهب إلى شيخ الأزهر لكي يتوب، فأرشده إلى الله تعالى ثم ذهب إلى الله تعالى لكي يتوب، فقال له الله: أذهب إلى آدم فاسجد له، فقال الملعون: لم أسجد له حياً حتى أسجد له ميتاً، فطرده الله مرة ثانية من رحمته، فأخذ يردد – أي الشيطان في السماء – مظلوم، مظلوم، مظلوم، فتجاوبت معه السموات والأرض مظلوم!!! هذه هي الرواية التي أوحاها الشيطان إلى وليه، وكاتم سره توفيق – وهو ليس بتوفيق ولا حكيم !! "ويسير بعض الصوفية في تمجيد عصيان إبليس ورفضه للامتثال لأمر الله، ويبدون كل الإعجاب بهذا الصنيع ويظهر تلبيس إبليس عليهم في تحريف العصيان الإبليسي إلى درجة من التوحيد الفريد!!.

فروى عن أحمد الغزالي أخو حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الصوفي الغالي أنه تحدث عن إبليس في خطبة علنية ذكر فيها "أن أبليس سيدّ الموحدين، وأنه من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق، أمر أن يسجد لغير الله فأبي" **وقال الحلاج: أن إبليس قد أقسم بالله عز وجل فقال: وحقه ما أخطأت في التدبير، ولا رددت التقدير، ولا باليت بتغيير التصوير، على هذه المقادير تقدير، إن عذبني بناره أبد الأبد ما سجدت لأحد، ولا أذل لشخص وجسد، ولا أعرف جنداً ولا ولدا دعواي، دعوى الصادقين، وأنا في الحب من الصادقين"** (1)

(1) اليزيدية للدحلوجي (ص 155) والعبادة الشيطانية (ص 62- 63)

وكان الحلاج المرجوم يمجد إبليس تمجيده لربه وأشد، وكان هذا التمجيد له كبير الأثر في إظهار هذه العبادة الإبليسية واشتهارها، وأن يكون لها أتباع ومهاويس لكن هذا المذهب وهذه الفرقة انقرضت بعد ذلك وعادت في ثوب جديد مع مطلع القرن الماضي، وانتشرت عبر الثقافة الغربية والمسرحيات الأجنبية، فقد جاء في رواية كتبها المسرحي الإنجليزي "**كريستوفر فاوست مارلو** "باسم" **الدكتور فاوست** "وبطلها هذا الدكتور الذي باع روحه للشيطان أن يُصبح خادماً يلبي رغباته ويمنحه ما يطلب من لذة وقوة وسلطان" (1)

وما روى في روايات الغرب وثقافته عن شيطان "**دانتي**" وهو الشاعر الإيطالي المعروف، وهو الشرير رغم أنفه. وشيطان "**ملتون**" وهو الشرير باختياره ثقافة أضرت بشبابهم ولم تنفعهم، والشاهد الحي يؤكد على ذلك" **وتمت هذه الظاهرة في الغرب وبخاصة دول أمريكا، ولسهولة المواصلات الأرضية والجوية، ووسائل الاتصال التي فاقت لمح البصر، ووسائل التكنولوجيا الحديثة من شرائط كاست وشرائط فيديو، وسينما ومسرح وأطباق لاقطة من جميع القنوات التي تبث الغث والثمين، انتشرت هذه الظاهرة لجميع أنحاء العالم**" (2)

وقبل أن نتحدث عن انتقال هذه الظاهرة إلى مصر نترك للدكتور أمنة نصير وهي تتحدث عن التسلسل الموجز لتاريخ هذه العبادة في العالم الغربي وأهم طقوسها والأماكن التي توجد فيها:

*** أنطون شراندور لافي:**

هو مؤسس كنيسة الشيطان بمدينة "**سان فرانسيسكو**" بولاية كاليفورنيا على الساحل الغربي للولايات المتحدة في إبريل سنة 1966م، ولهذه الكنيسة فروع في عدة ولايات أمريكية ودول أوربية خاصة: بريطانيا، تنزانيا، جنوب أفريقيا، ومبشرون جوالون في مختلف أنحاء العالم.

و "**لافي**" هذا كاهن ولد سنة 1930م بمدينة ولبرحتسجت بولاية أوكلاند الأمريكية

(1) من هامش العبادة السيطانية (ص 71)

(2) ملخص من الكتاب السابعة (ص 72).

استفاد أنطون لافي من خبراته كمروض للأسود في سن السادسة عشرة، ثم عاملاً بملهى ليلي ثم ممارسة السحر والشعوذة في أحد محلات العرّفين ثم التحاقة بإحدى الكليات لدراسة علم الجريمة، ثم مصوراً في إدارة الشرطة بمدينة سان فرانسيكو.

عرف بالطموح الشديد مع واقعة من قسوة الحياة التي مر بها، فأسس كنيسة عبدة الشيطان التي تعتبر أخطر كنيسة في العالم إذ يقدر عدد المنتمين إليها بحوالي خمسين ألف عضو من الشباب والفتيات.

كتب "**أنطون لافي**" والكتاب المقدس لكنيسة عبدة الشيطان المعروف بالإنجيل الأسود" ونشر عام 1969م وتمت طباعته عدة طبعات بأكثر من لغة. ثم ألحقه بكتاب عن أسرار ممارسة الشعوذة والسحر والعرافة عام 1970م، ثم أصدر كتابة الثالث بعنوان "**التعذيب من أجل الشيطان**" عام 1972م ثم توالت سلسلة إصدارات، كتبها أتباع الكنيسة في المراكز الأساسية أو من خلال جماعة نصرانية حملت أسم "**الايفانجيليين**".

ويعتبر الإنجيل الأسود هو ميثاق الكنيسة والعهد الذي يقسم عليه الأعضاء ويلتزمون به ككتاب مقدس، من خلال تنظيم شبكي دولي يمنع أي اتصال أو تعاون بين كنيسة وأخرى حفاظاً على سرية التعليمات التي تصدر بكل كنيسة محاطة بحزام قوى من الغموض التام.

وقد مرت هذه الكنيسة وأتباعها بمراحل بعد أن انشق عنها في عام 1975م مجموعة من أتباع "**لافي**" لاختلافهم معه في شكل تصميم هيكل الكنيسة ومذبحها وطقوسها، وتزعم هذا الانشقاق رجل يدعي "**ميشيل أكينو**"، وأعلن تطوير طقوس كنيسة عبادة الشيطان التي يمثل وضعها القائم نوعا من أنواع الإلوهية البدائية للشيطان وأتخذ من الآلهة الفرعونية مثالا يحتذى به – على حد تعبيرهم فقد تأسست بعيدة عن قوى الطبيعة، وتخيل أن الشيطان القديم كان على شكل إنسان له رأس حيوان، ربما يكون "**الضبع**" ثم نسخ بواسطة الكهنة حتى أصبح أسمه هاديت (Hadit) ثم أصبح "**شيطان**" (Shaitan) ثم أصبح ستان (Satan) كما هو في المسيحية الآن واستمرت الانشقاقات في داخل كنائس الشيطان مدارس العقائد والطقوس

شاع منها طقس جديد، عرف باسم طقس جماعة "**ميشيل الشيطانية**" أو جماعة "**التحمل الديني**" ويقصد بالتحمل التعذيب الذي يلاقيه العضو أو العضوة أثناء الممارسة والتلذذ به.

وبقدر هذا التلذذ وهذا التحمل تعلو مرتبة العضو. وأصدر مؤسس هذه الحركة"**ميشيل**" إنجيلا شيطانيا لشرح أسلوب التلذذ بالإيذاء الجنسي والبدني الذي تمارسه الجماعة فيما بينها.

وهناك الكنيسة التي أسسها د. لورانس" والتي تستقى معلوماتها من العقائد الإفريقية البدائية.

وتستمر هذه الكنائس في أطوار شاذة من شخص إلى آخر يكون أكثر منه افتتانا في سلم الفجور، ففي عدد أكتوبر عام 1982م من مجلة "تايم الأمريكية[1]. أفردت المجلة موضوعا بعنوان "**دعوة الشيطان المقدس إلى الولايات المتحدة الأمريكية**".

ذكرت العلاقة الوثيقة بين عبادة الشيطان، وممارسة السحر الأسود الذي يقوم به ملايين من الشعب الأمريكي خاصة بين الشباب من الجنسين، ثم ذكرت جانبا من الطقوس التي يقوم بها عبدة الشيطان، وتتم في أجواء خاصة في احتفالات أسبوعية دورية، تبدأ بالرقص العاري، مع الموسيقى الصاخبة، ثم يعلن بعدها البدء في ممارسة الجنس المقدس بصورة جماعية مع استمرار الموسيقى الصاخبة والأضواء المتحركة، إلى أن يصل الجميع إلى حالة من الهستيريا، ترتكب خلالها بعض الجرائم الشاذة والغامضة.

وتواصل المجلة في الحديث عن هذه الممارسات التي تنتشر بشدة في مدينة "**أوكلاند" بولاية كاليفورنيا**" وأن هناك ما يتراوح ما بين (75) و (100) شخص يجتمعون في ولاية "**شيكاغو**" أسبوعيا في منزل يطلق عليه "**معبد الشيطان المعظم**" وفي "**ألمانيا**" فإن هناك أكثر من مليون شاب وفتاة يمارسون عبادة الشيطان، ويتعاطون العلوم السرية لممارسة طقوس هذه العقيدة الجنسية الشاذة.

وفي "**كندا**" تعرف هذه العبادة طريقها، فهناك جماعة "**أكسياهوس**" لعبادة الشياطين، وقد قامت السلطات بحصر 235 شخصا كنديا يمارسون عبادة الشيطان.

---

(1) عبادة الشيطان للسيد محروس (ص 855)

وقالت: إنه ربما يكون العدد الحقيقي أكثر من ذلك بكثير.

ولا تنتهي الانقسامات والخلافات الداخلية لأعضاء هذه الكنائس وغالبا ما تنتهي في معظم الأحيان بجرائم قتل بشعة وفي **"لوس أنجلوس بالولايات المتحدة"**. تحدث الإعلام عن رجل أمريكي أسمه **"أنطون شاندر"** قام ببناء كنيسة للشيطان يتبعها الآن أربعون ألف فتى، وفتاة، تمارس فيها جميع أنواع السحر والشعوذة، وهدفها الأساسي، العمل ضد الكاثوليكية، وتقدم فيها التضحية بقرابين حيوانية، وتمارس فيها أحط أشكال الجنس القذرة، ولها كتاب خاص يحمل جميع تعاليمها.

وقد كان المجرم الشهير (**شارلز مانسون**) الذي أغتال الممثلة الأمريكية **"شارون تيت"** ينتمي إلى هذه الكنيسة، والغريب فعلا أن **"أنطون ساندر"** مؤسس الكنيسة، والغريب فعلا أن **"أنطون ساندر"** مؤسس الكنيسة كان المستشار الفني ــ **"رومان بولانسكي"** زوج هذه الممثلة القتيلة **"شارون تيت"** أثناء تصويره الفيلم الشهير: **"طفل روز ماري"** والذي كان يحكي قصة امرأة تلد ابن الشيطان، كما قام **"شاندر"** أيضا بتجسيد دور الشيطان في الفيلم.

وفي ألمانيا: تتزايد هذه الجماعة بصورة أصبحت ظاهرة مقلقة حيث تتبع هذه الجماعة نفس تعاليم كنيسة الشيطان من نبش القبور وتدنيس الكنائس.. الخ

وفي جنوب أفريقيا: عام 1990 قتل أكثر من 12 شخصا كقربان للشيطان، وقد أصدر رئيس وحدة أجرام ما وراء الطبيعة بشرطة جنوب أفريقيا كتابا في عام 1992م: بعنوان **"كشف عبادة الشيطان"** ذكر فيه أن **"جنوب أفريقيا تعاني من مشاكل المخدرات والإيدز والعودة الثورية للشيطان "**.

ويرجع كثير من المفكرين والمهتمين بهذه الدراسة إلى أن كثيرا من الطقوس لهذه العبادة أصلها من أفريقيا.

وعرفت هذه العبادة طريقها إلى الجيش فعن نشرة صادرة عن قسم (U.S) داخل الجيش عرضت في كتاب ديني صدر عام 1978م حول هذا الموضوع، وذكر الكتاب

أن هناك ما بين 10 إلى 20 ألف فرد من أفراد الجيش هم أعضاء بالكنيسة الشيطانية، وأن البيانات الحقيقية صعب تقديرها، لأن عددا كبيراً من الأعضاء يحرصون على سرية ممارسة هذه الطقوس.

وفي مقاطعة "**ثيومين**" في سيبريا سجلت عشرات الطوائف، ويمارس دعاتها الدعاية لأفكارهم دون حسيب أو رقيب حيث لا يوجد في روسيا قانون يحظر مثل هذه الدعوات، ويتحدث الناس عن وجود طائفة سرية من عباد الشيطان تمارس طقوسها في الخفاء بين الغابات، ويبحثون عن ضحاياهم بين الشباب عادة ممن يسهل التأثير عليهم نفسيا.

وتجتاح روسيا الآن حالة من القلق الاقتصادي الذي أعقبه الاضطراب النفسي، مع الخواء العقدي مما جعلهم لقمة سائغة لمثل هذه العبادة والاعتقاد السريع في السحر والمشعوذين وذوي القدرات الخارقة المزعومة كما في "**لوس أنجلوس**" بالولايات المتحدة الأمريكية.

فصل : إسرائيل وعبادة الشيطان

عبادة الشيطان في إسرائيل مسألة تشكل كثيرًا من الاهتمام في وسائل الإعلام ، لأنها قصة متواصلة الفصول.

فحوادث جماعات عبادة الشيطان الأسبوعية لا تنقطع عن النشر والإعلان عنها في وسائلهم المختلفة، وآخر هذه الأخبار ما ورد في **"يديعو"** في مانشت عريض **"جماعة عبادة الشيطان"** تنتهك قبر جندي إسرائيلي اسمه **"نيف أموينيل"** لإخراج عظام جثته من القبر لاستخدامها في طقوس الطائفة.

وقد نشرت عدد في الصحف[1] متابعة تعداد هذه الطائفة وأهم طقوسها والذعر الذي أصبحت تشيعه في مناطق كثيرة في إسرائيل وهذا موجز لها ليتبين شراسة هذه الجماعة وخطورة غض الطرف عنها في أي مكان: يبلغ أعداد هذه الطائفة طبقا لإحصائية الكمبيوتر 4500 شخص، وتنتشر الآن كنائسها في جميع أنحاء فلسطين، وأشهرها على الإطلاق كنيسة **"تل أبيب"** وكنيسة **"نتانيا"** التي تبعد عنها حوالي 60 كيلو متر.

ومن أهم سمات هذه الكنائس التضحية بالأعضاء الضعفاء في الكنيسة، بقتلهم، وشرب دمائهم، واستخدامها في الطقوس الخاصة بتعميد الأعضاء، ومن أكثر الأماكن رعبا شاطئ بحر **"نتانيا"**، بعدها انتشر الفزع بين سكان المدينة وامتنعوا من الاقتراب ليلا من منطقة الشاطئ.

كما أمتدت ظاهرة التضحية بالأعضاء إلى الفتيات العضوات بالكنيسة إذ يتم أولا اغتصابهن اغتصابا جماعيا، ثم يطلق سراحهن أو يقتلن أو يؤسرن، حتى يظهر حملهن، وبعد أن تتم عملية الولادة، يقومون بأخذ المولود ثم ذبحة كأضحية في **"طقس الهلاكية"** حسب الحالة الدينية في يوم تنفيذ الجريمة البشعة، ولا يجوز استخدام المرأة

---

(1) نذكر منها مجلة روز اليوسف في عددها 2/ 2/ 97، وتعتبر هذه المجلة إنها كانت أسبق من أشار إلى هذه الجماعة في مصر ونبه عليها، ورغم التحفظات التي أبدتها بعد ذلك في أسلوب ومنهج التعامل مع هؤلاء الشباب.

نفسها مرة أخرى في هذه الطقوس المقدسة. ولنا وقفة عند القرابين البشرية، والذبائح التلمودية عند اليهود فهم المؤسسون الحقيقيون لهذا الجرم الشنيع.

فإذا كانت الآن إسرائيل وصحفها فزعة من طقوس عبادة الشيطان، فهم الذين أجازوها ومارسوها في كل عصر، وسوف أشير على وجه السرعة على بعض هذه الجرائم التي ارتكبوها من أجل استخدام دماء الضحايا البشرية للطقوس الدينية لديهم، وهناك العديد من النصوص التي تحرم على بني إسرايل وتحذرهم من أن يسلكوا مسلك الوثنين ورغم هذا لا يقومون بممارسة طقوسهم الوثنية التي من أشنعها حرق أبنائهم وبناتهم في النار قربانا لآلهتهم الوثنية: [1] **"لا تعمل هذا للرب إلهك لأنهم قد عملوا لألهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهة إذ أحرموا حتى بنيهم وبنائتهم بالنار لآلهتهم. كل الكلام الذي أوصيكم به احرصوا لتعملوه، ولا تزد عليه ولا تنقص منه"**.

وجاء أيضا في هذا السفر تحذير أخر لليهود من أن يسلكوا مثل الأمم الوثنين: **"حتى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم، لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار"** [2]

ورغم ذلك فننا نجد اليهود لا يلقون بالا لكل هذه المحاذير التوراتية وحفل تاريخهم بقصص القرابين البشرية، سواء للآلهة الوثنية تأثرا بالمناطق التي عاشوا فيها ومحاكاة أهلها دون مراعاة لأوامر الرب، ولا تحذير أنبيائه لهم أو في تاريخهم بين الأمم، وحفلت أسفارهم بفعلهم لهذه البشاعة من تقديم البشر قرابين وامتلأ سجلهم السياسي بهذا الفعل القبيح في الماضي والحاضر، وبعد أن كتب لهم أخبارهم **"التلمود"** بأسفارهم التي تحثهم[3]: "على ذبح الآدميين من غير بني إسرائيل وتقديمهم قربانا

(1) تثنية/ 18/ 9- 10.

(2) تثنية/ 18/ 9- 10.

(3) استير سفر صغير يشتمل على تسعة إصحاحات تروى قصة **"استير"** وهي إسرائيلية كانت زوجة لأحد ملوك الفرس وهو **"اخشر شيسي"**. وكان لهذا الملك وزير يسمى هامان. وقد أخذ هذا الوزير يعمل على استصدار أمر من الملك بقتل اليهود. فأحبطت استير كيده، ودبرت هي مؤامرة قضت عليه وعلى أنصاره، ومكنت اليهود من ذبح آلاف من بني قومه، كان منهم كثير من الأطفال والنساء، وساعد في ذلك يهودي =

لإلههم ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في أعيادهم وأفراحهم الدينية، وبخاصة عيد الفصح وعيد **"استير"** ومراسيم ختان الأطفال واستخدام هذه الدماء في طقوس سحرهم وشعوذتهم، وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقرب به اليهودي إلى ربه وما تقربه عين إلههم" [(1)].

ولليهود عيدان لا تتم الفرحة بهما، ولا تكتمل السعادة فيهما، إلا بتناول الفطير المعجون والممزوج بدماء البشر وهما عيد الفصح وعيد البوريم ويستحب أن يكون من المسيحيين أو المسلمين.

يذكر الحاخام **"ثاوقيطروس"** أن اليهود في عيد الفصح يصنعون الفطير بهيئات شيطانية مختلفة الصور، ويصنعون رغيفا خصوصيا ملوثا عجينة بقليل من رماد الكتان.

وفي الليلة الأولى من ليالي فصحهم لابد لكل يهودي – حتى ولو كان حدث السن – من أكل قطعة بقدر حبة الزيتون من هذا الرغيف، ويطلقون على البخز الفطير اسم **(اوفيكوايمان)**.

وذبائح هذا العيد – عيد الفصح – يتم اختيارها عادة من الأولاد الذين لا تزيد أعمارهم كثيرا على عشر سنوات، ويمزج دم الضحية بعجين الفطير قبل تجفيفه أو بعد تجفيفه[(2)].

ومن مراسم الطقوس السحر والشعوذة: يذكر الحاخام **"ثاوفيطوس"** أن اليهود يستخدمون الدماء المستنزفة من الأطفال في الأعمال السحرية كالتعاويذ والرقي، ويعتقد الحاخام أن هذا الدم مقبول جدا لدى الشياطين **(ويقدمون لهم به البشرية لا البهيمية)**[(3)].

= آخر أسمه **"مردخاي"** ويحتفل اليهود بذكرى نجاتهم من هذه المذبحة في عيد يسمى عيد **"استير"** أو عيد **"البوريم"** ويقع في شهر فبراير أو شهر مارس من كل سنة..

(1) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للدكتور علي عبد الواحد (ص 34).

(2) خطر اليهودية العالمية على الإسلام (ص 81).

(3) ثاوفيطوس – إظهار سر الدم المكتوم. (ص: 250).

وقد أعترف المؤرخ اليهودي "**برنارد لازار**" في كتابه "**اللاسامية**" بأن عادة ذبح الأطفال ترجع إلى استخدام دم الأطفال من قبل السحرة اليهود في الماضي.

ويرى الجنرال "**جواد رفعت أتيل خان**" في كتابه "**البرميل الإبري**" أن حوادث الدم البشري مفاهيم انتشرت في عامة الشعب وأنها ليست خرافة، والحقيقة أن جيل الشباب من اليهود يهتم كثيرا بعلوم السحر والشعوذة والتلمود، يبحث عن السحر والشياطين بغموض كبير، ولهذا فإن من الطبيعي أن تستعمل الدماء خلال طقوسهم الدينية.

ولا تتم أفراح اليهود في أعيادهم وأفراحهم في ليالي العرس إلا بتناول الفطير الممزوج بدم غير اليهودي.

بعد هذه الوقفة السريعة أمام أهمية الدماء المستنزفة أو المأخوذة من روح إنساني أو حيواني، حيث تمثل هذه الدماء أمرًا حيويًا في عقيدة اليهود التلمودية، والتي صدروها عبر طقوس عبادة الشيطان والسحرة والمشعوذين.

ونواصل انتشار جماعة عباد الشيطان في إسرائيل، فقد أعلن سكان وادى عربا، بأن الطائفة الشيطانية، قد أصبح لها تواجد كبير بالمنطقة وقد شوهوا واجهات المحلات والمدارس بشعاراتهم الشيطانية ومنذ شهرين، صعدوا فوق سطح نادي مركز شباب مستوطنة "**عين – يهاف**" الصهيونية المجاورة لمستطونة "**حتسابا**" وقاموا برسم شعاراتهم بواسطة استخدام البارود، حتى يستحيل مسحها أو إزالتها بعد ذلك فاشتعل مركز الشباب بالكامل.

وكانت شرطة صحراء النقب ومدينة "**ايلات**" الحدودية مع مصر، قد رصدت في الشهور القليلة الماضية نشاطا موسعا لجماعة عبادة الشيطان بالقرب من منطقة طابا" المصرية، وكانت معلومات سابقة قد أشارت إلى قيام أعضاء عبادة الشيطان في مدينة إيلات بتنظيم رحلات جماعية حولها الشباب الغني في الطائفة إلى جنوب سيناء.

وبطبيعة الحال هناك يحدث الجذب والانجذاب لهذه الفرق الفاسدة لشباب المنطقة من المصريين العاملين أو السائحين. وهذا ما حدث بالفعل ونبهت عليه بعض المجلات مثل "**الشباب**" وفي شواطئ جنوب سيناء يستباح الكثير من الفساد من مخدرات، وسكر وعربدة وموسيقى صاخبة ارتبطت بجماعات عبادة الشيطان.

وقد نبهت على ذلك أيضا صحيفة الوفد فقالت في عددها 25/ 1/ 1997م، أن لإسرائيل باعا طويلا في هذه الجريمة، ولا يمكن أن تبرأ ساحتهم في إسرائيل، وتعرف جماعة "**إخوة الشيطان**"، وتمارس نشاطها في مدن تل أبيب، وإيلات والمناطق الحدودية المصرية – الإسرائيلية "**طابا**".

وتستخدم النجمة السداسية والصليب المعقوف كشعار لها، وتقيم حفلات تتعاطي فيها المخدرات والجنس الجماعي داخل المناطق المنعزلة أو في الصحراء، أو على شواطئ البحار، وقد عرف عنها في إسرائيل قيامها بإرتكاب العديد من جرائم السرقة والاختطاف والقتل والتعذيب، وبتقديم الكلاب والقطط كقرابين للشيطان وقد قام أحد أفراد هذه الجماعة "**بتل أبيب**" بمساعدة زملائه بالجماعة، باختطاف والدته والمشاركة في اغتصابها مع كافة أعضاء الجماعة تحت إدعاء قيامها بالوفاء للشيطان[1]

ولهم فرق موسيقية كثيرة نذكر منها فرقة "**الأرض اليتيمة، وفرقة سالم ومن ضمن أغنيات هذه الفرق سورة الحشر من القرآن وقراءة الكتاب المقدس لديهم بالمقلوب** ".

وقد تزايدت الحوادث في باقي المدن الإسرائيلية مثل "**يافا**" و "**رام الله**" بالقرب من الحدود المصرية وطابا المصرية أيضا، وقد بدأت تتضح خيوط هذه الجرائم بمساعدة عملاء "**الموساد**" تكشف كل يوم عن سطر جديد من سطور. المفاجأة التي روعت إسرائيل منذ ذلك الوقت عام 1993م تسمى هذه الجماعة، جماعة الشيطان، وهي تنتشر في جميع أنحاء إسرائيل الآن[2]

وتواصل المجلة نشر فضائح هذا الفكر الذي وجد لديهم قبل جميع البشر في طقوس التلمود ثم صدوره للعالم، حيث يقتصر القتل عند هذه الجماعة على التضحية بالنساء وعند وجود الحمل تحبس المرأة حتى تضع حملها ويقدم المولود قربانا للشيطان وتذكر المجلة:

(1) وقد تم الاتصال بين بعض شبابنا المنتمين لهذه العبادة بأعضاء من هذه الفرق لكي يأتو للعزف في مصر من باب التبادل الموسيقي، وبالتلاحم بين هؤلاء الشباب وشبابنا يكمن الخطر حتى ولو كان من باب حب الموسيقي فالمسألة يجر بعضها البعض. وهكذا تبدأ الأمور!! .

(2) روز اليوسف 3/ 2/ 97.

حالة سيدة متزوجة قاموا بخطفها، واغتصابها، ثـم أسرت حتـى وضـعت حملهـا، وقدموا المولود قربانا للشيطان، والتضحية للشيطان بالصغار يسعده ذلك كثيرا.

واكتشفت الشرطة أنه في يوم الاعتداء عـلى تلـك الـسيدة والتـي قتلـوا مولودهـا، أصبحت تلك العملية شائعة ومتكررة. وعن رأيهم في مجال السياسة أنه سـوف تقـوم حرب عالمية ثالثة سيئول العالم إلى الشيطان الذي سيتحكم في العالم بأسره ويقوده.

وكشفت المصادر المعلوماتية للشرطة أن جماعة إسرائيلية تـدعى **"اليـد – للأخـوة"** التابعة لمنظمة اليهود المتطرفين في إسرائيل، وتلك الجماعة هي ذراع المنظمة العـسكرية التي تطارد الطوائف غير اليهودية.

وتتشكل تلك الطوائف مـن الـشباب في سـن 16 – 20 وهـم ينتمـون إلى طبقـة الأغنياء، أو ممن ليس لهم منزل أو ممن هربوا من سوء المعاملة في منزل الأسرة.

وتذكر المجلة: بأنه في إحدى المرات بعد مراسم التجنيد في الطائفة – تـم سـؤال العضو الجديد: هل تريد معاقبة أحد من أهلك عما فعلوه بك؟! وطلب الشاب عقاب أمه لأنها عذبته كثيرًا منذ طفولته.. فقام أفراد الطائفة بخطفها للشاطئ والاعتداء عليها جماعيا باشتراك الابن، وهي الحالة التي هزت أرجاء المجتمـع في إسرائيـل، وجعلـت **"الكنيست"** يعقد أكثر من أربع جلسات في إسرائيل، وجعلت **"الكنيست"** يعقد أكثر من أربع جلسات لمناقشة هذه الظاهرة ويعرف مقر هـذه الجماعـة بالحـدة والـشراسة، ويتكتمون على إسرارهم ومن يفشي لهم سرا يكون نصيبه القتل فورا والتمثيل بجثته.

فصل : ظهور عبادة الشيطان في مصر

قال الدكتورة: ومصر على مر تاريخها قد ظهرت فيها هذه العبادة بين الحين والآخر، حيث تشير بعض الدراسات أن الإله الفرعوني **"ست"** كان يعبر عن الشر والشيطان، وعندما دخل الهكسوس مصر تقربوا إليه وأصبح عونا لهم وإلهمم في وقت واحد، وحين تعرضت جماعة عبدة الشيطان إلى الإنشقاق في مايو 1974م تزعم حركة الإنشقاق هذه (**مايكل الجينو**) وأعلن اعتزامه تأسيس معبد الإله **"ست"** حيث جماعته بأنه إله أمير، للظلام والشرور ويمارسون طقوسا يقولون عنها فرعونية.

ويرجع بعض المؤرخين ظهور **"عبادة الشيطان"** في مصر إلى القرن الثاني عشر حيث نادي أحد القساوسة آنذان بإحدى الكنائس بالمعادي بإطالة الشعر، وعدم ختان الذكور كما دعا لعبادة الشيطان وقد تم طرده بعد أن كون جماعة أسماها **"القطامية"**.

كما ظهرت هذه العبادة مرة أخرى في مصر في الخمسينات من هذا القرن وقام يومها محمد توفيق وزير العدل والتأمينات الاجتماعية بالقضاء على هذه الجماعة بطرد أعضائها من الأجانب عام 1962م، والقبض على الذين لم يتوبوا ويحدثنا الأستاذ محمد وجدي قنديل في جريدة أخبار اليوم بتاريخ 15/ 2/ 1997م عن رأيه فيما حدث، يقول سيادته.

إن دلت على شيء فإنما تدل على الكثير، أولها: اختراق نسيج المجتمع المصري عن طريق تدمير قيمة وأخلاقه وأعظم طريق لذلك هو الشباب، وإنها ليست المرة الأولى يواجه المجتمع المصري فيها محاولات الاختراق من الجماعات المشبوهة

مثل **"عبدة الشيطان"** وليست المرة الوحيدة التي تظهر فيها أفكار وافدة من الخارج، وتسعى إلى تشويه الأديان وتحريف الكتب السماوية، وبث تعاليم وأفكار منحرفة، فقد حدث ذلك قبل أربعين عاما من جماعة أسمها **"شهود يهوه"** وبالتحديد في عام 1955م وضعت يدى على خيوط النشاط المشبوه التي تقوم به جماعة **"شهود يهوه"** في القاهرة مقر سرى في عمارة قديمة رقم 153 بشارع رمسيس – الملكة سابقا- حيث كان أعضاؤها يعقدون اجتماعاتهم لتجنيد أعضاء جدد ونشيطين في الحياة، وبث أفكار يهودية قديمة لتشويه المسيحية وتحريف الإنجيل.

وقتها جاءني من يخبرني بأمر الجماعة والاشتباه في نشاطها الذي يتركـز في القـاهرة، ولكن لم تكن المعلومات كافية ولم تزد عن أنها جماعة تبشيرية تتمسلك بتعـاليم العهـد القديم. وتحاول الطعن في العقائد والأديان السماوية من خلال الدعاوي التي يروجها أعضاء الجماعة باسلوب ناعم ومهذب لاجتذاب المشاعر، وذهبـت إلى المقـر الـسري، ووجدت على باب الشقة لافتة نحاسية باسم **"شهود يهوه"** وتحايلت على مقابلة رئيس الجماعـة وأخفيـت عنـه صـفتي الـصحفية، وطلبـت منـه الـسماح لي بحـضور أحـد اجتماعاتهم.

وذهبت إلى مقر الجماعة في الموعد المحدد حيث يجرى اجتماعها السرى وسط أضواء خافتة في الظلام والنوافذ مغلقة، وفي البداية قرأ زعيم الجماعة أجزاء من كتاب التـوراة الذي وضعته للتبشير به وبعدها أصدر الأوامر بمضاعفة النشاط في الدعاية **"الـشهود يهوه"** وشرح كيف أن التعليمات جاءت إليه من **"بروكلين – في نيويورك"** بالتركيز على الانتشار في مصر.

ويواصل الحديث الأستاذ وجدى في الإشارة إلى ما ورد في تحقيق صحفي في **"أخر ساعة"** يبين النشاط المشبوه للجماعة، والتي تحركها الـصهيونية العالميـة وتعمـل تحـت ستار الماسونية في عام 1964م وتم اعتقال قادتهـا وترحيـل الأجانـب مـنهم، ولكـن الجماعة ظلت تحتل نفس الوكر وتمـارس نـشاطها الـسري بـين المـسيحين والمـسلمين وتحرض على عدم الاعتراف بالإنجيل، وعدم الخدمة بالجيش والحكومـة، وتـدعو إلى التخلي عن الأديان الـسماوية جميعـا، لأنهـا سـبب الـصراعات والحـروب المـدمرة أو الدخول في دين واحد.

أردت أن أسوق جانبا من حديث الأستاذ محمد وجدى قنديل لعله يصل إلى عقول المهونين مما حدث أخيرا حيث أن أساليب المتربصين بنا كثيرة، ولن تنتهي حـيلهم ولا فنونهم في هذا المجال

وقد استخدموا ببراعة فائقة المنـاهج المختلفـة – خاصـة في عـصر التكنولوجيـا في وسـائل التـصدير والعـرض – بـصورة مغريـة ، واسـتخدموا كـل تجـاربهم العلميـة وطرائقهم الحضارية في بهرجة ذلك وتدعيمه، وهذاالغزو المنظم المـدروس يـستخدم

القصة والتمثيلية والمسرح والسيمنا، والإذاعات بأنواعها، والكتب والمجلات والصور والمقالات حتى الطرائف والملح الشائعة وللشعر نصيب عظيم في هـذه المعركـة حتـى يصل شياطين الغرب والوطن إلى **"غسل المخ" وزرع ذاكرة"** جديدة خاوية من ثوابت الدين وعظمة القيم والأخلاق إلى الانحلال والتحلل مـن كـل شيء وانتـشار **"عبـدة الشيطان"**، للأسف لا يخلو منهم الآن مكـان، وعـلى اخـتلاف طبقـاتهم وجنـسياتهم وأوطانهم فإنهم يتفقون على تحطيم **"التابو"** كما صرح بذلك رأس مـن رؤوس الثقافـة الآن في مصر وهذا موضوع حديثي في الصفحات القادمة علنا نبرز جانبا من خطـورة هذه الأفكار الرهيبة والتي تترصد مجتمعنا وما شبابنا عنها ببعيد وكـم كنـت أتمنـى أن نمهد الطريق أمام هذا الشباب ونرفع الألغام التي نصبت له لاصطياده علم بذلك أم جهل، حتى لا يمر ما حدث بلا ثمن فبدلا من التمزق والنيل من بعضنا البعض بـين أصحاب الفكر المتباين والقلق على شبابنا انقلـب الوضـع إلى معركـة كلاميـة وتنابـذ بالألقاب وشحنت لها النفوس وتطايرت العبارت الحادة، وهذا في حد ذاته أمر يـدعو للأسف، فتناسينا القضية محور الحوار وانقلبنـا إلى التبكيـت والتقريـع والتهـوين مـن المأساة بكل أبعادها وكأنها سحابة صيف لم تغسل شجرة ولم ترو أرضا.

طقوس هذه العبادة :

نتكلم عن كنيسة الشيطان الرئيسية في **"سان فرانسيسكو"** والتـي أسـسها **"أنطـون لافي"**، وكتب لهذه الطقوس **"الانجيل الأسود"** ونشره عام 1969م وطبع عدة طبعات بأكثر من لغة.

ومن المعروف أن العدو الأول والأساسي لعبادة الشيطان هم النصارى ومع ذلـك نجد كل تعاليمهم هي انعكاس مباشر، وكامـل للتعـاليم النـصرانية بـشكلها العلـماني الحديث، مـع اسـتخدام كثـير مـن المـصطلحات والمفـردات مـع المغـايرة للمفـاهيم والأخلاقيات التي في النـصرانية، وأحـسب هـذا أنـه نـوع مـن التـدليس والتلبـيس الإبليسي.

وتتكون كنيسة الشيطان الرئيسية في **"سان فرانيسيكو"** من قاعة الهيكل الهيكل ذات الأثاث القديم، وتابوت حجري يشبه تابوت قدماء المصريين، وكرسي هزاز كان يملكه

الراهب الروسي الشهير "**راسبوتين**" الذي اشتهر بفسقه وفجوره. وغرامياته التي وصلت إلى زوجة القيصر "**نيقولا الثاني**" الذي كان يعمل في بلاطه، وقد تم اغتياله على يد بعض النبلاء بزعامة الأمير "**يوس بوف**"

وفي صدر القاعة يوجد مذبح على شكل شبه منحرف، وسرير على بعد متر أو مترين من قاعدة المذبح، أمام الحائط الغربي، وهو لجلوس الضحية المقدسة التي هي دائما فتاة شابة ذات جمال واضح رمزا لعقيدة الجسد التي تقوم عليها طقوس الكنيسة.

تستلقى الفتاة على السرير، ورقبتها متجهة نحو الجنوب، وعلى يمينها توضع شمعة بيضاء رمزا لعباد الشيطان الصالحين، وعلى يسارها شمعة سوداء تمثل قوة الشيطان القاهرة، والجزاء الجميل لمن يجلس قرب الشمعة البيضاء. وغرب منصة المذبح، يوضع ناقوس ومطرقة، تبدأ مراسم التعذيب وتنتهي باستخدام تسع دقات من دقاتها، وكأس قربان، مصنوع من الفضة أو الذهب، وحربة وسيف وبعض التماثيل.

والزي الرسمي لحضور القداس هو: روب أسود وقناع لوجه قبيح بالنسبة للذكور، أما الإناث فتكون ملابسهن ملابس من تتهيأ لممارسة الجنس، مع بعض أدوات العنف كالجنازير والسلاسل والشرائط الجلدية والكرابيج.

والجميع ذكورا وإناثا يرتدون تعويذة بها رمز الشيطان الخاصة بالكنيسة التي يتبعونها.

وحول قاعة الهيكل توجد عدة ممرات سرية لا يعرف مسارها إلا صفوة الكهنة بالكنيسية واحد من هذه الممرات، يقوم إلى غرفة الكاهن "**أنطون لافي**" حيث تمارس الطقوس الخاصة بعيدا عن أعين الأعضاء. وفي الكنيسة مكتبة ضخمة تتعلق محتوياتها جميعا بنشاط الكنيسة وممارستها وأسرار عقيدتها وطقوسها.

ويعرف في طقوس هذه الكنيسة ما يعرف ببرنامج القداس الأسود، لا أجد من الضرورة العلمية أن أسود صفحات هذا البحث بالقبائح التي تجري فيه وهو لا يخرج عن طقوس جنسية ذميمة فيها كل المهانة لمفهوم الجنس والمرأة، وانحطاط إلى الدرك الأسفل بكرامة الإنسان.

ففي هذه الطقوس التي يرفض قلمي تسطير ما يجري فيها من إطلاق العناق للشهوات

الإنسانية المتدنية بدلا من إتباع فضائل الأديان السماوية التي تنظر للإنسان الذي كرمه الله وسخر له البر والبحر، وذلك بالعلم والعمل والسلوك القويم.

- الشيطان هو مصدر الحنان والعطف لأولئك الذين حرموا منه وتذهب هذه الطقوس الشيطانية إلى ضرورة تجرع الحب المادي الحسي بدلا من المشاعر الإنسانية الراقية التي يدعون أنها سوف تذهب هباء.

- العلاقة تكون مع الشيطان مباشرة، حيث لا مجال للوساطة في هذه العلاقة.

- الشيطان يجسد قوة الانتقام والثأر في مواجهة مقولة، **"من لطمك على خدك الأيسر فأدر له الأخر"** فهم يرفضون هذه المقولة المسيحية، ويدعون إلى الانتقام والرد المباشر على الاعتداء دون مراعاة لمبادئ أخلاقية، أو سلطة مدنية في المجتمع [1]

- الشيطان هو الملاذ الوحيد لكل من تطلق عليهم كلمة **"خطاة"** من وجهة نظر الأديان السماوية، وهم يدعون في هذا الشأن أن العلاقة مع الشيطان توفر الإشباع المادي والعاطفي للإنسان.

- الشيطان يمثل العمل الدائم الذي لا ينقطع عمله قط وبالتالي كما يدعون، يمكن الاعتماد عليه لأن عمله لا يتوقف وتنقسم الطقوس عند **عباد الشيطان إلى:**

الطقوس الجنسية، وذلك لإشباع الرغبة الجنسية.

2- طقوس **"الرحمة"** والتي يدعون أنها تهدف إلى مساعدة الآخرين على تجاوز المشكلات والعقبات عبر التحرر من جميع القيود والتي هي بالأساس النوازع الأخلاقية.

3- طقوس الغضب، وذلك عبر أفراع ما لدى الاتباع من مشاعر الغضب والكراهية لكل من يقف أمامهم من الأسرة أو غيرها.

---

(1) ولقد نبه المختصون إلى انتشار هذا الوباء بين الشباب في المجتمع الأمريكي فأنشأوا قرية حديثة تدعى **"قرية الحرية الأمريكية"** تقوم باستقبال المراهقين من الجنسين ممن وقعوا في شباك عبادة الشيطان، ووضعهم تحت العلاج النفسي فترة من الزمن حتى يستطيعوا أن يمارسوا حياتهم الطبيعة مرة أخرى.

كما ترسل محطات الإذاعة والتليفزيون لبث النصائح والتحذيرات من عبادة الشيطان إلى جميع الولايات الأمريكية، وتدعو الآباء والأمهات لمراقبة أطفالهم، والبحث في غرفهم عن الصور والرموز التي تدل على عبادة الشيطان، حتى يستطيعوا تدارك الأمر قبل فوات الآوان.

هذه الطقوس تم الحصول عليها معا نشر في الصحف.

4- طقوس العضوية، وهي تختلف من كنيسة إلى أخرى ومن مجموعة إلى غيرها، ولكن تنتهي جميعا إلى تفريغ العضو مما يعلق في ذهنه من أي دين أو عقيدة أخرى سابقة وتتم عملية التعميد للعضو.

وتجرى هذه الطقوس في ظل ارتداء ملابس سوداء ورمز الشيطان وسيف وجرس دائري الشكل.

وعادة ما يجتمع الاتباع في أمسيات الجمعة لممارسة الطقوس الجماعية التي يشترط وجود محور للنظر تجرى حوله ممارسة الشعائر الشيطانية واليوم المقدس لهم هو يوم ميلاد كل منهم، حيث أن الإنسان إله في ذاته.

أو يترقى عباد الشيطان إلى درجات تصل إلى الدرجة السابعة ومعيار الترقي من درجة إلى أعلى مرتبط بالاتيان بأحط الأعمال التي تقربه من الشيطان، وقد اعتبر **"راسبوتين"** في المرتبة السادسة أما السابعة وهي أعلى درجة في درجات كنيسية عبدة الشيطان، ولم يصل إليها من زعماء الكنائس منذ عام 1745م غير ثلاثة فقط أحدهم من هنغاريا والآخر من أمريكا والثالث من أفريقيا.

وذهبت إحدى المتخصصات في دراسة مثل هذه الظواهر وهي **"اليزابيث باريت"** إلى القول: بأن عبادة الشيطان ما هي إلا نموذج عصري للوثنية أوالكفر بوجود الله، وإن هذا الاتجاه ينمو في المجتمعات التي تفتقد البعد الديني الأخلاقي أو بين الشباب صغير السن الذي يعاني الفراغ أو فقدان الرعاية، وغياب الهدف، ولذلك كان منطقيا أن يركز أنطون في كتابه الشيطاني على الشباب في سن المراهقة تحت دعوى أنهم في مرحلة النمو الأسرع وبالتالي يمكن استقطابهم وشحن رؤوسهم بهذه الأفكار الخبيثة.

وأسوق نصوص ما سطر تحت الوصايا العشر لمسيح الشيطان.

1- الشيطان يحث على الإنغماس في اللذات والأهواء.

2- الشيطان يمثل الحياة الواقعية.

3- الشيطان يمنحك الحكمة الصادقة بدلا من خداع النفس.

بالأوهام

4- الشيطان يمثل الرحمة ولكن لم يستحقها.

5- الشيطان يحث على الأخذ بالثأر لا على التسامح.

6- الشيطان يتحمل المسئولية كاملة عن الذين هم أهل لها.

7 – الشيطان كالحيوان أو أفضل منه قليلا وغالبا هو أسوأ من ذلك.

8- الشيطان يمثل جميع الخطايا التي تقود لإشباع الجسد والعقل.

9- الشيطان هو الذي سيحرز النصر على الله في آخر الزمان.

10- الشيطان هو أفضل صديق للكنيسة لذا جعلها في عمل دائم وتجارة مستمرة طوال العمر.

فصل : أعياد عبادة الشيطان أربعة

أما عيدهم الأكبر هو المسمى **"الهلوين"** وموعده في 31 أكتوبر من كل عام، وهو عيد قديم، ويحظى باحتفال يعم فيه الفرح والابتهاج أرجاء أمريكا احتفالا به. ويعتقد في أن الإله يطلق أرواح الموتى في تلك الليلة لترجع إلى المنازل التي كانت تعيش فيها سابقا قبل دخول السنة الجديدة مع فصل الشتاء الطويل، حيث تبدأ السنة عندهم في اليوم الأول من شهر نوفمبر، وبما أن اليوم كان يبدأ من غروب الشمس فالعيد يكون عشية 31 أكتوبر. أما أرواح الأشرار فتسجن في أجساد الحيوانات لمدة أثنى عشر شهرا وفي ليلة الهلوين يطلق سراحها أسوة بباقي الأرواح، لترجع إلى بيوتها، ويجب على سكان تلك البيوت في تلك الليلة أن يضعوا طبقا من الطعام لإله الموتى، كي يعفو عن تلك الأرواح ولا يرجعها إلى أجساد الحيوانات مرة أخرى، وإلا فسوف تقوم الروح بسحر البيت، وصب لعناتها على ساكنيه.

ويعد **"الهلوين"** أفضل أيام السنة عند هؤلاء القوم، وذلك لسهولة الاتصال بالأرواح التي تطوف أصقاع الأرض بعد إطلاق سراحها في تلك الليلة.

7 يناير عيد القديس **"ونبلد"** طقوس الدماء.

17 يناير عربدة الشيطان طقوس جنسية.

2 فبراير – عربدة الشيطان طقوس جنسية.

25 فبراير عيد القديس والبورجا طقوس الدماء.

1 مارس – عيد القديس **"اجتاد"** طقوس الدماء.

20 مارس عيد الاعتدال طقوس جنسية.

26 أبريل إلى 1 مايو الفسق العظيم طقوس الدماء.

21 يونيو عيد لانقلاب الشمس طقوس جنسية.

1 يوليو عربدة الشيطان طقوس جنسية.

3 أغسطس عربدة الشيدان طقوس جنسية.

7 سبتمبر تزويج الوحش طقوس جنسية.

20 سبتمبر زائر منتصف الليل طقوس الدماء.

22 سبتمبر عيد الاعتدال طقوس جنسية.

29 أكتوبر مقدمة الهلوين طقوس الدماء.

1 نوفمبر عيد الهلوين طقوس جنسية.

4 نوفمبر عيد عربدة الشيطان طقوس جنسية.

22 ديسمبر عيد لانقلاب الشمس طقوس جنسية.

24 ديسمبر عيد الفسق الأعظم طقوس الدماء.

هذه هي أعيادهم على مدار السنة الميلادية لا تحمل في طياتها إلا الفسق والفجور والجنس والدماء، ولا يمكن لعابد الشيطان أن يكون غير ذلك في طقوسه واحتفالاته.

وأسوق بعض الرموز الشيطانية التي ترددت كثيرا في الصحف – أشهر كنيسة الشيطان، عبارة عن دائرة داخلها نجمة خماسية تحتوى رأس الكبش بأذنيه وقرنيه. وهي تعني عندهم **"رأس الإله"** الذي هو الشيطان.

ويوجد تحليل لهذا الرمز مرجعه إلى أصول فرعونية، حيث كان يوجد كبش منديس الإله الخاص بالنسل الذي حضر إلى محكمة الآله للفصل بين إله الخير **"حورس"** وإله الشر **"ست"** لكي يعطي منصب **"أوزوريس"** لأحدهما، فوقف الكبش منديس في صف إله الشر **"ست"** ومنحه المنصب.

الرمز الثاني: الصليب المعقوف:

وهذا الشعار مشترك بين فرق النازية الألمانية وكنيسة عبدة الشيطان، ويرمز إلى الشمس التي سوف تعم العالم، وتغطي الأركان الأربع للكون تحت قيادة الشيطان.

الرمز الثالث: شعار مشترك بين اليهود وعبدة الشيطان:

وتستعمل في الطقوس السحرية وتعرف بنجمة داود.

الرمز الرابع: "الانك" يرجع هذا الرمز إلى أصول فرعونية، باعتباره رامزا للحياة والخلود، ويمثل الجزء العلوي فيه الأنثى والجزء الأسفل منه يمثل الذكر.

الرمز الخامس: المذبح:

ويبنى عادة من الرخام أو الجرانيت، تتوسطه حفرة على شكل نجمة خماسية يتجمع

فيها دم الضحية، وتحوطها الدائرة لحماية الدم من الانسياب، وفي الأركان الأربعة، بعض الأدوات التي تستخدم في طقوس المذبح مثل: الخنجر أو السيف، ذو مقبض أسود، وهو الشعار الذي يرسمونه وشما على أدرعتهم شمعة سوداء. سيخ حديد للتعذيب، كأس من الفضة لشرب الدماء.

وهناك رموز كثيرة غير الذي ذكرت، وقد تختلف هذه الرموز من فرقة شيطانية لأخرى.

وإذا كانوا اختلفوا في الرموز من فرقة لأخرى لكنهم اتحدوا في خصائص تعبدية مثل: انكارهم للديانتين النصرانية والإسلام، وهدم جميع ثوابت الأديان السماوية من فضائل وقيم.

وهناك رموز كثيرة غير الذي ذكرت، وقد تختلف هذه الرموز من فرقة شيطانية لأخرى.

وإذا كانوا اختلفوا في الرموز من فرقة لأخرى لكنهم اتحدوا في خصائص تعبدية مثل: انكارهم للديانتين النصرانية والإسلام، وهدم جميع ثوابت الأديان السماوية من فضائل وقيم.

- امتهان الكتب الدينية بوطئها بالأقدام.
- امتهان حرمة الموتي، تدنيس القبور والعبث برفات الموتى.
- تناول الدماء التي يأتون بها من الحيوان أو الإنسان، وتلطيخ أجسادهم والاماكن التي يتواجدون فيها وهو أمر بعيد كل البعد عما يليق ببني البشر. والمتأمل فيما ورد من بعض نصوص **"الإنجيل الأسود"** يجد فيه ذلك.

التركيز على الآتي: الحياة هي الملذات والشهوات، والموت هو الذي سيحرمنا منها، أغتنم الفرصة الآن للاستمتاع بهذه الحياة، فلا حياة بعد الحياة ولا جنة ولا نار.

نحن لم نعد أولئك الناس الضعفاء المتوسلين إلى الله الخائفين منه، إنه لا يهتم بنا كبشر، سواء عشنا أم متنا، ليس عنده شيء من الرحمة، هذا أن كان يوجد إله كما يدعون.

الحرية هي حرية العقيدة، والوجود هو الوجود الملموس والحكمة ألا تخادع نفسك

أو تنافقها، ولا يعطي الحب لغير مستحقيه المحتاجين إليه، والخير هو الانتقام بلا اعتدال، فالإنسان كالحيوان والكل فاسد، وليختر كل واحد الإله الذي يناسبه.

الصلاة غير نافعة، ومعطلة للناس عن العمل المقيد، مارس المتعة بارتكاب السبع الموبقات في المسيحية، الكبر، الغيرة والغضب والمتعة الجسدية والشهوة والكسل والجشع، أفعل مع الآخرين كما يفعلون معك، والانتحار عبث.

عند الاحتفال بعضو جديد يختار لنفسه أحد أسماء شياطين ثلاثة **"لوسوفير"** و **"بلبال"** و **"لافيثان"**.

ارتبط مع من تحب جنسيا رغبتك، خذ شهوتك ممن تحب، ليكن تركيزك قويا في استمتاعك، لتكن شهوتك تامة مع نفسك، أو مع آخر، أو مع آخرين، وليكن ذلك بين البالغين.

وهناك الكثير والكثير من تعاليم وطقوس هذه العبادة الدخيلة والعدوة للأديان لقد عف قلمي في سرد الكثير مما وقع تحت أيدينا من طقوس هذه العبادة والتي استحوذ على أصحابها الشيطان فزين وأباح لهم كل شيء.

وتأكد ظهور طائفة من عبدة الشيطان في كينيا تستخدم البشر كقربان للشيطان وأن أتباع المذهب يشربون دماء الضحايا، ويغتصبون الأطفال، وجاء في تقرير اللجنة الحكومية التي قامت بدراسة الظاهرة، وإجراء مقابلات مع أفراد الطائفة والذين مارسوا طقوسها، أن طقوس عبادة الشيطان تضمنت استخدام البشر كقربان للشيطان. أي ذبح البشر وتقديمهم للشيطان، وشرب دماء الضحايا من بني البشر، وأكل لحوم الضحايا والتجرد الكامل من الملابس في أثناء أداء الطقوس الشيطانية، وممارسة الجنس الجماعي، والتركيز على اغتصاب الأطفال والفتيات القاصرات، وتعاطي الحبوب المخدرة بشكل جماعي وممارسة الطقوس في وجود أنواع مختلفة من الثعابين.

وإذا أردنا في ختام هذه الجولة في طقوس وعبادة هؤلاء الشياطين أن نضع لهم بعض المفردات ماذا سنجد؟ انفلات، جنس محموم وشاذ ومريض، غرائز بهيمية لا يمكن أن ترقى للإنسانية، قرابين حيوانية وأدمية، دماء تستخدم في أغراض شتى في طقوسهم،

انكار للأديان، وبالتالي للقيم والفضائل، البعد عن كل الصفات الكريمة التي يتخلى بها مفهوم الإنسانية،

تعذيبات بشعة في ممارستهم لحياتهم الجنسية، موسيقى صاخبة لا ترقى بذوق ولا تؤدي إلى تربية، وغاب من قاموس حياتهم مفردات القرب من الله، وحل مكانة مفردات الشيطان التي تقود إلى كل فجور وعصيان من مخدرات.

فصل : الموسيقي ودورها في هذه العبادة

الموسيقى التي أتكلم عنها، موسيقى الفساد للأذن والنفس والمثيرة للشباب الذي لا تنقصه الإثارة، فالشباب بطبيعته لديه الطاقات، ولديه الجنوح، ثم نضيف له هذا البنزين الذي اسمه **"الديث والبلاك ميتال"**، وموسيقى **"الروط"** والفرقة الموسيقية التي تدعي "Deicide" **(أي قاتل الإله)**،، وفرقة **"كراك أوف دوم"** وموسيقى الهيفي ميتال، و **"الهارد روك"** فهذه الموسيقى تتميز بالصخب والسرعة والإثارة، وتعد إحدى الروابط القوية التي تربط عباد الشيطان بعضهم ببعض في الأماكن المختلفة.

والزنوج والأمريكيون هم أول من أسس ما يعرف بموسيقي **" البلوز "** في الولايات المتحدة في الأربعينيات من هذا القرن ، وهذه الموسيقي ارتبطت من البداية بالتمائم والأدعية السحرية الشيطانية المأخوذة من الديانات الأفريقية الوثنية وامتزجت هذه التمائم والشعائر بالشعوذة الأوربية ، والاستعانة بالشيطان من التقاليد التي تحارب الديانة المسيحية مثل شرب الدماء والصليب المقلوب ، ونجد التعاطف مع الشيطان، وهذا واضح في كلمات قصائدهم وأسلوب حياتهم وأغاني مطربيهم .

ولعباد الشيطان شعراء متخصصون في كتابة الكلمات التي تعظم الشيطان وتثير الغرائز ، وقد استعملت في ذلك أرقي القواعد والأساليب العملية والنفسية لدفع الشباب نحو الثورة على واقعهم وبيئتهم وأمهاتهم وأبائهم ثم على قيم ومعتقدات قيمهم وبالتالي تكون النتيجة الطبيعية في تهيئتهم للقيام بالأعمال الاجرامية .

وبجانب شعرائهم هناك الملحنون الذين ينظمون هذه الكلمات ومعانيها والمفاهيم السوداء ، التي تحويها بالموسيقي الصاخبة ذات الإيقاع السريع التي أصبحت من سمات هذا العصر . ونظرة فاحصة على أسماء هذه الفرق نجدها جميعاً شجرة خبيئة تطرح حولها الخبث والشياطين .

وللأسف أن هناك كثيرًا من الشياطين والشابات كانت لغة وكانت هي المدخل للإنجذات الذي حدث بين أولاد الاسكندرية والقاهرة ، وبعد مرحلة الجذب الموسيقي تتوالي طقوس عبادة الشيطان . والتي وجد منها هؤلاء الصبية شيئاً جديداً وغريباً

ومبهورا ، فهي للأسف كانت بداية الطريق التي جمع رفاق السوء في الحفلات الماجنة والتي لم ينكرها أحد من أسر هؤلاء الشباب ولم يستنكروا ما ارتكب فيها من فساد للشباب وتحبطيهم للقيم والأخلاق ، وسوف تنصب الصفحات التالية على ما أصاب هولاء الأولاد . ومنافذ الخطر وكيف الخروج من هذا المأزق (1) .

وأخيراً فقد عادت هذه العبادة من جديد عن طريق السينما والمسرح والأسطوانات ، والديسكات ، والنت ، ولأنه ليس عليه رقيب فأصبح الوسيلة التي تمثل الخطر الحقيقي الداهم الذي يدخل في غفلة الأباء والأمهات إلى البيوت ومراكز النت المنتشرة في كل مكان ، وهي وإن لم تلق رواجاً عن الفقراء والجهلة والعوام ، لكن لقيت رواجاً عن المترفين كما قال تعالي وهو يين أن من أسباب . هلاك الأمم والقري والبلاد تسلط المترفين عليها فقال سبحانه : ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾[الإسراء:16] وقرأ بعضهم (**أمرنا**) فعندما ظهرت هذه العبادة مؤخراً وبالتحديد في أوائل عام 1997 م ، ظهرت في " **المهندسين** " معقل المترفين ، وكانت الحكومة المصرية لها بالمرصاد – والحمد لله – واعتقلت أفراد هذه الطائفة الإبليسية ، لكن بعدها بعشرة أعوام أو يزيد وفي منتصف شهر رمضان الماضي 1429 هـ ، أي في شهر 9/ 2008 ، ظهرت مرة أخري ، ونشرت الجرائد والصحف المصرية عن إعتقال بعض أفرادها مرة أخري .

ولقد ورد في تحقيقات جريدة الأهرام بتاريخ 31/ 1/ 1997م تحقيق بعنوان من أخطر الحقائق التي يتكشفت أمام أجهزة الأمن قد أكدت أن الأفكار المسمومة التي انساقوا وراءها – كانت تروج لها مجموعة أسطوانات الليزر وشرائط الكاست ، وقد اعترف أحد هولاء الشباب . بمراسلة الشركات التي تروج لهذه الأفكار من الخارج عن طريق الكمبيوتر ، وقام بتخزين 15 صورة من صور الشيطان تمهيداً لتوزيعها على الأعضاء داخل الجماعة بعد حصوله عليها كما اعترف أحد المتهمين بأنه سافر مع والده

(1) من كتاب العبادة الشياطنية وجذورها التاريخية للدكتورة أمنة محمد نصير ، من جملة اصدارات المجلس الأعلي للشئون الإسلامينة . وكتاب اليزيدية للأستاذ أحمد تيمور . وكتاب عبدة الشيطان للأستاذ عبد الرازق الحسني وكتاب اليزيد به للدملوجي .

السفير لأستراليا وهناك أطلع على أفكار " **عبدة الشيطان** " وحمل على شرائط كاست وأسطوانات ليزر لتوزيعها على الجماعة ، ولم يقف عن ذلك ، بل إنه تبادل المطبوعات وطقوس هذه العبادة من وسائل الاتصالات . المستمرة بين هولاء الشباب وأصحاب عقيدة " **عبدة الشيطان** " وفي أهرام 3 / 3 1997م تحت عنوان (**السينما وعبادة الشيطان**) لجنة البحث البرلمانية للفيديو ببريطانيا أصدرات تقريراً بأنه هناك أكثر من 40 ٪ من الأطفال والشباب . يميلون لمشاهدة أفلام الخيال والعنف والشرور وهم في تزايد مستمر ومن هنا ازدهر في الجرائم وخاصة ما تحمله هذه الأفلام من طرق القتل ، وكذلك جرائم الكمبيوتر مثلما شاهدنا في فيلم الشبكة .

وقد زادت نسبة الجرائم ببريطانيا بنسبة قدرها 38.9٪ وفي نيويورك إلى 44 ٪ وتعتبر باريس أقلها 34.4٪ وقالوا عنها يوما أن شاباً قطرياً دخل بعض الأماكن الخربة فوجد الشيطان على صورته الحقيقية ، وكان معه كميرة تصوير ، فصوره ثم مات !!!! ثم نسي الناس ما حدث. وفي ذات الوقت كانت القناة الثانية المصرية تزيع مسلسلاً أجنبياً لا أدري ما أسمه الأن لكن بطله اسمه " **هرقل** " وبطلته تسمي " **زينا** " وكان شبه عرايا ، كما هو الحال في جميع أفراد المسلسل ، وهو يمثل هذه المعتقدات الشيطانية وكنت تمشي في الطرقات ساعة إزاعة هذا المسلسل نجد الشوارع خالية من الناس ، ووسائل المواصلات سهلة جداً ، لأن جميع الناس ، إلا من رحم أمام هذا المسلسل الذي يمثل جزء من عبادة الشيطان ، وومتقدات هذه الجماعة ، ومن دون شك فقد تأثر كثير من الناس صغاراً وكباراً بهذا المسلسل ، حتى أن شركات " **الشبسي** " و الكارتيه " أخرجت لنا نوعان منهما باسم هرقل وقد تصدرت صورته الكرتونة التي تحمل المنتج، وكذلك صورة " **زينه** " وهم عراة !! .

هذا بخلاف أفلام الرعب التي تسيطر الأن على القنوات ، وأفلام الكرتون ، وعالم سمسم وهو في الحققة " **سم × سم** " .

ولو هناك باحث منصف يجلس لهذه القنوات، لاستخرج منها الواسائل التي وصلت من خلالها عبادة الشيطان إلى بلادنا – ولا وجد أن ثلثي ما يبث في هذه القنوات عبادة شيطانية – والله المستعان .

فإلي الأب الأمين ، وإلي الأم الأمينة ، نقول :

يجب مراقبة النت ، والكمبيوتر ، والتلفاز ، والشرائط وجميع الأجهزة التي تقرب العالم من بعضه حتى التلفون المحمول وغيره –كل هذه الأجهزة يجب مراقبتها ، قبل أن تصبح يوماً فتجد ابنك ساجد للشيطان ، أو يعبد صنماً ، أو كلاباً ، أو خنزيراً، أو امرأة ، إلخ !!! .

(25)
صـد الشيطـان

الصد يأتي على معاني منها :

الضحك : قال الخليل بن أحمد ، تقول : صد يصد صداً ، وهو شدة الضحك والجلبة ، قال الله تعالى ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزُّخرُف:57] أي : يصدون ويضحكون .

وبمعنى : عدلته عنه : قال : وصددته عن كذا صده صدا ، أي عدلته عنه وصددت عنه بنفسي صدوداً[1] .

وبمعني الضَّبح والعج ، قال في " المحكم " (8 / 173) :

" وصد يصد صداً ، ضحَّ وعجَّ ، وفي التنزيل : ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ فيصدون : يضبُّحون ، يصدون : يعرضون.

والصدد : الصدُّ : الإعراضُ والصُّدُوف .

صدَّ عنه يصدُّ وَيَصُدُّ صَدّاً ، وصَدُداً : أعرض ويقال : صَدَّهُ عن الأمر يَصُدُّه صَدّاً : منعه وصرفه عنه وفي " التنزيل : ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [النمل:24] أي: صرفه والصد : الهجران ، ومنه " **فيصد هذا ويصد هذا** " أي : يعرض بوجهه عنه . راجع اللسان مادة (**صدد**) .

والصد ورد في كتاب الله تعالى في واحد وأربعين موضعاً ، في ثلاث وعشرين سورة .

والصد لم يختص به الشيطان فحسب ، بل هناك من يستخدم الصد ، لصرف الناس عن الإيمان مثل الكفرة والمشركين وعُبَّاد الأصنام .

وهذا الصد الذي كان يستخدمه أهل الشرك والكفر ، أكثر ما ذكر في القرآن ، فقد ذكر صد الكفار في أكثر من خمسة وعشرين موضعاً ، أما صد الشيطان فقد وقع في القرآن في أربعة مواضع فقط ، وإن كان الصد كله بأشكاله وطرقه من الشيطان . وهذا بيان تفصيلي لما ورد عن " **الصد** " في القرآن الكريم .

أولاً : صد استخدمه الشيطان ، وورد في أربعة مواضع .

---

(1) كتاب العين للخليل بن أحمد (2 / 382) مادة " **صدد** " .

ثانياً : صد المنافقين وورد في القرآن في نحو خمسة مواضع .

ثالثاً : صد المشركين وورد في نحو خمسة وعشرين موضعاً .

رابعاً : صد فرعوني ، استخدامه فرعون وقد ورد في موضع واحد .

خامساً : صد ممدوح وقد وقع مرة واحدة ذلك من نبي الله سليمان عليه السلام من قوله تعالى : ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [النمل:43]

والصد الذي وقع من هولاء قديماً – دون الخامس – وقع بأساليب مختلفة منها :

الصد المالي لقوله تعالي : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:36] وقد أخرج ابن إسحاق (3/ 3) بتحقيقي ، وعنه ابن جرير في " **تفسيره** " (16077) وفي " **تاريخه** " (2 / 500) " لما أصيبت قريش يوم بدر ، ورجع فَلُّهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان ، بعيره ، مشي عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمه بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش أُصيب أباؤهم وأبناؤهم وإخزانهم ببدر ، فكاموا أباسفان ابن حرب ،ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قدو تركم ، وقتل خياركم ، فإعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ! فنعلوا . قال : ففيهم - كما ذكر ابن عباس – أنزل الله عز وجل الآية . ونقل الحافظ ابن كثير ذلك في " **تفسير** " (4 / 57) وقال :

وهكذا روي عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحكم بن عتيبة ، والسدي وابن أبي أبزي : أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أُجدٍ لقتال رسول الله ﷺ - ثم قال : رحمه الله :

" فقد أخبر الله تعالي أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق ، فسيفعلون ذلك ، ثم تذهب أموالهم ﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ [الأنفال:36] أي : ندامة ، حيث لم تجد شيئاً لأنهم أرادوا إطفاء نور الله ، وظهور كلمتهم على كلمة الحق ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، وناصر دينه ، ومعلن كلمته ، ومظهر دينه على كل دين ، فهذا الخزي لهم ، في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب النار ، فمن عاش منه أي بعينه وسمع

بأذنه ما يسوؤه، ومن قتل منهم أو مات فإلي الخزي الأبدي، والعذاب السرمدي ، ولهذا قال : ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[الأنفال:36] قلت : من تأمل هذه الآية حق التأمل وجد أن أكثر أهل الأرض صادون عن سبيل الله ومن جميع الملل والنحل ، وهم لا يشعرون .

اما أهل الكفر والإلحاد فمعروف ما عندهم ، وما يمكرونه ضد الإسلام وأهله، وما يجندونه من أموال وطاقات للصد عن سبيل الله. لكن المصاب الأعظم هو أن تجد أهل الإسلام يصدون بأموالهم عن سبيل الله.

فبناء المسارح ، والسينمات ، والملاهي ، وصناعة السياحة ومصانع الخمر ، والسجاير ، والملاهي الليلية ، وبناء الكنائس والأندية الكروية ، والأموال التي تنفق على أهل العفن الفني ، وغيرها شاهدة على هذا الواقع المر ، ومبرهنه على الصد الحقيقي عن دين الله .

والأموال التي تبذل من قصور الثقافة على طبع الكتب والروايات التي تشيع الفاحشة في مجتمع المسلمين .

وليست مكتبة الإسرة عنا ببعيد ؟ !! .

في الوقت الذي لا يجد فيه عالم من أعلام المسلمين ما ينفقه لطبع كتاب ينفع الإسلام والمسلمين .

حتى بيوت الأيتام التي في أيدي سفهاء لا يحسنون التصرف في أموال الأيتام ، فيأتون بالمغنين والراقصات وينفقون عليهم أموال الأيتام لأحياء ليلة للأيتام ! .

ومنذ أيام قلائل طالعتنا جريدة الجمهورية عن إعلان في مساحة نصف صفحة كلف الآف ، وذلك لدعوة الأغنياء لحضور الحفل السنوي لدار أيتام في مدينة دمنهور التابعة لمحافظة البحيرة ويحي هذه الليلة المغني فلان الذي حصل على 75 ألف جنيه فقط ، وترك باقي أجره للأيتام ؟!!!! .

هولاء ، وهولاء صادون عن سبيل الله تعالي من غير شك .

الرجل الذي اشتري لأولاده جهاز تلفاز من ماله ، فقد أنفق ماله ليصد عن سبيل الله .

والذي بني محلا لبيع السجاير وخلافه ، صاد عن سبيل الله .

والذي بني محلاً لحلق اللحي وتنميص الرجال ، صاد عن سبيل الله والذي بني محلاً لبيع أشرطةالفديو ، والغناء ، هو الأخر من أكبر الصادين عن سبيل الله .

وحصر الذين يصدون عن سبيل الله وهم لا يشعرون عسير جداً ولم يكن الصد بالمال عن سبل الله هو الأول والأخر ، بل هناك صد بالكلمة ، وصد بالاستهزاء والسخرية والضحك ، أما الصد بالدعوات الباطلة فهو على قدم وساق .

فالمذاهب الفكرية المعاصرة ، والأحزاب المناهضة للإسلام ، الداعين لها ، والمدافعين عنها ، والذين ينفقون أموالهم لترويجها ، صادون عن سبيل الله .

العالمانية : أو اللادينية ، ويهتفون الحكم والمرجع إلى العلم ، أي الدنيوي لا العلم الشرعي ، ويقومون بنشر هذا المذهب داخل الجامعات حتى الإسلامية ، وعلى قنوات الإباحة ، هولاء صادون عن سبيل الله ، الديمقراطية : وهي حكم الشعب بالشعب وللشعب ، ويحاول أصحابها إرساءها في بلاد المسلمين ، وصنعوا للديمقراطية تماثيل ، وجعلوا منها دين ، يدان به لله تعالي !! .

واتباعها يتشدقون بها ليل نهار ، وصباح مساء ، لا يفترون ولا يصابون بالملل ، وعندهم همة عالية في إشاعة مذهبهم ، ولو بالسلاح والقهر والظلم ، وسخروا كل طاقاتهم ، وأسلحتهم لتمكين مذهبهم في البلاد – والعجب أنهم يقولون : هذا شيء والإسلام شيء آخر !! .

والشيوعية التي تحطمت صنمها وانهارت في جميع بلاد الغرب حتى التي تأسست فيها ونشأب بها الشيوعية ، لكن مازالت موجودة ولها اتباع في البلاد الإسلامية ، وأقلامهم المسمومة تكتب عنها ليل نهار، هولاء وغيرهم من أكبر الصادين عن سبيل الله تعالي .

والشيعة ، بكل فرقهم صادون عن سبل الله ، وأظهروا للعالم الغربي المتعطش للدين الحق على أن الإسلام ما هو إلا إراقة دماء ، وضرب الروؤس بالسيوف ، والسجود على التربة الطاهرة، وذم الصحابة ، وتأليه بعض أهل البيت ، هولاء من أعظم الصادين عن سبيل الله تعالي.

وغيرهم – من أصحاب الملل والنحل ، والمذاهب والفرق ، والأحزاب التي تخالف منهج أهل السنة – كلهم صادون عن سبيل الله تعالي :

أما عن صد المنافقين ، وهم الذين ابطنو الكفر وأظهروا الإسلام فيأتي على صور، وكلها ترجع إلى تشوية صورة الإسلام ، واحتقار المتمسكين به ، ومعاداة أهل السنة ، ورميهم بأبشع التهم ، والألقاب – مثل الإرهاب ، الخوارج –

المتصوفة : عباد القبور ، وأصحاب . الموالد ، الداعين إلى الشرك ، المتقربين إلى غير الله تعالي ، المهتمين بالشطح والنطح ، ومخالفة الدين الحق – هو لاء من أعظم الصادين عن سبيل الله تعالي.

الممثلين والمغنيين ، الذين يشيعون الفاحشة في مجتمع المسلمين ، من أكبر الصادين عن سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ! وقس على ذلك كل من استخدم وقته وقلمه وماله ولسانه لغير الله تعالي ، أو لخدمة دين الله تعالي والدفاع عنه ، فهو من الصادين عن سبل الله تعالي .

وكل هو لاء من جنود إبليس ، ودعاة الشيطان ، الذين استخدمهم الشيطان للصد عن دين الله تعالي ، فهم يعملون لحساب إبليس وباعوا أنفسهم للشيطان، وسخروا أموالهم وأوقاتهم وما يملكون لخدمة الشيطان وإظهار دين إبليس على دين الله تعالي ! .

أما صد الشيطان فقد ورد في هذه الآيات .

الأولي قوله تعالي ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل:24]

قال القرطبي : رحمة الله:–

" فصدهم عن طريق التوحيد ، وبين بهذا أن ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إلى الله وتوحيده " (1) .

قال ابن كثير – رحمة الله :–

فصدهم عن السبيل " أي " : لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود له وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها " (2) .

(1) تفسير (7 168)

(2) تفسير (6 / 201)

الآية الثانية : قوله تعالي :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:91] وسبق أن تكلمنا عن هذه الآية ، والمقصود أن الشيطان يصد أهل الكفر عن سبيل الحق ، فلا يرونه ، ويرونه باطلاً ، فيمنع أهل الكفر من قبول الحق ، ومن رؤية الحق ، والدخول في الإسلام . ويصد أهل الإيمان عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، إما أن ينسيهم ذلك ، أو يستخدم أشياء أخري للصد ، مثل أن يدلهم على الخمر ، أو يلهيهم بأداوت اللهو الكثيرة المختلفة عن ذكر الله وعن الصلاة إن تركهم يصلون ، فيشغلهم في الصلاة ، ويصرفهم عن الخشوع ، إن أحسنوا الخشوع والركوع والسجود فيكون ذلك للرياء ، فهو لا ينام ، ولا يرتاح ، ولا يهدء ، ولا يكل ولا يمل ، حتى يفسد على العبد صلاته وعبادته بكل وسائل الفساد –لعنه الله – بصد المرأة عن قبول الحق ، فلا يدعها إلا متبرجة ، أو سافرة ، وتقول الإسلام شيء ، والحرية الشخصية شيء أخر !! .

الآية الثالثة قوله تعالي :

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل:24] في هذه الآية استخدم التزين للصد عن سبيل الله ، فهذا نوع أخر من الصد ، ويا ليهم كانوا قد وقعوا في التزيين وهم جهلة لا يسلمون ، لكن وقعوا في التزيين وقبلوا الصد وهم بصراء بالحق كما قال مجاهد ، عالمين به ، وهو مازاد من الخطب .

الآية الرابعة قوله تعالي :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزُّخرُف:36،37] .

ابن الجوزي – رحمه الله – في " زاد المسير " (7 / 315): قوله (ومن يعش) فيه ثلاثة أقول :

أحدها : يعرض ، قاله الضحاك عن ابن عباس ، وبه قال : قتادة ، والفرّاء والزَّجَّاج .

والثاني : يَعْمَ ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وبه قال عطاء ، وابن زيد والثالث : أنه البصر الضعيف ، حكاه الماوردي .

وقال أبو عبيدة : تُظْلم عينه عنه .

وقال الفـرّاء : من قرأ " **يّعشُ** " فمعناه : يُعرض . ومن نصب الشين " **يَعْشَ** " أراد يَغْمَ عنه .

قال ابن قتيبة : لا أري القول إلا قول أبي عبيدة ، ولم يز أحداً يجيز " **عـشوت** " عـن الشيء: أعرخدت عنه ، إنما يقال " **تعاشيت عن كذا** " أي : تغافلـت عنـه ، كـأني لم أره ، ومثله : تعاميت والعرب تقول : " **تموت إلى النار** " إذا استدلل إليها ببصر ضعيف .

قال المفسرون : " ومَنْ يعشُ عن ذكر الرحمن) فلم يَخَفَفْ عقابه ولم يلتفت إلي كلامـه (**نقيض له**) أي : نسبب له (**شيطاناً**) فنجعل ذلك جـزاءه (**فهـو لـه قـرين**) لا يفارقـه (**وإنهم**) يعني الشياطين (**ليصدونهم**) يعني الكافرين ، أي : يمنعونهم عن سبيل الهـدي وإنما جمع ، لأن " **مَنْ** " في موضع جمع (**ويحسبون**) يعني كفار بني آدم (**أنهم**) على الهدي .

قـال الزَّجّـاج : " **أن من أعرض عن القرآن وما فيـه مـن الحكمـة إلى أباطيـل المـضلين نعاقبه بشيطان نقيضه له حتى يضله ويلازمه قريناً فلا يهتدي ، مجازاة له حين أثـر الباطـل على الحق المبين** " (1) .

قال ابن عطية – رحمة الله :-

فالمعني في الآيـة : "ومن يقل نظره في شرع إليه ويغمض جفونه عن النظـر في ذكـر الرحمن ، أي فما ذكر به عباده ، فالمصدر إلى الفاعل (**نقيض له شيطانا**) أي نيسر له ، ونعد ، وهذا هو العقاب على الكفر بالحتم وعدم الفلاح ، وهذا كـما يقـال : إن الله يعاقـب عـلى المصيبة بالتزيد في المعاصي ، ويجازي على الحسنة بالتزيد من الحسنات (2)

قال القرطبي : رحمه الله :-

" فمن يعش عن ذلك الذكر بالإغراض عنه إلى أقول بل المضلين وأباطيلهم (**نقيض له شيطانا**) أي : نسبب له شيطاناً جزاء له على كفر (**فهو له قـرين**) قبـل : في الـدنيا ، يمنعه من الحلال ، ويبعثه على الحرام ، وينهاه عن الطاعة ، وبأمره بالمعصية .

---

(1) معاني القرآن (ص 200) وتقله الواحد في " الوسيط (4 / 72)

(2) المحرر الوجيز (5/ 55)

وقيل : في الآخره إذا قام من قبره ، قاله سعيد الجريري ، وفي الخبر : أن الكافر إذا خرج من قبره يشفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخلا النار ، وأن المؤمن يشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه .

وقوله ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الزُّخرُف:37] أي: وإن الشياطين ليصدونهم عن سبيل الهدي

وقوله ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف:37] وقيل : ويحسب الكفار أن الشياطين مهتدون فيطبعونهم " [1].

قلت : ليس ببعيد أن يكون جمال البنا وأمثلة معهم جملة من هولاء الشياطين ، وذلك بقدر الغثاء الذي يخرج من ألسنتهم !! لهذا قال النيسابوري :

" ثم بين أن مادة كل الآفات وأصل البليات هو السكون إلى الدنيا والركون إلى أهلها ، فإن ذلك بمنزلة الرمد للبصر ، ويصير بالتدريح كالعشي ، ثم كالعمي ، فقال ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الزُّخرُف:36] أي عن القرآن يعرف أنه الحق ولكنه يتجاهل [2]

وفي الآية الخامسة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الزُّخرُف:62]

قال القرطبي :

" أي : لا يغتروا بوساوسة وشُبه الكفار المجادلين ، فإن شرائع الأنبياء لم تختلف في التوحيد ولا فيما أخبوا به من علم الساعة وغيرها بما تضمنته من جنة أو نار" [3]

(1) تفسير القرطبي (8 / 400)
(2) غرائب القرآن (10 / 108)
(3) القرطبي تفسير (8 / 415)

(26)
أوليـاء الشيطــان

الولاية : النصرة .

وقبل : السلطان

وقيل : الولي المتصرف في الأمور

والولي : الذي يلي الأمور والكفالة .

ولها معان كثيرة ، فراجع اللسان مادة " **ولي** "

ولقد جاء في القرآن ولاية الشيطان في عشرة مواضع ، نذكرها ونذكر معها أقوال أهل العلم ، ثم نلخص هذه الولاية وعواقبها . الآية الأول ، قوله تعالي .

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:175]

قال ابن الجوزي في " الزاد " :

قوله تعالي : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ قال الزجاج : معناه : ذلك التخويف كان فعل الشيطان سوّله للمخوفين .

وفي قوله تعالي ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ **قولان** :

أحدهما : أن معناه : يخوفكم بأوليائه ، قاله الفرّاء ، واستدل بقوله تعالي: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ [الكهف:2] :أي ببأس ، وبقوله تعالي ﴿ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ [غافر:15] أي : بيوم التلاق .

وقال الزجاج : معناه : يخوفكم من أوليائه ، بدليل قوله تعالي : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾ وهذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير وعكرمة وإبراهيم ، وابن قتيبة.

والثاني : أن معناه : "يخوف أولياءه المنافقين ، ليقعدوا عن قتال المشركين ، قاله الحسن ، والسدي ، وذكره الزجاج "

وقوله تعالي : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ يعني : أولياء الشيطان " **وخافون في ترك أمري** "

وقال ابن عطيه في المحرر " (1 / 5431 – 544)

" مقتضي (**إنما**) في اللغة الحصر ، هذه منزع المتلكم بها من العرب ، ثم أنظر مقتضاها عقلاً – وهذا هو نظر الأصوليين فهي تصلح للحصر وللتأكيد الذي يستعاد له لفظ الحصر ، وهي في هذه الآية حاصرة ، والإشارة بـ (**ذلكم**) إلي جميع ما جري من أخبار الركب العبديين عن رسالة أبي سفيان من تحميل أبي سفيان ذلك الكلام ، ومن جزع من ذلك الخبر من مؤمن أدمتزدد و (**ذلكم**) في الإغراب ابتداء ، و (**الشيطان**) مبتدأ أخر ، و ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ خبر عن الشيطان والجملة خبر الابتداء الأول ، وهذا الإعراب خير في تناسق المعني من أن يكون (**الشيطان**) خبر (**ذلكم**) لأنه يجي في المعني استعارة بعيدة و (**يخوف**) فعل يتعدي إلى مفعولين – لكن يجوز الاقتصار على أحدهما إذا الأخر مفهوم من بنية هذا الفعل ، لأنك إذ قلت : خوفت زيداً فمعلوم ضرورة أنك خوفته شيئاً حقَّه أن يخاف ، وقرأ الجمهور ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ فقال قوم المعنى : يخوفكم أيها المؤمنون أولياءه الذين هم كفار قريش ، فحذف المفعول الأول ، وقال قوم : المعني : يخوف المنافقين ومن في قلبه مرض وهم أولياؤه ، فإذا لا يعمل فيكم أيها المؤمنون تخويفه ، إذ لثم بأوليائه ، والمعنى : يخوفهم كفار قريش ، فحذف المفعول الثاني ، واقتصر على الأول ، وقرأ ابن عباس فيما حكي أبو عمرو الداني "**يخوفكم أولياءه**" والمعني : يخوفكم قريش ومن معهم ، وذلك بإضلال الشيطان لهم وذلك كله مضمحل ، وبذلك قرأ النضعي وحكي أبو الفتح بن جني عن ابن عباس أنه قرأ " **يخونكم أولياءه** " فهذه قراءة ظهر فيها المفعولات ، وفسرت قراءة الجماعة ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾قراءة أبي بن كعب (**يخوفكم بأولياءه**) والضمير في قوله (**فلا تخافوهم**) لكفار قريش وغيرهم من أولياء الشيطان ، حقَّر الله شأنه وقوّي نفوس المؤمنين عليهم وأمرهم بخوفه هو تعالي وأمتثال أمره، من الصبر والجلد.

أما القرطبي فقال :

قال ابن عباس وغيره : " المعنى يخوفكم أولياءه أي : بأوليائه أو من أوليائه أي : يخوف المؤمنين بالكافرين .

أما الحسن والسدي فقالا : المعني : يخوف أولياء المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين فأما أولياء الله فإنهم لا يخافونه إذا خوفهم "

وأنا أرجح الثاني لغةً ومعنًا وسنداً ، فإن تفسير ابن عباس رواه عنه ابن جرير (4 / 122) بسند ضعيف مقطوع ، وإن كان له وجه في اللغة لكنه مرجوح ، والله أعلم .

ثم قال القرطبي : قوله تعالي (**وخافون**) أي : خافون في ترك أمري إن كنتم مصدقين بوعدي ، والخوف في كلام العرب الذعر ، وخاوفني فلان فخفته: أي : كنت أشد خوفاً منه "

ثم قال " ففرض الله تعالي على العباد أن يخافوه فقال ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:175] (1) .

قلت : الجزاء من جنس العمل ، فمن اتخذ غير الله ولياً عوقب بهذا الخوف ولأن ولاية غير الله مذلة ومهانه ، فكان الخوف الذي ينتظر كل من اتخذ الشيطان ولياً من دون الله تعالي .

أما ولاية الرحمن فتكسب صاحبها عزة وكرامة، ثم أمناً في الدنيا والأخرة قال تعالي: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس:62] فمن اتخذ الله وليا فهو في أمن ولا يلحقه خوف في الدنيا والأخرة ، بخلاف من اتخذ الشيطان ولياً يلحقه الخوف ، ويدركه الحزن، وتسيطر عليه الوساوس والأوهام ، جزاءاً وفقاً.

الثانية قوله تعالي ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:76]

قال الواحدي في " الوسيط " (2/81) :

" قوله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ في نصرة دين الله وهو سبيله الذي يؤدي إلى ثوابه ورحمته ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني : المشركين واليهود والنصاري ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ في طاعة الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ ﴾ قال ابن

---

(1) التفسير (2 / 625)

عباس عبدة الأصنام ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ سعيه في إيقاع الضرر بالمؤمنين على جهة الاحتيال ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ يعني : خذ لأنه إياهم يوم قتلوا ببدر " .

والتفاسير على كثرتها لم تروظمئ ، ولم تشف غليلي في توصيح المعنى وبعضهم لم يتكلم عنها بشيء ! .

ومن التعليقات الجياد على هذه الآية قول البقاعي في " نظم الدررن (2/ 281) : " ولما أخبر عن افتقارهم إلى الأنصار وتظلمهم من الكافر ، استأنف الإخبار عن الفريقين فقال مؤكداً للترغيب في الجهاد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي صدقوا في دعواهم الإيمان ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ أي تصديقاً لدعواهم من غير فترة أصلاً ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي : الذي له الإحاطه بجميع صفات الكمال قاصدين وجهة بحماية الذمار وغيره ، وأما من لم يصدق دعواه بهذا فما آمن ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ﴾ أي كذلك ﴿فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ فلا ولي لهم ولا ناصر .

لما كان الطاغوت الشيطان أو من زيَّنه الشيطان ، وكان كل من عصي الله منه وممن أغواه حقيراً ، سبب عن ذلك قوله ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ ثم علل الجرأة عليهم بقوله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي الذي هو رأس العصاة ﴿كَانَ﴾ جبلة وطبعاً ﴿ضَعِيفًا﴾

أقول والله أعلم :

قوله تعالي ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ أي من ينوب عنه ، ويقوم مقامة ، ويتكلم بلسانه ، من الأولياء والأتباع ، سواء كانوا كفاراً أو نصاري ، أو يهود ، أو حتى من المسلمين الذين يدعون للأحزاب الشيطانية ، كالعلمانية ، والشيوعيه ، والديموقراطيه ، والشيعية، وغيرها من الأحزاب المناهضة للإسلام ، هولاء جميعاً دعاة علي أبواب جهنم ، ودعاة للشيطان المريد ، فأمر الله تعالي المؤمنين بأن يقاتلوا أولياء الشيطان والدعاة إلى سبيله ، في كل مكان وزمان .

ومن يتخلف عن مقاتلة أولياء الشيطان وأتباعه ، والدعاة له ، فقد ترك ما أمربه ، ووقع فيما نهي عنه ، والله أعلم .

وكل داع إلى دين غير دين الإسلام ، وكل داع إلى منهج غير منهج أهل السنة ، فهو متبع لسبيل الشيطان ، وولي من أوليائه ، بل أحد دعاته المخلصين !! يجب مقاتله ، وبيان ضلاله للناس ، وتحذر الخلق منه ، وبيان حاله ، وعدم السكوت عنه .

الآية الثالثة : قوله تعالي :

﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:119]

بين الله تعالي في هذه الآية أن من اتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر الخسران الأكبر ، وضاع الضياع المحقق .

ووضح الله الأمر وجلاه لأصحاب البصائر فقال تعالي: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج:3،4]

فإن أتباع الشيطان وحاملي لواءه ، والذين يتولونه ، يضلهم الشيطان ويهديهم في الآخرة إلى عذاب السعير ، فإذا كانت هذه نهاية ولا ية الشيطان ، وما صنع بأتباعه وأصحاب .. ولا يته ، فهل بعد هذا بيان .... والله يقول : أن الشيطان يهدي أولياؤه إلى النار ، وهم بهذه الولاية خاسرون ، ضالون ، ويقول أن ولايته سبحانه تهدي إلى الجنة والمغفرة ، فهل بعد هذا البيان تستبدل ولاية آخرها الفردوس ، ورضا الرحمن ، بولاية عاقبتها الضلال والخسران والسعير.

قال البقاعي ، رحمة الله :-

﴿كُتِبَ﴾ أي قضي وقدر على سبيل الحتم الذي لا بد منه ، تعبير باللازم مع الملزوم ﴿عَلَيْهِ﴾ أي على ذلك الشيطان﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي : يفعل معه فعل الولي وليه ، باتباعه والإقبال على ما يزينه﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ بما يبغض إليه " من الطاعات فيخطيء سبيل الخير " (1).

وقال تعالي على لسانه إبراهيم : ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم:45]

(1) نظم الدرر (5 / 132)

قال ابن الجوزي في " الزاد (5 / 236):

﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ **؛ أي ؛** قريناً في عذاب الله ، فجرت المقارنة مجري الموالاه.

وقال القرطبي (6/ 102) ؛ (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) أي : إن مت عل ما أنت عليه ويكون بمعنى : أعلم ، ويجوز أن يكون ﴿أَخَافُ﴾ على بابها فيكون المعنى: إني أخاف أن تموت على كفرك فيمسك العذاب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي : قريناً في النار .

ثم قال تعالي موضحاً أن ولا ية الشيطان سبباً في تسلطة على العبد ، ويصبح الشيطان عليه سلطان ، يخافه ويهابه من دون الله ، بل ويأمره وينهاه فقال تعالي :

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَانٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[النحل:99،100] فقد بين العزيز الجليل ذو السلطان الغالب الذي لا يقهر أن للشيطان سلطان لكن هذا السلطان على الذين تولوا الشيطان وأشركوا بذي الجلال والإكرام، أما الذين آمنوا بالله تعالي وأحسنوا التوكل عليه فلا سلطان عليهم البتة ، لأنه سبحانه قد أمنهم . منه ، وأجارهم بحوله وقوته من سلطانه وعداوته.

ثم بين الحكيم العليم في كتابه العظيم أن الشيطان قد زين للأمم السابقة عبادة غير الله، وأمرهم بالتمرد على الله وعلى رسل الله تعالي فهو اليوم – أي القيامة ، يوم الحساب والجزاء ، وليهم ، من دون الله ، فهل تنفعهم هذه الولاية ؟ وهل هو ناصرهم حقاً ، وهل سيشفع لهم في هذا الموقف ؟ أم أنهم كغيرهم لن يجدوا شفعاء لأنهم اتخذوا الشيطان وليًا من دون الله ، قال تعالي ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل:63]

أي ؛ لن تجدي هذه الولاية ، ولن تنفعهم بشيء ، ولهم العذاب المحقق ، والعقاب الموعود ، والله أعلم .

ثم وضح الله تعالي في كتابه العزيز أنه جعل الشيطان أولياء للذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يؤمنون بالجنة ولا بالنار فقال تعالي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:27] .

ثم قال مبيناً أن الذين اتخذوا الشيطان ولياً من دون الله ضل طريق الهداية وأصيب بالغواية ، فظن الباطل حقاً ، والحق باطلاً ، وسول له الشيطان أنه على الهدي المبين فقال تعالى : ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:30]

وبعد عمر مضاء المضل الذي تولي الشيطان ، وأصبح رأساً عند الشيطان ، وسار جنداً له ، ومتابع لأمره ، وأصبح قريباً منه ، ومن أخص أولياء أصبح الشيطان يخصه من دون غيره بمزيد من القرب ، ومزيد من الحب ، فأوحي إليه ، وتنزل عليه ، فقال الله تعالي ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:121]. وسيأتي الكلام على وحي الشيطان إن شاء الله تعالي

وتخلص منهذه الولاية الشيطانية بالآتي :

1 – الضلال والهداية إلي السعير الذي ينتظر كل ولي للشيطان .

2 – أن ولي الشيطان خاسر خسراناً مبيناً ، ولعل هذا الخسران هو حرمانه من ولاية الرحمن ، ثم دخول النار .

3 – أن ولي الشيطان دائماً في خوف مستمر ، وفزع دائم .

4 – أن ولي الشيطان أعطي للشيطان التسلط عليه والتحكم فيه .

5 – وعلى كل ولي لله تعالي محاربة أولياء الشيطان ومطاردتهم في كل مكان .

6 – ثم الاستبدال الذي استبدله ولي الشيطان حينما أمن بوحي الشيطان وكفر بوحي الله تعالي وهو القرآن .

فهل بعد ذلك يبقي للعاقل حجة في ترك ولاية الله ، والتمسك بولاية الشيطان ؟ !!

(27)
وحـــي الشيطـــــان

الوَحْيُ : الإشارةُ والكتابة والرِّسالةُ ، والإلهام ، والكـلام الخفـيُّ وكـلُّ مـا ألقيتَـهُ إلى غيرك .

يقال : وَحَيْتُ إليه الكلام وأوحيتُ . وَوَحَي وحياً وأوحي أيضاً : أي : كتب .

وأوحـي إليـه بعثـه . وأوحـي إليـه : ألهمـه . وفي التنزيـل ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل:68] وفيه ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[الزلزلة:5] أي : إليها ، فمعني هذا أمرها .

وَوَحَى إليه وأوحي . كلمة بكلام يخفيه من غيره.

وَوَحَي إليه وأوحي : أومأ وفي التنزيل ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم:11] قال الفراء : فأوحي إليهم : أي أشار إليهم .

وأوحي الله إلى أنبيائه ، وأوحي إلي عبده: كلم عبده بلا رسول. وقـال تعـالي ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ﴾ [الأنعام:112] معناه : يسر بعضهم إلى بعض .

وقوله ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [المائدة:111].

قال بعضهم : الهمتهم كما قال تعالي ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ وقال بعـضهم : ﴿أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ [المائدة:111] أمرتهم [(1)].

قال ابن عباس : هما وحيان ، وحي الله ، ووحي الـشيطان ، فـوحي الله إلى محمـدﷺ ووحي الشيطان إلى أوليائه ثم قرأ ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾[الأنعام:121] [(2)] قلت : وهي أول الآيات في هذا الفصل ، وتحت هذا العنوان . فوحي الشيطان يلقيـه إلى أوليائه ، ويوحي به إلي أتباعه ، والخواص من المقربين إليه .

وأخرج الطبري (12 / 88) **أن رجلاً قال لابـن عمـر :** إن المختار يزعم – وهو ابـن أبي عبيد الكذاب – أنه يوحي إليه ؟ قال : صدق ، ثم تلا هذه الآية .

---

(1) اللسان مادة " وحي " .

(2) أخرجه الطبري (8 / 16) وابن أبي حاتم ، كما في تفسير ابن كثير (3 / 368)

وأخرج ابن جرير (8 / 16) عن أبي زميل قال : كنت قاعداً عند ابن عباس – رضي الله عنهما – وحج المختار بن أبي عبيد ، فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس ، زعم المختار أنه أوحي إليه الليلة ؟ فقال ابن عباس : هما وحيان ، وحي الله ، ووحي الشيطان ، فوحي الله إلى محمد ﷺ ، ووحي الشيطان إلي أوليائه ثم قرأ هذه الآية .

والشيطان يوحي لأوليائه من العرَّافين والدَّجالين ، ويتنزل عليهم ، بقصد إضلال البشر ، وغواية العباد، والتلبيس عليهم فعن عائشة رضي الله عنها قالت :

سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكُهّان فقال : " ليس بشيء " فقالوا : يارسول الله : إنهم يحدثوننا أحياناً بشيءٍ فيكون حَقّاً فقال رسول الله ﷺ : " تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة ". [1]

قال أبو سليمان الخطّابي رحمة الله :

" إن الجن كانوا يصعدون إلي جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنوا الأعلي بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه ...." [2] .

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام:112]

أخرج ابن جرير (52/12) عن عكرمة قال: ليس في الإنس شياطين، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن"

وأخرج أيضاً (52/12) عن عكرمة قال: للإنس شيطان، وللجني شيطان فيلقي شيطان الإنس شيطان الجن، فيوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

وعنه قال أيضاً : أما شياطين الإنس فالشياطين التي تضل الإنس وشياطين الجن الذين يضلون الجن ، يلتقيان ، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : إني أضللت صاحبي بكذا وكذا ، فأضْلِل أنت صاحبك بكذا وكذا ، فيعلم بعضهم بعضاً .

قال ابن كثير – رحمة الله:-

" فقهم ابن جرير من هذا أن المراد بشياطين الإنس عن عكرمة والسدي : الشياطين

(1) أخرجه البخاري (5762) ومسلم (4 / 1750) وأحمد (6 / 87)
(2) فتح الباري (11 / 6931)

من الجن الذين يضلون الناس ، لا أن المراد منه شياطين الإنس منهم . ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة ، وأما كلام السدي فليس مثله في هذا المعني ، وهو محتمل . وقد روي ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه قال : إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم ، قال : فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن، فيقول هذا لهذا أضلله بكذا ، أضلله بكذا فهو قوله تعالي ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأنعام:112] (1) وعلى كل حال فالصحيح من حديث أبي ذر : إن للإنس شياطين منهم ، وشيطان كل شيء ماردة، ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال **" الكلب الأسود شيطان "** (2) ومعناه : شيطان في الكلاب . وقال ابن جريح : قال مجاهد ، في تفسير هذه الآية: كفار الجن شياطين ، يوحون إلى شياطين الإنس ، كفار الإنس ، زحزف القول عزوراً (3) أخرجه ابن جرير (12 / 55) .

وعن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني حت كاد يتعاهد مبيتي بالليل ، قال : فقال لي : أخرج إلى الناس محدث الناس . قال : فخرجت فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ؟

فقلت : الوحي وحيان ، قال الله تعالي : ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف:3] . وقال تعالي ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأنعام:112] قال: فهموا بي أن يأخذوني ، فقلت : مالكم ذاك إني مفتيكم وصنيفكم فتركوني . وإنما عرض عكرمة بالمختار – وهو ابن أبي عبيدة قبحه الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أخته صفية تحت عبد الله بن عمر ، وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبد الله أن المختار يزعم أنه يوحي إليه قال : صدق ، قال الله تعالي : " وإن الشياطين ليوحون إل أوليائهم " وقوله تعالي ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأنعام:112] أي : يلقي بعضهم إلي بعض القول المزين المزخرف ، وهوا المزوق الذي

(1) فيه ضعف وانقطاع ، الضحاك لم يسمع من ابن عباس غر أنه منزوك
(2) أخرجه مسلم (1 / 365) وأبو داود (7020)
(3) تفسير ابن كثير (3 / 359 – 360)

يفتر سامعه من الجهلة بأمره " [(1)] .

قلت : وهذا حال كل مدّعي للنبوة ، إن الشياطين يوحون إليهم القول المزخرف ، والكلام المعسول المزين ، وذلك لإغراء البشرية وإيقاعها في المهلكات.

ومن جملة أولياء الشيطا الذي يوحي إليهم ، كل قائل بباطل ، وداع له ، كالذي يدعو إلى الأحزاب العلمانية، والدعوات الشركية ، فإن الشيطان يوحي إليهم الكلام المزحزف وذلك لجمع الناس إليهم . والوقوع في شراكهم .

فأنا أقول لشباب المسلمين ، لا تغتروا بالشعارات الحزبية ، والوعود الوردية ، والأحلام الهولامية التي ترفعها الأحزاب الموجودة عندنا ، فما هي إلا أحلام كاذبة ، ووعود أشد كذباً .

ولقد زم الله جميع الأحزاب إلا حزباً واحداً فقط ، وهو حزب الله وعلّق الفلاح في الأنضواء تحت لواءه فقال تعالي ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22] فإذا كان حزب الله هو المفلح فقط فغيره غير مفلح والإسلام ليس فيه أحزاب ، كما ليس فيه ديموقراطية ، ولا رأسمالية ، ولا قومية ، ولا غيرها من الأحزاب التي تخرج علينا كل يوم فهذه الأحزاب جميعها إلا حزب الله تابعة للشيطان ، واستقاءهم الأفكار منه، وترتيب أمورهم عن طريقه ، فهو مصدر رئيس لهذه الأحزاب ، ومصدر وحيهم ، ومهد دراستهم ، فإياك أخي الحبيب أن تغتر بمعسول القول ، او تخدع بمثلهم ، إن اللبيب بمثلهم لا يخدع .

وقال الله تعالي ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء:221،223]

" يقول تعالي (مخاطباً لمن زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ليس حقاً، وأنه شيء أفتعله من تلقاء نفسه ، أو أنه أتاه به رائي من الجن ، فنزه الله ، سبحانه ، جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ونبّه أن ما جاء به إنما هو الحق من عند الله ، وأنه تنزيله ووحيه ، نزل به ملك كريم أمين عظيم ، وأنه ليس من قبيل الشياطين ، فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا

(1) تفسير ابن كثير (3 / 360)

القرآن العظيم ، وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكُهّان الكذبة ، ولهذا قال إليه (**هل أبنأكم**) أي : أخبركم (**على من تنزل الشياطين بتنزل على كل أفاك أثيم**) أي : كذوب في قوله ، وهو الأفاك ، الأثيم أي : الفاجر في أفعاله . فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين كالكهان بما جري مجراهم من الكذبة الفسقة ، فإن الشياطين أيضاً كذبة فسقة .

(**يلقون السمع**) **أي :** يسترقون السمع من السماء ، فيسمعون الكلمة من علم الغيب ، فيزيدون معها مائة كذبة ، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيتحدثون بها ، فيصدقهم الناس في كل ما قالوه ، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء ، كما صح بذلك الحديث ، كما أخرج البخاري من حديث الزهري أخبرني يحيي بن عروة بن الزبير ، أنه سمع عروة بن الزبير يقول : قالت عائشة ، رضي الله عنها ، سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان ، فقال : " **إنهم ليسوا بشيء** " قالوا : يا رسول الله فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً ؟ فقال النبي ﷺ " **تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني ، فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة ، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة** " (1) .

وعن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال : " إذا قضي الله الأمر السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنها سلسلة علي صفوان ، حتى إذا أُفُزّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذين قال الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع ، هكذا بعضهم فوق بعض . ووصف سفيان فحرفها ، وبدّد بين أصابعه " فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الأخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر – أو الكاهن – فربما أدرك الشهاب قيل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذاء وكذا : كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت في السماء " انفرد به البخاري (4800) والترمذي (3223) وقال البخاري (3288) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال " **إن الملائكة تحدث في العنان – والعنان – الغمام – بالأمر يكون في الأرض ، فتسمع الشياطين الكلمة ، فتقررها في أذن الكاهن كما تقر القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة** " .

---

(1) أخرجه البخاري (7561)

(28)
إخـــوة الشيطـــان

الله سبحانه وتعالي غرس في نفوس البـشر بـالفطرة حـب الأخ لأخيـه ، كـما غـرس بالفطرة أيضاً حب النوع لنوعه ، ولا يتحول عن هذه الفطـرة إلا مـن انتكـست فطرتـه وتغيرت حلقته .

وكون الحب يكون بين متماثلين ، أو بين نوعين من الخلق فهذا طبيعي ، كما هي الفطرة التي فطر الناس عليها ، أو فطر الخلق عليها ، لكـن حيـنما يقـع الحـب ، أو الأخـوة بـين متعاديين ، مثل الثعبان والقط ، أو القط والكلب ، فهذه الأخوة تحول عن الفطرة ، وتغير في الطبيعة التي خلق الله تعالي الخلق عليها .

لكن قد تقع المصالحة بين المتعاديين إن كانوا من جنس واحد ، أو من نوع واحد ، أما إذا وقعت المصالحة بين من غرز الله تعالي بينهما العدوة ، فهذا مخالف للنوا ميس الكونية .

وإن وقعت المصالحة والأخوة بين متعاديين من الحيوانات فلن تقع المصالحة والأخوة بين متعاديين عداوتها أزلية ، لأن العداوة بين الإنسان والشيطان عداوة أزلية، غـير أنهـا فطرية ، والله تعالي جبل الخلق على بغض الشيطان ، وفطرهم على عداوته ، فإذا ما وقعت إخوة بين الإنسان وبين الشيطان ، لاشك في أن واحداً منها مستخلي عن أصوله ومبادئه ، إما أن يتخلي الشيطان عن شيطنته ، أو الأدمي عن أدميته ، ومن العـسير جـداً، بـل مـن المحال أن يتخلي الشيطان عن شيطنته ومبادئه وأصوله التي أقسم بين يـدي الله عليهـا لله سبحانه ، لكن قد يتخلي عن مبادئه وأصوله هو الإنسان ، فحينئذ سوف يتحول الإنسان في مبادئه وأصوله وأخلاقه إلى شيطان ، وإن بقي على خلقته .

إذا حينما يتخذ الإنسان الشيطان أخ له ، سوف يتحـول إلي شـيطان ، وبعـد التحـول الأخلاقي والأحولي ، يتحول معه علي دينه واعتقاده كما أخبر العزيز الحميد بذلك فقـال تعالي ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[الإسراء:27]وهذه الآية معناها أشبه بالمسائل الحسابية، التي فيها " بما أن وإذا ، فبما أن المبذر أخو للشيطان ،

والشيطان كان لربه كافوراً ، إذا المبذر مثله كان لربه كافوراً - لكن قد يكون الكفر هنا كفر نعمة ، هذا إذا كانت الأخوة القدر المشترك فيها التبذير فقط ، أما إذا كانت الأخوة هنا أخوة كاملة ، انسلخ فيها الإنسان من إنسانيته ودينه ، فيكون الكفر هنا ، كفراً كلياً ، لما هو حال الشيطان مع ربه عز وجل .

ولقد ذكر الله تعالي الأخوة والأخوة ، والأخ والأخت ، والإخوة بجميع مراتبها في نحو من خمسة وتسعين موضعاً .

ذكر فيها الأخوة الفاسدة ، التي تؤدي إلى فساد الحال ، وفساد الدين ، ويقوم الأخوة الفاسدين بإمداد الصالحين بالفساد حتي يكون أمثالهم ، فقال تعالي : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف:201،202]

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله : -

وقوله : ﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ ﴾ أي : وإخوان الشياطين من الإنس كقوله ﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ ﴾ وهم أتباعهم والمستمعون لهم القابلون لأوامرهم: ﴿يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ﴾ أي : تساعدهم الشياطين على فعل المعاصي ، وتسهلها عليهم وتحسنها لهم . وقال ابن كثير القارئ) " المد " الزيادة ، يعني : يزيدونهم في الغي : الجهل والسفه . ﴿ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾: قيل معناه : إن الشياطين تمد الإنسان لا تقصر في أعمالهم بذلك ، كما قال ابن عباس : لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين تمسك عنهم . وقيل معناه عن ابن عباس أيضاً : هم الجن يوحون إلى أوليائهم من الإنس: ﴿ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾ لا يسأمون .

ولا تسام من إمدادهم في الشر الأن ذلك طبيعة لهم وسجبة ﴿ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾ لا تفتر ولا تبطل عنه كما قال تعالي ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾[مريم:83] قال ابن عباس وغيره : تزعجهم إلي المعاصي إزعاجاً . (1)

(1) تفسيره (3 / 285)

أمـا أقـول أهـل العلـم علـى قولـه تعـالي : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء:27].

أخي الرجل مؤاخاة وإخاءً ووخاءً .

والعامة تقول : واخاه.

وهذا رجل من آخائي ، أي من إخواني .

وتأخيت وأخيت وأخوت تأخو أخوة وتآخيا ، وتأخيت أخاً أي : اتخذت أخاً ، والنبيﷺ : أخي بين المهاجرين والأنصار " **أي ألف بينهم بأخوة الإسلام والإيمان** " (1) وفي معنى الأخوة سئل أبو سليمان محمد بن طاهر السجستاني فقال له جل : إني أري بينك وبين ابن سيار القاضي ممازجةً نفسيَّةً ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومواتاة خلقية فمن اين هذا ؟ وكيف هو ؟ .

فقال : يا بني ! أختلطت ثقتي به بثقته بي ، فاستفدنا طمأنينة وسُكوناً : لا يرثَّان على الدهر ، ولا يجولان بالقهر ، ومع ذلك نبيننا بالطالع ، ومواقع الكواكب مشاكلةٌ عجيبةٌ ، ومظاهرةٌ غريبةٌ حتى أنا نلتقي كثيراً في الإرادات ، والأختيارات ، والشهوات ، والطلبات ، وربما تزاورنا فيحدثني بأشياء جرت له بعد أفتراقنا من قبل ، فأجدها شبيهة بأمور حدثت لي في ذلك الأوان ، حتى كأنها قائم بيني وبينه ، أو كاني هو فيها ، أو هو أنا ، وربما حدثته برؤيا فيحدثني بأختها فنزاها في ذلك الوقت أو قبله بقليل أو بعده بقليل " (2) .

قال ابن كثير رحمه الله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ ﴾ أي : أشباهم في ذلك.

قال ابن مسعود : التبذير الإنفاق في غير حق . ومثله قال ابن عباس ، وقال مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق ، لم يكن مبذراً ، ولو أنفق مُدّاً في غير حقه كان تبذيراً وقال قتادة : التيذير في معصية الله ، وفي غير الحق وفي الفساد. وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ ﴾ أي : في التبذير والسفه ، وترك طاعة الله وارتكاب معصية ، ولهذا

(1) الصدقة والصديق (ص 28 – 29) .
(2) اللسان ماله " أخو " .

قال : ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ أي : جحوداً لأنه أنكر نعمة الله وارتكاب معصيته ، ولم يعمل بطاعته ، بل أقبل على معصيته ومخالفته " [1] .

وقال ابن عطية – رحمة الله :-

(إخوان) يعني : " أنهم في حكمهم ، إذا المبذر ساع في فساد ، والشيطان أبداً ساع في فساد ، ثم ذكر كفر الشيطان ليقع التحذير من التشبه به في الإفساد مستوعباً بينا" [2] .

وقال العلامة الألوسي ، رحمة الله :-

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ تعليل للنهي عن التبذير ببيان أنه يجعل صاحبه ملزوزاً في قرن الشياطين ، والإخوان جمع أخ ، والمراد به المماثل مجازاً[3] أي أنهم مما ثلون لهم في صفات السوء التي من جملتها التبذير ، أو الصديق والتابع حجازاً أيضاً أي : أنهم أصدقاؤهم وأتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فإنهم كانوا يتحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبزرون أموالهم في السمعة وسائر مالاخير فيه من المناهي والملاهي أو القرين كما سبق أيضاً أي : أنهم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد. ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ من تتمة التعليل ، أي : مبالغاً في كفران نعمة الله تعالي لأن شأنه صرف جميع ما أعطاه عليه تعالي من القوي والقدر إلى غير ما خلقت له من أنواع المعاصي والإفساد في الأرض وإضلال الناس وحملهم على الكفر بالله تعالي وكفران نعمة الفائضة عليهم وصرفها إلى غير ما أمر الله تعالي به [4] .

قال العلاقة القاسمي رحمة الله :

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ أي : أمثالهم في كفران نعمة المال بصرفه فيما لا ينبغي . وهذا غاية المذمة لأنه شر من الشيطان.

---

(1) تفسيره (5 / 71 – 72)

(2) المحرر الوجيز (3 / 450) .

(3) هذه الكلمة فيها نظر ولقد كررها كثيراً في تفسيره ، ولعله تأثر بالزمخشري رأس المعتزلة.

(4) تفسيره روح المعاني (15 / 87 – 88)

أوهم إخوانهم أتباعهم في المصادقة والإطاعة. كما يطيع الصديق صديقه والتابع متبوعه، أوهم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد، والجملة تعليل المنهى عنه عن التبذير، ببيان أنه يجعل صاحبه مقرونًا معهم.

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾ من تتمة التعليل.(1)

قال أبو السعود، رحمه الله: أي: مبالغا في كفران نعمته تعالى، لأن شأنه أن يصرف جميع ما أعطاه الله تعالى من القوى، إلى غير ما خلقت له من أنواع المعاصي، والإفساد في الأرض، وإضلال الناس، وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم، وصرفها إلى غير ما أمر الله تعالى به. ونخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر أوصافه القبيحة غير مصرفها، من باب الكفران، المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت هي له، والتعرض لوصف الربوبية للإشعار بكمال عتوّه، فإن كفران نعمة الربّ، مع كون الربوبية من أقوى الدواعي إلى شكرها، غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان.(2)

أقول: بعدما حذر الله تعالى من إتخاذ الشياطين أخوة عن طريق فعل المعاصي وترك الواجبات، وأول المعاصي الشرك بالله، وصولا إلى إهدار المال في غير حقِّه، وإنفاقه في غير ما أُمر العبد به، حصر الله تعالى الأخوة في أهل الإيمان فقال مفتتحا الآية بالحصر والقصر ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحُجُرات:10] فحصر الأخوة في أهل الإيمان دون غيرهم فخرج بذلك أهل المعاصي ولو كانوا على الإسلام، وخرج من باب أولى غير المسلمين من اليهود والنصاري وغيرهم من الملل والنحل الأخرى.

فلا أخوّة بين المسلمين والنصاري عُبّاد الصليب، ولا أخوة بين المسلمين واليهود أعداء الله والدين.

ولا أخوة بين أهل الطاعة وأهل المعصية ولو جمعهم دين. وبعدما حصر الأخوّة في أهل الإيمان، وأمرهم بتعاطي ما يُصلح هذه الأخوة، أما ما يفسدها فأكثر من خمسين سببا لإفساد الأخوة، وأما يصلح فأكثر ثلاثين سببًا، وسأفرد ذلك بالتصنيف إن شاء الله تعالى.

(1) تفسير القاسمي (6/ 475).
(2) تفسير أبو السعود (5/ 168).

(29)
طائف الشيطان

لقوله تعالي : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:201]

الطَّيفُ والطِّيفُ : الخيالُ نَفسُهُ .

والطَّيْفُ : المسُّ من الشيطان وقرئ قوله تعالي ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ وطائفٌ من الشيطان وهما بمعنى وقد أطافَ وتطيَّفَ .

وقولهم طيفٌ من الشيطان كقولهم : لممٌ من الشيطان وأنشد بيت أبي العيال الهزلي:

فإذا بها وأبيك طيف جنون

ومن حديث المبعث : " فقال بعض القول : قد أصاب هذا الغلام لمم أو طيف من الجن ، أي : عرض له عارض منهم .

وأصل الطيف الجنون ، ثم استعمل في الغضب ومس الشيطان. يقال : طاف يطيف ويطوف طيفاً وطوفاً ، فهو طائف ، ثم سمي بالمصدر ، ومنه طيف الخيال الذي يراه النائم .

وفي الحديث " **فطاف بي رجلٌ وأنا نائمٌ** " .

قال الفرَّاء : الطائفُ والطيفُ سواء ، وهو ما كان كالخيال ، والشيء يُليمُّ بلك .

وروي عن مجاهد في قوله تعالي : ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ﴾ قال : الغضبُ وروي ذلك أيضاً عن ابن عباس .

قال أبو منصور : الطيف في كلام العرب الجنون .

وقيل : للغضب طيف، لأن عقل من استفزه الغضب يعرب حتى يصير في صورة المجنون الذي زال عقله .

قال الليث : كل شيء يغشي البصر من وسواس الشيطان فهو طيفٌ [1]

(1) اللسان مادة " **طيف** " و " **طوف** " .

وأما تفسير كلمة " **طائف** " فقد سبق أن نقلنا عن جل المفسرين أنه المس ، وراجع فقرة " **مس الشيطان** " .

ولقد ورد في القرآن الكريم هذه الكلمة على عدة معاني .

فقد جاء قوله تعالي ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ [القلم:19] قيل الطائف هنا : العذاب .

وقال الزجاج : تعريضاً بما نالهم من النائبة

وقيل : أرسل الله عليها بالليل ناراً فأحرقتها .

" وكل هذه المعاني متقاربة ، وهو أن عذاب الله الذي هو عبارة عن نار من السماء طافت الحديقة فأحاطتها جميعاً فأحرقتها فلم تبق فيها شيئاً . وهناك الطائف وهو الطواف حول الكعبة لقوله تعالي : ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ [البقرة:125] .

وهناك الخدم لقوله ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النور:58]

ومنه قوله ﷺ (**إنها من الطوافين عليكم والطوافات**) (1) أي بمثابة الخدم ، وكقوله تعالي : ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الإنسان:19] .

والطوفان : المتعارف عليه في الماء المتناهي في الكثرة لأجل أن الحادثة التي نالت قوم نوح كانت ماء لقوله تعالي : ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ ﴾ [العنكبوت:14]. ولقوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾ [الأعراف:133] (2)

والطائفة الجماعة لقوله تعالي : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ ﴾ [الحُجُرات:9].

(1) أخرجه مالك وأحمد والأربعة وابن حبان والحاكم معن أبي قتادة . وله شاهد من حديث عائشة عند أبي داود والبيهقي وهو صحيح .

(2) راجع مفردات القرآن (مادة : طوف)

(30)
همـزات الشطــان

قال تعالي : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون:97] قوله ﴿هَمَزَاتِ﴾ جمع همز ، والهمز : همزه يهمزه همزاً أي ضغط وتحامل عليه كأنه يعصره ويضغط عليه .

أي أن الهمز العصر والضغط والخنقوالضيق والتضيق . (1)

وهَمَزَ الشيطان الإنسان همـزاً : "همس في قلبه وسواساً وهمزاتُ الشيطان : خطراتُـهُ التي يخطرها بقلب الإنسان وفي حديث النبيﷺ:

" الله إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزة ونفثه ونفخه ! قيل : يا رسول الله ! ما همزة ونفثه ونفخه ؟

قـال : أما همزه فالمونة ، وأما نفخه فالكبر ، و أما نفثه فالشعر " (2) قـال أبـو عبيـد : الموته الجنون . قال : وإنما سماه همزاً لأنه جعله من النخس والغمز. وكـل شيء دفعتـه فقد همزته قال الليث : الهمزة القصر يقال همزت رأسه وهمزت الجوزَ بكفيٍّ .

والهَمْزُ : النخيسُ والغمزُ .

والهمزُ مثل : اللَّمْز . وهمز : دَفَعَهُ وضربهُ . وهمزتُهُ ولمزُتهُ ولهزتُهُ ونهزتُهُ إذا دفعَتهُ . (3)

ونقل ابن الجوزي عن ابن قتيبة أنه قال : همزات الشياطين هو نخسُها وطعنُها .

ونقل عن ابن فارس أنـه قـال : الهمز كالعصرُ ، يقال : همزتُ الشيء في كفّـي ، ومنـه الهمز في الكلام ، لأنه كأنه يضغط الحرف .

وقال غيره : الهمز في اللغة : الدفع ، وهمـزات الـشياطين : دفعـتهم بـالإغواء إلى المعاصي (4) .

وأقول : جل كلام أهل التفسير يدور وأهل اللغة على هذه المعاني : العصر أو الخنق ، أي أن الشيطان يعصر الإنسان ، وهو عدوه ، والعداوة بينهما بالغة العداوة ، فإذا تمكن

(1) معجم مفرات القرآن (2/ 611)
(2) صبح وسيأتي تخريجه .
(3) اللسان مادة همز .
(4) زاد المسير (5 / 489) .

منه الشيطان همزه وعصره ثم خنقه وربما أدي إلي القتل ومما يؤيد هذا ما روا. مسلم (2236) عن مولي هشام بن زهرة (**أبو السائب**) أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته ، قال فوجدته يصلى ، فجلست انتظره حتى يقضي صلاته ، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت ، فالتفت فإذا هي حية ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إلى : أن إجلس ، فجلست فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار فقال : أتري هذا البيت ، فقلت : نعم قال : كان فيه فتي مناحديث عهد بعرس . قال : فخرجنا مع رسول اللهﷺ إلى الخندق ، فكان ذلك يستأذن رسول اللهﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله ، فأستأذنه يوماً ، فقال له رسول اللهﷺ " خذ عليك سلاحك ، فإني أخشي عليك قريظة .

فأخذ الرجل سلاحة ، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة ، فأهوي إليها الرمح ليطعنها به ، وأصابته غيرة ، فقالت له .

اكفف عليك رمحك ، وأدخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني ، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش ، فأهوي إليها بالرمح فانتظمها به ، ثم خرج فركزه في الدار ، فاضطربت عليه ، فما يدري أيهما كان أسرع موتاً . الحية أم الفتي ؟

قال فجئنا إلى رسول اللهﷺ فذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادع الله يحييه لنا ، فقال : " استغفروا لصاحبكم " ثم قال : **" إن بالمدينة جناً قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدالكم بعد ذلك فأقتلوه ، فإنما هو شيطان "** وسيأتي بطرقة في باب **" السنة "** .

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري – رحمة الله – في كتابه " عقيدة المؤمن " (ص 177) " كانت لي أخت أكبر من تدعي (**سعديه**) وكنا يوماً ونحن صغار نرفع عراجين التمر من أسفل البيت إلى سطحه بواسطه حبل يربط به القنو (**العرجون**) ونسحبه إلي السطح ونحن فوقه فحصل أن أختي سعديه جَرّت الحبل فضعفت عنه فقلبها فوقعت على الأرضي على أحد الجنون – جمع جن – فكأنها بوقوعها عليه أذته أذي شديداً فأنتقم منها ، فكان يأتيها عند نومها في كل أسبوع مرتين أو ثلاثاً أو أكثر فيخنقها فترفس المسكينة برجليها وتضطرب كالشاة المذبوحة ولا يتركها إلا بعد أن تصبح كالشاة الميتة ونطق مرة على لسانها مصرحًا بأنه يفعل بها هذا لأنها أذته يوم كذا

في مكان كذا، ومازال يأيتها ويعذبها بصرعة تأتيها عند النوم فقط حتى قتلها (**خنقـاً**) بعد نحو عشر سنوات من العذاب الذي لا يطاق ، فصرعها ليلة على عادتـه فمازالـت ترفس برجليها وتضطرب حتى ماتت ، غفر الله لها ورحمها .

قلت : ولقد وقع معي نحو ذلك ، ففي صيف عام 1994م ، جائي رجل معه ابنـة أخت وكانت في نحو السابعة عشر خريفاً ، وكانت تصرع ، ثم تخنق خنقاً شديد ، وكان تضع يدها حول رقبتها لكي تتقي هذا الخنق ، ولكنها لا تفعل إزاء هذا الخنـق شـيئاً ، بعد فترة تقدر بساعة أو أكثر ، يتركها جثة هامدة ، وكنت أقرأ عليها سورة البقـرة ، فكـان يتكلم على لسانها بصوت أجش ، لا ولن أخرج – لماذا ؟ لأني أحبها ، فأظل أقرأ طوال الليل حتى إذا أصابني الإعياء واسترحت عاودها الخنق ، واستعنت بالله كثيراً ، وسألته العون على إخراج هذا الشيطان من بدن هذه المسكينة – فكان يخرج ثم بعد أيام يعـود إليها بأشد مما كان ، وفي مساء ذات يوم ، قالت المسكينة أمـام أبويهـا وخالهـا وبعـض الحاضرين : لا تجهد نفسك ، لأن هذا العاتي أخبرني أني مقتولـة غـداً عنـد الـصباح ، وحاولت بكل جهدي مستعيناً بالله بأن أمنع هذا الخنق فلم استطيع ، وفي الصباح وقبل موعد الساعة السابعة ظل يخنق فيها وهي تستغيث ..... حتى تركها مقتولة – وماتت المسكينة بخنق الشيطان لها.

وأخر لما علم ذهابي له قام بشنقه الشيطان ومات مشنوقاً ومخنوقاً .

وكم خنق الشيطان من جنين في رحم أمه ، وهو على وشك الخروج للدنيا .

وفي خلال ربع قرن من علاج المسحورين والملبوسين رأيت من ذلك.

(31)
حضور الشيطان موت العبد

قال تعالى : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون:98]

فسرها جماعة ، بأن الشيطان يحضر عند موت العبد ، حتى يتخبطه ويجعله يموت على غير الإسلام ، أو يموت دون أن ينطق بالشهادتين لهذا جاء بعدها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [المؤمنون:99] ومما يؤيد هذا التفسير دعاؤه ﷺ ربه أن لا يحضره الشيطان عند الممات فصح عنه ﷺ أنه قال :

" **اللهم إني أعوذبك من الهدم ومن الغرق ، وأعوذبك أن يتخبطني الشيطان عند الممات** " . (1)

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع " **باسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون** " فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من يبلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها ، كتبها له ، فعلقها في عنقه" (2).

ولهذا يستحب أن يكون عند رأس المحتضر الذي حضره أجله جماعة من الصالحين ، حتى يلقنوه الشهادتين ، وأن يموت وهو محسن الظن بربه .

لهذا قال ﷺ " **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله** " (3).

وكذلك أمر رسول الله ﷺ من حضره أن يقول خيراً وأن يدعو للميت فقال ﷺ " **إذا حضرتم المريض أو الميت ، فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون** " .

ولهذا لما حضر موت عم النبي ﷺ – أبو طالب – جماعة من المشركين على رأسهم

---

(1) أخرجه أحمد (3 / 427) وأبو داود (1552) والنسائي (8/ 678) والحاكم (1/ 531) وقال : صبح الإسناد ، وصححه الألباني .

(2) أخرجه أحمد (2/ 181) وأبو داود (3893) والترمزي (3528) والحاكم (1 / 548) وحسنه المنذري والألباني .

(3) صحح – راجع أحكام الجنائز (ص 19)

صاحب اللعنات المسمي بأبي جهل ، وأراد أن ينطق بالشهادة تحت إلحاح النبي ﷺ ، قال له أبو جهل – الشيطان الأكبر – أترغب عن دينك ودين أبائك وأجدادك – فمات دون أن يقولها ومات مشركاً .

فلاشك في أن الشيطان يحضر عند موت العبد ليثنيه عن دينه ، وبمنعه من الشهادتين لأنه يعلم – لعنه الله – إن مات العبد على الشهادتين فقد نجي منه ، ولا يستطيع إغوائه أو إضلاله بعد موته .

ولعل هذا هو السر في قوله تعالي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[آل عمران:102] والله أعلم .

(32)
حزب الشيطان

قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة:19] لقد ذكر الله تعالي في كتابه حزبين ، حزب ينتمي له سبحانه ويعمل بطاعته وينتهي بنهيه، ويدافع عن دينه ، ويذب عن بيضة الإسلام ، يعيشون على هذا الإنتماء ويموتون عليه، وهو حزب المفلحين .

وحزب أخر ينتمي للشيطان يحملون رابته ويدافعون عنه ، ويدعون أمثالهم للأنضواء تحته ، وهذا الحزب خاسر ، قد تحقق له الخسران المبين .

وحزب الله هم – أهل السنة والجماعة لا يتفرقون ولا يختلفون وليس لهم إلا منهج واحد ومصدر تلقي واحد ، ومصدرهم الكتاب والسنة وبفهم سلف الأمة .

وحزب الشيطان ، دائماً مفترقين ، ودائماً مختلفين ، ودائماً منقسمين إلى فرق وأحزاباً .

فكل حزب منشق على أهل السنة والجماعة ، تابع لحزب الشيطان، فتحت حزب الشيطان مجموعة أحزاب ، وكل حزب بما لديهم فرحون. قال تعالي عن حزب الله ، وأقصد حزب الله هنا – أهل السنة والجماعة ، وليس حزب اللات اللبناني الذي يرأسه ذلك الشيعي البغيض الهالك حسن نصر اللات – فقال الله تعالي عن حزب الله ، حزب رسول الله ﷺ ، التابع له أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة المبشرين وأصحاب بدر ، وأصحاب بيعة الرضوان ، وفتح مكة ، ومن كان على دربهم – رضي الله عنهم – ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:56]

وقال تعالي ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22]

وقال الله تعالي عن حزبه ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:221]

أما الشيطان وحزبه فقال الله تعالي عنه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ .

وغير أنه خاسر : هم خاسرون ، فهو يدعوهم إلي النار والعذاب وشر المآل ، فقال تعالي : ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:6] فانظر يرحمك الله ، إلى هذا البيان والايضاح من ذي الجلال والأكرام فهو يخبرك بصفات حزب الشيطان ، ثم يبخبرك بالخسران المبين إذا تابعت حزبة ، تم يوضح لك أنه يدعو حزبه للسعير والنار .

وبين لك أن حزبه فالح ، وأنه يدعو حزبه للجنة ويهب عليهم المغفرة والرحمة من فضلة .

والحزب : جماعة الناس ، والجمع أحزاب والأحزاب . جنود الكفار ، تألبوا وتظاهروا على حزب النبيﷺ هم قريش وغطفان وبنوقريظة .

وقوله تعالي : ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ [غافر:30] والأحزاب ههنا : قوم نوح وعاد وثمود ، ومن أهلك بعدهم .

والمنافقون والكافرون حزب الشيطان ، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب ، وإن لم يلق بعضهم بعضاً بمنزلة عاد وثمود وفرعون أولئك الأحزاب : (**وكل حزب بما لديهم فرحون**) كل طائفة هواهم واحد .

والحزب : الصنف من الناس . قال ابن الأعرابي : الحزب : الجماعة والحزب : الطائفة . والأحزاب : الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام.

وحازت القوم وتحزّبوا : تجمعوا وصاروا أحزاباً ، وحَزَّبهم جعلهم كذلك . وحزب فلان أحزاباً ، أي : جمعهم .

وفي الحديث " اللهم أهزم الأحزاب وزلزلهم " الأحزاب : الطوائف من الناس[1]

قال البقاعي رحمه الله – (والئك) أي : الذين أحلوا أنفسهم أبعد منزل (**حزب الشيطان**) أي : أتباع وجنده وجماعته وأصحابه والمحدقون به ، والمتحيزون إليه لدفع ما حَزَبه ، أي : نابه واشتد عليه ، المبعدون المحترقون لأنهم تبعوه ولم يخافون في مجازيته وإنفاذ ما يريد لومة لا ئم ، مع أنه كله نقائص ومعايب، وهم مطبوعون على بغضه ، وتركوا من له الكمال كله، وذكر وجيه مركوز في فطرهم ، فلذلك كانت ترجمة هذا

(1) اللسان مادة " حزب " ومفردات الراغب (مادة : حزب)

ونتيجته. قوله (**ألا**) وأكد لظنهم الربح بحالهم في الدنيا من الكثرة وظهور التعاضد والاستدارج باليسط والسعة فقال: " إن حزب الشيطان " أي : الطريد المتحرق (**هم**) لأنهم لم يظفروا بغير الطردو الاحتراق[1] .

قال العلامة الألوسي – رحمة الله :-

(أولئك) الموصوفون بما ذكر من القبائح ﴿حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي : جنوده وأتباعه. ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي : الموصوفون بالخسران الذي غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم ، وأخذوا بدله العذاب الأليم"[2] .

فكل حزب غير حزب الله الموصوفين في كتاب الله بالتقوي والذكر العمل الصالح، التاركين للمعاصي ، المتنزهين عن المحرمات – أي حزب غيرهم فليس بحزب الله ، إنما هو حزب الشيطان ومن اتباع الشيطان وأوليائه ونصرائه ، الذين ينصرون مذهبه ، ويتبعون أثره .

جعلنا الله تعالي وسائر إخواننا الموحدين من من حزبه وأوليائه .

(1) نظم الدرر (7 / 505)

(2) روح المعاني (28 / 306)

(33)
كفر الشيطان

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾[البقرة:102]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[الإسراء:27]. وقال تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾[مريم:44].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:34] فأول من أظهر الكفر هو إبليس، ولم يكن يُعرف قبل ذلك، فكل من كفر من البشر فله كفل منه، كما أن كل مقتول في الدنيا على ابن آدم الأول حظ من إثمة، كما في الصحيح **" ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول حظ منها"** وقد سبق.

فكذلك رسول الله ﷺ كل من أهتدى بهديه، وآمن بما جاء به، وصدق بما أنزل عليه، وكل عابد، وكل قارئ للقرآن وكل طائف حول الكعبة، وكل صائم، وكل متصدق، وكل عالم، فالرسول الله ﷺ نصيب من ذلك لأنه سبب هدايته.

فكل كافر بالله، فللشيطان حظ من كفره، لأنه أول من سَنَّ الكفر، وأول من كفر وأعرض وأبي واستكبر. وكفر الشيطان كفر إباء واستكبار واستعلاء على أمر الله تعالى.

ولأن الإنسان هو سبب كفره، فهو لا يرضي منه دون الكفر، كما قال تعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الحشر:16] ويهمس له، ويوسوس له، ويخاطر له، ويدعوه للكفر، ويأتي في كل لحظة وبخاصة عند فتوره وضعفه فيقول له: **"من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ "** (1)

---

(1) أخرجه البخاري (3276) ومسلم (134).

وللشيطان طرق وأساليب كثيرة لا تنتهي في تكفير العبد ، حتى إذا بلَّغه للكفر، قال : إني أخاف الله رب العالمين !!!.

قال ابن القيم – رحمة الله تعالي عند ذكر أجناس الشر التي يدعو إليها إبليس قال:

الشر الأول : " شر الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله، **فإذا ظفر بذلك من ابن أدم برد أنينه ، واستراح من تعبه معه ، وهو من جنده وعسكره، واستنابه على أمثاله، وأشكاله فصار من دعاة إبليس ونوابه "** (1)

وأما قوله تعالي ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [ص:74]

فللعلماء في معنى " **كان** " أقوالاً.

الأول : " **كان** " بمعنى " **صار** " ومنه قوله (**فكان من المغرقين**).

وقال ابن جرير: " ومعنى قوله : ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أنه كان حين أبي السجود من الكافرين حينئذ " (2) .

قال الزمخشري : " أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافرآ، لأن "كان" مطلق في جنس الأوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت " (3)

قال الألوسي: (كان) أي: وصار منهم باستكبار. وتعاظمه على أمر الله" (4)

وممن قال ذلك من السلف: قتادة(5)

وذكره الواحدي " **كان** " صار.

وذكره ابن عطية في " المحرر الوجيز " (1/ 125) **ثم قال** :

وقال ابن فورك : " وهذا خطأ ترده الأصول.

القول الثاني : " **كان** " في الآية بمعني الماضي ، أي كان في علم الله – تعالي كافراً، قاله مقاتل وابن الأنباري .

(1) بدائع الفوائد (1 / 260)
(2) تفسير الطبري (1/ 228).
(3) الكشاف (3/ 382)
(4) روح المعاني (1 / 104)
(5) تفله عنه ابن الجوزي في زاد المسير (1/ 65).

ونقل الواحدي والبغوي أن هذا اختيار أكثر المفسرين [1]

وأخرج ابن المنذر – كما في الدر المنثور – عن ابن عباس رضي الله عنهما في قولـه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ قال : " **جعله كافراً لا يستطيع أن يؤمن** "[2]

وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرطبي قال : " ابتدأ الله خلف إبليس على الكفر والضلالة ، وعمل بعمل الملائكة ، فصيره إلى ما به إليه خلقه من الكفر " [3] .

وقال البقاعي : " **كان** " أي في أصل جبلته بما أفهمه الاستكبار من نسبتنا إلى تـرك الحكمة إما جهلاً أو جوراً في أمرنا بسجوده لآدم وهو علي زعمه خير منه " . [4]

وقال أبو حيان " **أي كان في علم الله ، لأنه لا خلاف أنه كان عالماً بالله قبـل كفـره ، فالمعني : أنه كان في علم الله سيكون من الكافرين** " [5]

ونقل القرطبي عن جمهور المتأولين قـولهم : " المعني : أي ما كان في علم الله تعالي أنه سيكفر ، لأن الكافر حقيقة والمؤمن حقيقة هو الذي قد علم منه الموافاة" [6] .

قال القرطبي : " وها صيح لقوله ﷺ في " صحيح البخاري " **إنما الأعمال بالخواتيم** " [7].

وقال ابن عطية: " وجمهور المتأولين : معنى ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي في علم الله تعالي أنه سيكفر ، لأن الكافر حقيقة والمؤمن حقيقة هو الذي علم الله منه الموافاة " [8] .

وقال : " وذهب الطبري إلى أن الله أراد بقصة إبليس تقريع أشباهه من بني أدم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد – ﷺ مع علمهم بنبونه ومع تقدم نعـم الله علـيهم وعـلي أسلافهم واختلف هل كفر إبليس جهلاً أو عناداً على قولين بين أهل السنة ، ولاخلاف أنه كان عالماً بالله قبل كفره، فمن قال إنه كفر جهلاً قال : إنه سلب العلم عنـد كفـره.

(1) الواحد (1/ 120) والبغوي (1 / 82) وزاد المسير (1/ 65) والمحرر الوجيز (1/ 26)
(2) الدر المنثور (1048).
(3) تفسير ابن كثير (1/ 78).
(4) نظم الدور (1/ 93).
(5) البحر المحيط (1/ 154).
(6) تفسر القرطبي (1 / 297)
(7) صحيح البخاري (6493)
(8) المحرر الوجيز (1 / 126)

ومن قال كفر عناداً قال : " **كفرو معه علمه** " قال : " **والكفر عناداً مع بقاء العلم مستبعد ، إلا أنه عندي جائز لا يستحيل مع خذل الله لمن شاء ، ولا خلاف أن الله تعالى أخرج إبليس عند كفره ، وأبعده عن الجنة ، وبعد إخراجه قال لأدم أسكن** " [1].

واستدل قوم على أن " من " في الآية للتبعيض ، واستدل على أن إبليس لم يكن أول الكافرين ، بل كان هنا كفار قبله ، وهذا خلط، فلم يثبت من دليل صحيح أن هناك كفار قبل إبليس، بل أن إبليس هو أول من سن الكفر ، وهو أول من كفر.

وقال ابن كثير – ذهب أكثر أهل العلم إلى أن إبليس أول من كفر بالله " ثم رد حديث ابن عباس وقال لا يحتج به.

وذهبت الخوارج إلى أن كفر إبليس بترك السجود ولأمر الله وكل معصية كفر، وهذا مردود بالكتاب والسنة وإجماع الأمة[2].

وتكلم أهل العلم في كفر إبليس هل هو كفر معصية، أم كفر إباء واستكبار وعناد.

قال شيخ الإسلام – رحمة الله –" وكفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم، فإن إبليس لم يخبره أحد بخبره، بل أمره الله بالسجود لآدم فأبي واستكبر وكان من الكافرين ، فكفره بالإباء الاستكبار وما يتبع ذلك " [3]

وكفر إبليس كفر عناد لأنه لم يكن عن جهل ، بل كان عن علم بالله تعالى .

قال الزَّجَّاج : " قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:12] قال : فأعلم الله – جل ثناؤه – أن معصية إبليس معاندة وكفر، وقد أعلم الله أنه من الكافرين فقال ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[ص:74] [4] وقال الفخر الرازي في قوله تعالى _ ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:16] " إن هذه الآية تدل على أنه – أي إبليس – كان عالماً بالدين الحق ، والمنهج الصحيح لأنه قال : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وصراط إليه المستقيم هو دينه الحق " [5].

---

(1) المحرر الوجيز (1/ 126).
(2) القتاوي (7/ 501) و (7 / 534) .
(3) الفتاوى (7/ 501) و (7/ 534).
(4) معاني القرآن (2/ 322).
(5) التفسير الكبير(14 / 38)

ومن سبّر آيات القرآن التي ذُكِر في خلق إبليس يجد أنه كان على علـم بـالله تعـالي، وخبير بصفاته وأسماءه ، حيث أقسم بعزة الله ، وطلب إمهاله ليوم البعث فكـان علـماً بالبعث والنشور ، وكان عالماً بالقياس ، لكن كان قياسه فاسداً فقـال **" أن خـير منـه "** فهو أول من سنَّ القياس الفاسد ، وأول من سنَّ الكفر ، وكـان عالمـاً بالجنـة والنـار ، وغير ما اكتسبه من مخالطته للملائكة، فهذا وغيره يدل على أنه كان عالماً بـالله ، فكـان كفره ، كفر إباء واستكبار وعناد، والله أعلم .

ولقد صرح القرآن في غير ما موضع منه أنه كان مستكبراً .

فقال ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ [البقرة:34] وقـال تعـالي ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف:13] .

(34)
الشيطان يدعو للكفر

قـال تعـالي ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ [الحشر:16].

كما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير كما قال تعالي :﴿إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [فاطر:6] .

ويريد أن يوقع العداوة بين الناس والبغضاء كما قـال تعـالي ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء ﴾ [المائدة:91] ويصد عن الحق كما قال تعالي ﴿ ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [الزُّخرُف:62].

وقعد لابن أدم على كل طريق وأقسم على ذلك فأخبر الله عنه فقال ﴿ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ [الأعراف:16] ثم أخبر أنه سيأتي للعبد من كـل إتجـاه ومـن كل مكان لغوايته وإضلاله وتكفيره وإهلاكه فقال تعالي : ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ [الأعراف:17] قال القرطبي " قولـه تعالي : ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ أي : بالصد عنه ، وتزيين الباطل حتى يهلكوا كـما هلك ، أو يضلوا كما ضل ، أو يخيبوا كما خُيّب – وقال : والصراط المستقيم هو الطريق الموصل إلى الجنة " (1).

وقعد لابن أدم بكل طريق حتى يصده عن الخير ، فقال ﷺ " **إن الشيطان قعد لابن أدم باطرقه** " الحديث – وسيأتي مطولاً

قال ابن الجوزي : " كم خطر على قلب يهودي ونصراني حُـب الإسـلام فـلا يـزال إبليس يثبطه ويقول له : لا تعجل وتمهل في النظر ، فَيُسوّفه حتى يمـوت عـلى كفـره ، وكذلك يسوف العاصي بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويُمنّيه الإنابة .

(1) تفسير القرطبي (7 / 175)

كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهي وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سَوَّفه ، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه، فربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال : استرح ساعة ، أو انتبه العابد في الليل يصلي فقال : عليك وقت ، ولا يزال يحبب الكسل ويسوّف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل " [1].

(1) تلبيس إبليس ص 486 .

(35)
القرين من الشيطان

قال في اللسان: قارنَ الشيء الشيءُ مقارنةً وقِراناً " اقترن به وصاحَبهُ. واقترن الشيء بغيره وقارنْتُه قِراناً : صاحبته .

وقرنتُ الشيءَ بالشيءِ : وصلْتُه .

والقريْن : المُصاحبُ .

وفي الحديث " ما من أحدٍ إلاَّ وُكّلَ به قرينُهُ " أي مُصاحُبهُ من الملائكة والشياطين. وكلُّ إنسانٍ، فإنَّ معه قريناً مِنهمُا فقرينُهُ من الملائكة يأمرهُ بالخير ويحثهُ عليه .

ومنه الحديث الآخر: " فمقاتله فإن معه القرين " .

والقرين يكون في الخير والشرِّ.

والقرين: صاحُبكَ الذي يقارنُك، وقرينُكَ : الذي يُقارنُك ، والجمع قُرناءُ.

وقرينهُ الرجُل: امرأته لمقارنته إيّاها . (1)

والقرين في القرآن والسنة على أربعة أصناف، قرين من الجن وقرين من الإنس، وقرين سائق وشهيد، وقرين من الملائكة قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزُّخرُف:36] .

فالصنف الأول : قرين الجن .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزُّخرُف:36]

قال الواحدي: " ومن يعرض عن القرآن، يقال: عشوت إلى النار أعشو عُشواً، أي : قصدتها مهتدياً بها. وعشوت أعرضت عنها. كما تقول: عدلت إلى فلان، وعدلت عنه ، وملتُ إليه ، وملتُ عنه ". (2)

قال الزّجاج: والمعنى: أن من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكمة إلي إباطيل

(1) اللسان مادة قرن.

(2) تفسيره (4 / 72).

المضلين نعاقبه بشيطان نقيضه له حتى يضله ويلازمه قريناً له فلا يهتدي ، مجازاة له أثْرِ الباطل على الحق المبين ".(1).

قال الواحدي: (**فهو له قرين**) صاحب له يزيّن له العمي ، ويخّيل إليه أنه على الهدي وهو على الضلالة ، وذلك قوله ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الزُّخرُف:37] وإن الشياطين ليمنعوهم عن سبيل الهدي "(2).

قال ابن عطية: " ومن يقل نَظَرهُفي شرع الله ويغمض جفونه عن النظر في ذكر الرحمن ، أي فيما ذكر به عباده ، فالمصدر إلى الفاعل (نقيض له شيطاناً) أي : نيسر له ونُعد ، وهذا هو العقاب على الكفر بالحتم وعدم الفلاح ... وقال : وقرأ الجمهور " نقيض " بالنون وقرأ الأعمش " يقيض " بالياء " شيطاناً " أي يقيض إليه. وقرأ ابن عباس : "يُقّيض له شيطانٌ " بفتح الياء الثانية وشدها ورفع النون من " شيطان " .

والضمير في قوله : " إنهم " عائد على الشياطين . وفي (**يصدونهم**) على الكفار و(**السبيل**) هي سبيل الهدي والفوز ، والضمير في (**يحسبون**) للكفار "(3).

أما ابن كثير فقال : (ومن يعش) أي : يتعامي ويتغافل ويعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الزُّخرُف:36] والعشا في العين : ضعف بصرها ، والمراد ها هنا: عشا البصيرة . ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزُّخرُف:36] كقوله تعالي ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:115] وكقوله ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:5] وكقوله ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [فُصِّلَت:25] ولهذا قال ها هنا ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزُّخرُف:37] أي: هذا الذي تغافل عن الهدي نقيّض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم ، فإذا وافى الله يوم القيامة

(1) معاني القرآن ص 200
(2) الواحدي (4/ 72).
(3) المحرر الوجيز (5 / 55)

يتبرم بالشيطان الذي وكِّلَ به، ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ [الزُّخرُف:38] أي:فبئس القرين كنت لي في الدنيا، وقرأ بعضهم : " **حتى إذا جاءانا** " يعني القرين والمقارن".(1)

وأخرج عبد الرزاق في " تفسيره " (2767) **عن سعيد الجريري قال :** بلغنا أن الكافر إذا بُعث من قبره يوم القيامة سفح بيده شيطان فلم يفارقه، حتى يصيرهما الله تعالي إلي النار ، فذلك حين يقول ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – **ومجاهد وقتادة وغيرهم :** هو الشيطان الذي وكل به ، يقول عن الإنسان الذي قد أوفي القيامة كافراً تتبرأ منه شيطانة فيقول : ما أضللته ، بل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق كما أخبر سبحانه تعالي.

قال ابن كثير– رحمة الله (لا تختصمو لدي) يقول الربُ عزّ وجلَّ للإنسي وقرينه من الجن ، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالي فيقول الإنس ، يارب هذا ضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، ويقول الشيطان ﴿رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ﴾ [ق:27] أي : عن منهج الحق(2) .

قال مجاهد في قوله تعالي ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ﴾ [الصافات:51] يعني شيطاناً وقال مجاهد والسَّدِّي في قوله تعالي ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ﴾ [فُصِّلَت:25].

قال : شياطين . ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [ق:23] أي الشيطان ، رداً لقوله ربنا أطغاني شيطاني (**ربنا ما أطغية ولكن كان في ضلال مبين**) .

فأعنته عليه بالإغواء ، والتزيين من غير قسر له ولا إلجاء"(3).

قال ابن الجوزي (قال قرينه) هو الشيطان وهذا قول الجمهور.

وقال: وفي الكلام اختصار تقديره: إن الإنسان أدّعي على قرينه من الشيطاطين أنه أضله فقال ﴿رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ [ق:27] أي : لم يكن لي قوة على إضلاله بالإكراه ، وإنما

(1) تفسير ابن كثير (7 / 228 – 229).
(2) تفسير ابن كثير (4،286 – 287).
(3) صفوة البيان (ص 663).

طغي هو بضلاله . [1]

قال ابن عباس – رضي الله عنهما - :" **إن وسواس الرجل يخبر وسواس الرجل ومن ثَمَّ يفشوا الحديث** " [2].

وأخرج مسلم في " صحيحة (2815) عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت : فغرت عليه قالت : فجاء فرأي ما أصنع فقال : " **مالك يا عائشة أغرت ؟** " فقلت : ومالي لا يُغار مثلي على مثلك فقال رسول الله ﷺ " **أفأخذك شيطانك ؟** " فقلت : يا رسول الله أو معي شيطان ؟ قال " **نعم، ومع كلِّ إنسانٍ** " قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال " **نعم ، ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم** " وفي لفظ أخر " **أعاني عليه فأسلم** " وأخرجه أحمد (6/ 115) والنسائي (7/ 72)

قال أبو سليمان الخطابي – رحمه الله :–

" **عامة الرواة يقولون :** فأسلم على مذهب الفعل الماضي يريدون أن الشيطان قد أسلم".

روي مسلم (2814) **عن ابن مسعود** – رضي الله عنه **قال** : قال رسول الله ﷺ " **مامنكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قَرِينهُ من الجنِّ** " قالوا : وإيّاكَ ؟ يا رسول الله ! قال : " **وإيّاي ، إلاَّ أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير** " .

قوله " **فأسلم** " برفع الميم وفتحها . وهما روايتان مشهورتان . فمن رفع قال : معناه أسلم أنا من شره وفتنته ، ومن فتح قال إن القرين أسلم ، من الإسلام ، وصارمؤمناً لا يأمرني . إلا بخير .

واختلفوا في الأرجح منهما . فقال الخطابي : الصحيح المختار الرفع ، ورجح القاضي عياض الفتح ، وهو المختار لقوله ﷺ: فلا يأمرني إلا بخير .

واختلفوا على رواية الفتح . قيل : أسلم بمعني استسلم وانقاد. وفي رواية غير مسلم

(فاستسلم) وقيل : معناه صار مسلماً مؤمناً . وهو الظاهر.

(1) زاد المسير (8 ، 18).

(2) غرائب الجن (ص 208)

قال القاضي : وأعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبيﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه.

وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه. فإعلمنا بأنه معنا: لنحترز منه بحسب الإمكان " (هامش صحيح مسلم).

وأخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها **قالت :** فقدت رسول اللهﷺ وكان معي على رأسي فوجدت رسول الله ﷺ ساجداً راصاً عقبيه مستقبلاً بأطراف أصابعه القبلة فسمعته يقول : " **أعوذ بالله من سخطك وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أبلغ كل ما فيك**"

فلما انصرف قال : " يا عائشة : **أخذك شيطانك** ". فقالت : " **أمالك شيطان ؟**" قال : " **ما من أدمي إلا وله شيطان** " فقلت : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا ولكني دعوت الله تعالي فأعانني عليه فأسلم"

فهذه الروايات وغيرها مما لم نذكرها، وسوف نذكرها في باب السنة ، تدل على وجود قرين لكل إنسان ، وهذا القرين كافر بالإجماع ، ما خلا قرين النبي ﷺ.

وهذا القرين الشيطاني يأمر بالكفر ، ويدعو العبد إليه ، ويمشي في دمه ، ويخالط شحمه ولحمه ، ويسيطر على العقول ، والقلوب وهو يضُنع خطمه على قلب ابن أدم، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسي ذكر الله التقمه الشيطان .

وهذا القرين بخلاف ما يوسوسه للعبد، ويزينه له ، ويلبس عليه ، إلا أنه يتعاون من السحرة والدجلين علي إغوائه أكثر ، كما سبق بيانه .

قال الشيخ حامد الفقي – رحمة الله :-

" الواقع أن ذلك من تآلف روح الشيطان القرين مع روح قرينه الإنسان الخبيث فيتناجيان ، ويتكلم الشيطان مع قرينه بما يحب من الأخبار التي يتلقاها الشيطان عن الشيطان الأخر قرين الإنسان الأخر، وهكذا ، فإن لكل إنسان قريناً من الشيطان كما جاء ذلك في القرآن والسنة فيخبر شيطان الإنس بما أوحي إليه شيطان الجن من أخبار السائل وأحواله في منزله ، وخصوصية نفسه مما ألقاه إليه الشيطان القرين ، فيظن الجهلة والمغفلون أن ذلك عن صلاح وتقوي وكرامات ، وأنه بصلاحه قد كُشف الحجاب عنه ،

وهذا من أضل الضلال، ومن أعظم الخذلات ، وإن اعتقده وخدع به كثير ممن ينتسب إلى ظاهر العلم والصلاح " (فتح المجيد : ص 155).

الثاني : القرين من الإنس :

قال تعالى ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [الصافات:51]

وقال تعالى ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [فُصِّلَت:25]

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – " إن الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا في قوله تعالى ﴿ كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ .

وقال ابن كثير – رحمة الله – " إن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان وكلاهما يتعاونان " وقال أيضاً : **" يذكر الله تعالى هو الذي أضل المشركين ، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قَيَّض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن "** [(1)].

ثالثاً : قرين الملائكة :

قال رسول الله ﷺ " ما من أحد منكم إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة " الحديث وقد سبق .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ **" ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة"**. رواه مسلم وقد سبق.

وقرين الملائكة يأمر بالخير ، كما أن قرين الجن يأمر بالشر ، فقرين العبد من اللائكة يعاونه على الخير ، ويحثه على فعل الطاعات ، وربما حذره من فعل المعاصي ، ويأخذ بناصية إلى الله تعالى . بخلاف قرين الجن الذي يأمر بالشر، ويحث العبد على فعل المعاصي ويقوّي فيه الرغبة إلى المعصية، ويدفعه إليها، ويزيد من عزمه ، ويعلي همته، ويزعجه إلى فعها.

وقرين العبد من الملائكة يدعوه إلى مصاحبة الأخيار، كما أن قرينه من الجن يدعونه إلى مصاحبة الأشرار .

---

(1) تفسير ابن كثير (4 / 9)

قرين العبد من الملائكة يدعوه إلى التوبة من جميع الذنوب، ويأّملهُ ويدفعـه، إلى الله تعالي ويشرح صدره للتوبة والرجوع إلى الله تعالى، أما قرينه من الجن، فييأسه مـن التوبـة ، ويضعه في خندق الذنب ولو كان صغيراً ثم يهيل التراب عليه ، ويقنطه مـن رحمـه الله تعالي .

(36)

الشيطـــان المـــارد

ذكر الله الشيطان المارد في كتابه في ثلاثـة مواضـع ، الموضـع الأول: في قولـه تعـالي ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات:7]

وفي قوله تعالي ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج:3]

وفي قوله تعالي ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء:117]

المارِدُ : العاتي.

مَرُدَ علي الأمر بالضم، يَمْرُدُ مروداً ومرادةً، فهو مارد ومريدٌ، وتمَـرَّدَ: أقبـل وعتـا، وتأويلُ المرود أن يبلُغ الغاية التي تخرجُ من جملة ما عليه ذلك الصنف .

والمارد من الرجـال : العاتي الشديد، وأصلُهُ من مَردة الجنِّ والشياطن ومنه حـديث رمضان " **وتصفد فيه مردة الشياطين** " جمع مارد.

والمرودُ على الشيء: المرونُ عليه ، ومردَ علي الكلام : أي مرنَ عليه لا يعبأبـه، قـال تعالي ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة:101] .

قال الفرَّاء:

يريد : مَرَنُوا عليه وجَرَّبوا كقوله تمرَّدوا.

وقال ابن الأعرابي : المردُ التطاول بالكبر والمعاصي، ومنه قوله تعالي " مَـرَدُوا عَـلَى النِّفَاقِ " أي: تطاولوا . والمرادةُ: مصدر المارد والمريدُ: من شياطين الإنسن والجن ، وقد تمَّرد علينا أي : عتا. ومرد علي الشرّ وتمرَّد ، أي عتا وطغي.

والمريدُ: الخبيُث المتمردُ الشِّرير. وشيطانُ ماردٌ ومريدٌ واحدٌ.

وقال ابن سِيَدهِ: والمريد يكون من الجن والإنس وجميع الحيوان [1].

أما قول تعالي ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ .

(1) اللسان مادة " مرد "

قال ابن عطية – رحمة الله :-

" **مريداً " معناه :** عاتياً صليباً في غوايته ، وهو فعيل من مرد : إذ عتا وغلا في إنحرافه ، وتجرد للشرِّ والغواية " [(1)].

قال الزجاج: "المريد" المارد، وهو الخارج عن الطاعة، ومعناه: أنه قد مرد في الشرِّ، يقال: مرد الرجل يمُرد مروداً: إذا عتا، وخرج عن الطاعة. وتأويل المرود: أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، وأصله في اللغة: املساس الشيء، ومنة قيل للإنسان: أمرد، إذا لم يكن في وجهه شعر، وكذلك يقال: شجرة مرداء: إذا تناثر ورقها، وصخرة مرداء، إذا كانت ملساء" [(2)]

وقال في "نظم الدرر" (2/ 320):

(مريدًا) أي عاتيا صلبا عاصيا ملازما للعصيان، مجردًأ من كل خير، محترقاً بأفعال الشر، بعيدا من كل أمن – ومرد- عبر بصيغة فعيل التي هي للمبالغة في سياق دمهم تنبيها على أنهم يعبدوا لما لا إلياس في شراراته، لأنه شر كله، بخلاف ما في سورة الصافات، فإن سياقة يقتضى عدم المبالغة"[(3)]

الآية الثانية: قوله ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج:3]

قال البقاعي: "ويتبع بغاية جهده في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ﴾أي: محترق بالشر فُبعد باللعن.

ولما كان السياق لذم التبعة، أشار إلى أنه لا قصد له في إتباعه إلا الشرَّ، لأنه لا ليس في أمره بصيغة المبالغة كما مضى في **"النساء"** ويأتي في **"الصافات"** فقال **(مريد)** أي متجرد للنساء لا شغل له غيره، فهو في غاية الضراوة عليه. قال البيضاوي: وأصله من العري"[(4)]

(1) الممرر الرجيز (2 ، 1114)
(2) زاد المسير لابن الجوزي (2/ 204) وتفسير القرطبي (2/ 337).
(3) نظم الدرر للبقاعي (2/ 320).
(4) نظم الدرر (5/ 133).

قال الزجاج: أصل المريد والمارد المرتفع الأملس، وفيه معنى التجرد والتعري، والمراد به إما إبليس وجنوده، وإما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر"[1]

وأما قوله تعالى ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات:7]

قال ابن كثير: "المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه" [2]

ومن الأدلة السنية لوجود الشيطان المارد:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين وفيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم"[3]

قال الحلبي – رحمه الله-:

"وتصفيد الشياطين في شهر رمضان يحتمل أن يكون المراد به أيامه خاصة، وأراد الشياطين التي هي مسترقة السمع، ألا تراه قال **"مردة الشياطين"** لأن شهر رمضان كان وقتا لنزول القرآن إلى سماء الدنيا وكانت الحراسة قد وقعت بالشهب كما قال تعالى ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات:7] فزيد في التصفيد في شهر رمضان مبالغة في الحفظ والله أعلم" [4]

قال القاضي أبو يعلي – رحمة الله – الشياطين مردة الجن وأشرارهم، وكذلك يقال في الشرير: مارد وشيطان من الشياطين وقد قال تعالى ﴿شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ .

وقال ابن عقيل – رحمه الله- "والشياطين العصاة من الجن وهم ولد إبليس والمردة أعتاهم وأغواهم، وهم أعوان إبليس ينفذون بين يديه في الإغواء كأعوان الشياطين".

وقد ابن عبد البر – رحمه الله- "الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب فإن خبث وتعزم فهو شيطان، فإن زاد على ذلك فهو مارد[5] وسيأتي مزيد من أخبار الشيطان المارد في باب السنة إن شاء الله تعالى، ووظيفته.

---

(1) معاني القرآن (3/ 333) والمحرر الوجيز (4/ 107) وروح المعاني للألوسي (9/ 147).

(2) تفسير ابن كثير (7/ 6)

(3) صحيح – أخرجه أحمد والنسائي وابن خزيمة والبيهقي – صحح الجامع (55).

(4) هامش صحيح الترغيب (5/ 516).

(5) غرائب الجن (ص 24).

(37)
إرســـال الشياطيــن

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم:83] .

قال الزجاج: في معنى هذا الإرسال وجهان:

أحدهما: خلينا بين الشياطين وبين الكافرين، فلم نعصمهم من القبول منهم.

والثاني: وهو المختار: سلَّطناهم عليهم وقيضناهم لهم بكفرهم. ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أي: تزعجهم إزعاجاً يركبوا المعاصي. وقال الفراء: تزعجهم إلى المعاصي، وتغريهم بها.

قال ابن فارس: يقال: أزَّه على كذا: إذا أغراه به، وأزَّت القدر: غلت[1] .

قال ابن عطية – رحمة الله –:

(أرسلنا) معناه: سلّطنا أو لم نَحُلْ بينهم وبينهم، فكله تسليط وهو مثل قوله **(نقيض له شيطاناً)** وتعديته بـ (على) دال على أنه تسليط.

(تؤزهم) معناه: تغلبهم وتحركهم إلى الكفر والضلال.

قال قتادة: تزعجهم إزعاجاً.

قال ابن زيد: تشليهم أشلاء، ومنه: أزيز القدر، وهو غليانه وحركته"[2]

قال القرطبي – رحمه الله-:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ أي: سلطناهم عليهم بالإغواء وذلك حين قال إبليس ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء:64] قيل: ﴿أَرْسَلْنَا ﴾ أي: خلينا. يقال: أرسلت البعير، أي: خليته، أي خلينا الشياطين وإياهم ولم نعصمهم من القبول منهم.

وقال الزجاج: قيضنا﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ قال ابن عباس – رضي الله عنهما – تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية.

وعنه قال: تغريهم إغراء بالشر. أمضى أمضى في هذا الأمر حتى توقعهم في النار.

---

(1) معاني القرآن (3/ 345) وابن الجوزي في "الزاد" (5/ 312).

(2) المحرر الوجيز (11/ 56) وتفسير الطبري (16/ 95) والماوردي (2/ 537).

حكي الأول الثعلبي، **والثاني:** الماوردي. والمعنى واحد، وقال الضحاك: تغويهم إغواء[1]

قال قتادة: تشليهم إشلاء.[2]

وأصله من الحركة والغليان ومنه الخبر المروى عن النبيﷺ **"قام إلى الصلاة ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء"**[3]

وائتزت القدر ائتزازاً اشتد غليانها، والأز التهيج والإغراء قال تعالى (ألم تر أن أرسلنا) الآية – أي: تغريهم على المعاصي، والأز الاختلاط، وقد أزَّزت الشيء أوزة أزّاً، أي: ضمت بعضه إلى بعض "قاله الجوهري.

ومثله قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء:221،222]

وقد سبق الكلام على التنزيل.

فالناظر إلى الآيات وذكرها لحال الشياطين تجد أن الله تعالى ذكر تسليطها على العباد بكل طرق التسليط، والإغواء.

فذكر **"نقيض له شيطانا"** وذكر **"إرسال الشياطين"** وذكر **"إغواء الشياطين"** وذكر **"طائف الشيطان"** وذكره **"وحي الشيطان"** وذكر **"تخويف"** و **"تحزين" واستهواء الشيطان"** و **"استفزاز الشيطان"** و **"إغراء الشيطان"** وكل ما ذكرنا من حاله، ليحتطاط العبد، ويتسلح من عدواته له، ويأخذ حذره منه، حتى لا يقع فريسة لعداوته ثم يكون من حزبه، ثم يكون من أصحاب السعير.

قال القضاعي – رحمه الله-.

(**ألم ترأنا**) بما لنا من العظمة (**أرسلنا الشياطين**) الذين خلقناهم من النار، إرسالاً مستعليا بالإبعاد والإحراق (**على الكافرين**) أي العريقين في الكفر (**تؤزهم أزا**) أي: تحركم تحريكًا شديدًا، وتزعجهم في المعاصي والدنايا التي لا يشكون في قباحتها وعظيم

(1) تفسير الطبري (16/ 95).

(2) أخرجه أحمد (4/ 25، 26) وأبو داود (904) والنسائي عن مطرف عن أبيه وهو حديث صحيح.

(3) الصحاح للجوهري (3/ 864) وتفسير القرطبي (6/ 137) وابن كثير (4/ 370).

شناعتهاوهم أشد الناس عيبا لفاعليها، وذما لمرتكبيها إزعاجا عظيمة بحيث يكونـون في تقبلهم ذلك مثل الماء الذي يغلي في القدر، ومثل الشرر المتطاير الذي هو أشـد شيء منافاة لطبع الطين وملاءمة لطبع النار، فلما ثبت بذلك المدعي، تسبب عنه النهـي عـما اتصفوا به من خفة السفه وطيش الجهل فقال: (**فلا تعجل عليهم**) بشيء ممـا تريـد بـه الراحة منهم" [1] .

(1) نظم الدرر (4/ 557).

(38)

إتبـــاع الشيطـــان

قال الزجاج: تبع: يقال: تَبِعَهُ وأتبعه: قفا أثره، وذلك تارةً بالجسم، وتارةً بالارتسام والائتمار.

وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:38].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ [يس:20،21] .

وقوله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه:123] ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:3].

وقوله: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:111] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ [يوسف:38] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:18] ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة:102] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة:168] ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الدخان:23] ويقال: أتبعه: إذ لحقه قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء:60] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:89] ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا﴾ [القصص:42] ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [القصص:42] ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف:175] ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ [المؤمنون:44] يقال: أتبعت عليه، أي: أحلت عليه، ويقال: أتبع فلان بمال، والتبع: رجل الدابة[1]

وفي "اللسان": تبع . تَبِعَ الشيء تبعًا وتباعًا في الأفعال، وتبعتُ الشيء تبوعًا: سرتُ في إثره، واتَّبَعَهُ وأَتْبَعَهُ وتتبَّعهُ قفاهُ وتَطلَّبهُ مُتَّبعًا له.

واتبعه الشيء: جعله له تابعا، وقيل: اتبع الرجل سبقة فلحقه. وتبعه تبعا واتبعه: مر به فمضى معه.

واستتبعه: طلب إليه أن يتبعه.

(1) مفردات ألفاظ القرآن (ص: 162 – 163) مادة "تبع"

وتبعت الشيء وأتبعته: مثل ردفته وأردفته ومنه قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾[الصافات:10] قال أبو عبيد: اتبعت القوم مثل أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقهم قال: واتبعتهم تبعًا مثله. ويقال: ما زلت أتبعهم حتى اتبعهم: أي حتى أدركتُهم.

قال الفراء: أَتبَعَ أحسَنُ مِنَ أتَّبَعَ، لأنَّ الاتِّباع أن يسير الرجُلُ وأنت تسيرُ وراءهُ، فإذا قَلتَ أتْبَعتُهُ فكأنك قفوته. قال لليثُ: تبعتُ فلانا وأتَّبعتَهُ وأتْبعتُه سواءٌ. واتْبَعَ فُلانٌ فلاناً إذا تَبعَهُ يُريدُ به شرًا كما أتبع الشيطان الذي أنسخ من آيات الله فكان من الغاوين.

وأما التَّتبُّعُ: فأن تتبَّعَ في مُهلة شيئًا بعد شيء، وفلانٌ يَتَبَّع مساوئ فلان وأثره، ويتتبَّعُ مداقَّ الأمور ونحو ذلك.

واتَّبع القرآن: ائتمَّ به وعمل بما فيه

والتابعَة: الرَّئيُّ من الجنِّ، الحقوهُ الهاءَ للمبالغة أو لتشنيع الأمر، أو على إرادة الدَّاهية.

والتَّابعَة: جنِّيَّةٌ تتبَعُ الإنسان.

وفي الحديث: أوّل خير قدم المدينة، يعني من هجرة النبيﷺ امرأةٌ كان لها تابعٌ من الجنّ، التَّابعُ ههنا: جنّيٌّ يتبعُ المرأة يحبُّها. والتَّابعة: جنية تَتْبَعٌ الرجُل تُحبُّه. وقولهم: معه تابعةٌ أي من الجن[1]

وكما أن هذه المادة كثيرة جداً في اللغة، فهي كذلك في القرآن والسنة، وفي هذه العجالة نحاول استقصاءها على قدر الإمكان مع شيء من البيان والتوضيح. والمتتبع لهذه الكلمة في كتاب الله تعالى يجد عجباً، فقد ذُكرت في كتاب نحو من مئتي موضع.

وأكثر هذه المواضع استخداماً في **"ابتع الهوى"** و **"إتباع الشيطان"** و **"إتباع الهدى"** و **"إتباع الرسل"** ومواضع أخرى.

أما اتباع الهوى: فقد ذكر الآيات والمراد منها في **"موضع سابق"** ونذكر هنا الآيات التي نهى الله عباده فيها عن إتباع الهوى تذكيراً لأولى الألباب، وتنبيها لأولى الأفهام.

(1) اللسان مادة (تبع) وراجع هذه المادة في اللغة لأنها واسعة جداً يتعذر تتبعها الآن.

قال تعالى: محذراً نبيّه -ﷺ- من إتباع أهواء أهل الكتاب اليهود والنصارى وغيرهم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:120] قلت: إذا كانت العقبة لمن أتبع أهواء اليهود والنصارى في حق خير خلق الله -ﷺ- كما أخبر الله تعالى، برفع الولاية الربانية ونصرته عن أحب خلق الله إلى الله، فكيف بمن دونه؟ وإتباع اليهود والنصارى من الحكام والأمراء والسلاطين على قدم وساق!! وقال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ﴾ [النساء:135] لأن إتباع الهوى يميل بالعبد فينصرف عن العدل، فهو ضد العدل، ولا يتفق إتباع الهوى والعدل معاً.

وحذر نبيه ثانية فقال له ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة:48] وحذره أخرى فقال له: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة:49] فإذا خاف الله تعالى على نبيه من الفتنة في إتباع أهواء اليهود والنصارى، فما قدر الفتنة التي تنتظر غيره، من غير المعصومين؟ وإذا كان إتباع الهوى بالنسبة للنبي -ﷺ- يفتن عن بعض ما أنزل إليه، فهل سيبقى من ديننا شيء عندنا إذا اتبعنا أهواء هؤلاء اليهود والنصارى؟!!

ثم حذرة أخرى فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:77] يا أهل ملتي، يا من على دين النبي وأصحابه! حذرنا الله، ونهانا عن إتباع أهواء الذين حُكم عليه بالضلال في الماضي والحاضر والمستقبل، فهل يُعقل أن يتبع أهل الهدى والحق والنور،أهل الضلالة والكفر والإلحاد؟ وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:56] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:150] كل من جعل مع الله إلها آخر، فهو كذاب، وكل من لم يؤمن بالأخرة وما فيها فهو كافر كذاب، وكل من عدل بالله وعنه

فهو كافر كذاب.. هؤلاء جميعاً نهانا الرب سبحانه عن إتباع أهواءهم – وما اليهود والنصارى إلا من جنس هؤلاء الكذبة.

وقد ضرب الله مثلا لمن أتبع هواه وأخلد إلى الأرض كالكلب، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ ﴾ [الأعراف:176] وقال الله سبحانه لنبيه –ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف:28] .

فكل من ترك الذكر، ولم يتبع كتاب. الله تعالى، وغفل عن منهج الله، فهو يتبع هواه ولا شك.

وقال له أيضاً ربه سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه:16].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾ [المؤمنون:71] فإن الفساد الذي عم البلاد وطم،سببه إتباع الهوى وعدم إتباع شرع الله تعالى.

وقال لنبيهﷺ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد:37].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [القصص:50]. وأخبر عن الظالمين ومن هم؟ فقال تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [الروم:29] ولقد أمر الله نبيه داود عليه السلام بأن يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى حتى لا يضل عن سبيل الله فقال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص:26]. ثم أمر نبيهﷺ بإتباع شريعته وعدم اتباع الهوى فقال: ﴿ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية:18] .

وقال في سورة محمد أن من زين سوء عمله أتبع هواه، وأهواء الضالين من البشر فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد:14]. وهؤلاء المتبعين لأهوائهم قد طبع الله على قلوبهم فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد:16].

وأخبر عن الكافرين أن من أخص خصائصهم أنهم يتبعون أهواءهم فقال تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القمر:3]. فهذه أخبار أهل الهوى والمتبعين للهوى، وكيف أن الهوى هوى بهم في النار.

أما أهل الحق والمتبعين للهدى والرضوان فهذه أخبارهم.

قال تعالى: وهو يخبر أن من أتبع هداه فهو من الآمنين الذين لا يخفون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:38] أي: لا خوف عليهم في الدنيا أو لا هم يحزنون في الآخرة.

وأخبر أن الهدى هو هدى الله فقط، سواء كان في اتباع كتاب الله أو اتباع سنة النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:120]. وقال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ﴾ [آل عمران:174]. وقال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المائدة:16]

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه:47] وقال وهو يخبر عن حال المتبعين لهدى ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:123] لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:11]. والملائكة تستغفر لمن اتبع سبيل الرسل، واتبع هدى الله فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر:7].

وأخيرًا ، فإن جزاء من اتبع الإيمان كما أخبر الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ [الطور:21]

* وهناك مسالك كثيرة في قضية الإتباع أكثرها شيطانية.

لقد فضح الله تعالى اليهود والنصارى مراراً في القرآن، وكشف عن مكنون قلوبهم فقال منبهًا عباده الموحدين: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ﴾ [البقرة:120] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾

[آل عمران:72،73]

وقال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ ﴾ [البقرة:145]. إتباع كل جبار عنيد من صفات الذين جحدوا بآيات الله قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾ [هود:59] وقال تعالى ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴾[هود:97] .

النهي عن إتباع سبيل المفسدين قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [الأعراف:142] .

النهي عن إتباع السبل والأمر بإتباع سبيل الله الواحد ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام:153] .

النهي عن إتباع سبيل غير سبيل المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء:115]

النهي عن إتباع السحرة قال تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾[الشعراء:40] النهي عن إتباع الظن، قال تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾ النهي عن إتباع الظن، قال تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾[الأنعام:148] .

وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:116].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس:36].

وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس:66].

وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:23].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم:28]

النهي عن إتباع سنة الأباء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:170]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان:21] حال الذين أتبعوا الجهلة والظلمة في الموقف وحالهم في النار.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:170،171] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان:21] . حال الذين أتبعوا الجهلة والظلمة في الموقف وحالهم في النار، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾

[البقرة:166،167].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر:47،48]

قول الظلمة عندما تدعوهم إلى الهدى، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ [القصص:57]. وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعون الداعي له، فقال الله مخبرا عنهم ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ [الأعراف:193] .

وقالوا: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر:24]

النهي عن إتباع الشهوات، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:27] .

وقال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:59] .

أهل الكفر يتبعون الباطل دائما، وأهل الحق يتبعون الحق دائماً، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:3]

كما أن من صفات أهل الباطل أنهم يتبعون من يسخط الله قال الله عنهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:28]. وأهل الغواية يتبعون الشعراء كما قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء:224]. وأهل الكفر دائما يريدون من أهل الإيمان إتباعهم على باطلهم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [العنكبوت:12]

صور من الإتباع الصحيح :-

اتباع الكتاب المبارك المنزل من عند الله قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:155].

قال الله على لسان نبيه وصفيهﷺ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:50]

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف:3]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾ [الأعراف:203].

وقال للمسلمين أتباع النبي الكريم -ﷺ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:3].

وقالﷺ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [يونس:15] وقال له ربه: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس:109].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأحزاب:2] وأمر الله سبحانه نبيه بإتباع شريعته قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:18].

وقال النبيﷺ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف:9].

وفي إتباع الرسول أنزل الله الأمر بذلك فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه:134] .

وقبل أن تقع الندامه بسبب مخالفة الرسولﷺ أمرنا الله تعالى باتباعه فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:47].

وليعلم العبد أن من علامات محبة الله متابعة الرسولﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:31] وعلق

الله الفلاح والنجاح في متابعة الرسولﷺ فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:157] .

أتباع الأنبياء جعل الله تعالى في قلوبهم الرأفة والرحمة قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد:27].

أما الذين اتبعوا نهج السلف، واقتفوا أثر الصحابة من المهاجرين والانصار فقد قال الله تعالى في حقهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:100].

وأمر الله تعالى نبيه –ﷺ– بإتباع ملة أبية إبراهيم عليه السلام في مواطن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:95].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة:130] .

ومنها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:123] وأوصانا الله تعالى بإتباع سبيل التأبين فقال الله ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ ﴾ [لقمان:15].

وهناك آيات أخري في إلزام الموحدين وغيرهم بإتباع سبيل المرسلين، وهذه الآيات تحتاج إلى من يرتبها ويستخرج معانيها ويجعلها في مصنف فهي جديرة بإفراد التصنيف.

(39)

التحذير من إتباع الشيطان

ها قد وصلنا إلى المراد في هذا التبويب، وهو التحذير من إتباع الشيطان ومسالكه وخطواته، وخطراته، وإغراءته، ووساوسة، ووحيه، وكل ما يستخدمه للفتك بالبشر.

ولقد ورد التحذير منه ومن إتباعه في ثلاثة عشر موضعا من كتاب الله تعالى.

الموضع الأول: التحذير من إتباع الخطوات، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:168] .

وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ [النور:21] .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام:142].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة:208] . فالموضع الأول لتحذير من إتباع الخطوات.

الموضع الثاني: أن من أتبع الشيطان فإن جزائهم جهنم قال تعالى: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:18] .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ [الإسراء:63].

الموضع الثالث: اتباع الشيطان سبب الغواية قال تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف:175].

وقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر:42] .

الموضع الرابع: أن رحمة الله بالعباد تمنعهم من اتباع الشيطان قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ

لَاتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء:83] .

الموضع الخامس: في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ﴾ [البقرة:102] وسيأتي الكلام عن هذه الآية بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

الموضع السادس: كتب الله تعالى على كل من اتبع الشيطان الضلال والهداية إلى عذاب السعير، قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج:4]

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سبأ:20]. وسيأتي الكلام عن تأويل هذه الآية في خصائص إبليس إن شاء الله تعالى.

فأقول: ما من موطن إلا قد حذرنا الله تعالى من إتباع الشيطان وإتباع خطواته وهواجسه ووسوسته، وما من مدخل يدخل به على العبد إلا وبينّه وبين أسبابه وبين علاجه، حتى لا يبقي لأحدٍ حجة يوم القيامة، وتنقطع الأعذار.

(40)
حشـــر الشيطان

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم:68]

قال ابن الجوزي – رحمه الله-:

(فوربك لنحشرنهم) يعني: المكذبين بالبعث (والشياطين) أي: مع الشياطين، وذلك أن كل كافر يُحشر مع شيطانه في سلسلة (ثم لنحضرنهم) أي: في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله. تقول: جلس القوم حول البيت: إذا جلسوا داخله مطيفين به. وقيل: يجثون حولها قبل أن يدخلوها.

فأما قوله (جثيا): فقال الزجاج: هو جمع جاث، مثل: قاعد وقعود وهو منصوب على الحال، والأصل ضم الجيم، وجاء كسرها إتباعاً لكسرة الثاء.

وللمفسرين في معناه خمسة أقوال:

أحدها: قعودًا. رواه العوفي عن ابن عباس – قلت: وسنده فيه ضعف وانقطاع

والثاني: جماعات جماعات. روى عن ابن عباس أيضاً. فعلى هذا هو جمع جثوة وهي المجموع من التراب والحجارة.

والثالث: جثياً على الركب. قاله الحسن ومجاهد والزجاج.

والرابع: قياماً – قاله أبو مالك.

والخامس: قياماً على ركبهم. قاله السدي، وذلك لضيق المكان بهم"[(1)]

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – :

(فوربك لنحشرنهم والشياطين): أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لابد أن يحشرهم جميعا وشياطنيهم الذين كانوا يعبدون من دون الله) [(2)]

---

(1) زاد المسير (5/ 253).

(2) ابن كثير (5/ 258).

قال ابن عطية – رحمه الله-:

"(**فوربك**) الآية وعيد يكون ما تفوّه على أصعب وجوهه. قوله (**لنحشرنهم**) عائد للكفار والقائلين ما تقدم، ثم أخبر أنه يقرن بهم (**الشياطين**) المغوين لهم وقوله (**جثيا**) جمع جاث، كقاعد وقعود، جالس وجلوس، وأصله جثوًا وليس في كلام العرب واو متطرفة قبلها ضمة فوجب لذلك أن تُعل، ولم يعتد هاهنها بالساكن الذي بينهما لخفته وقلة حوله فقلبت ياء، فجاء جثوياً فاجتمع الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياء، فجاء جثوياً فاجتمع الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياء ثم أدغمت ثم كسرت التاء للتناسب بين الكسرة والياء – وقرأ الجمهور: (**جُثياً**) و (**صلياً**) بضم الجيم والصاد ... وقال.. وأخبر الله تعالى أنه يحضر هؤلاء المستنكرين للبعث مع الشياطين فيجثون حول جهنم وهي قعدة الخائف الذليل على ركبته كالأسير ونحوه قال قتادة (**جثياً**) معناه: على ركبهم. وقال ابن زيد: الجثي شر الجلوس"[1]

قال القرطبي – رحمه الله-:

قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾[مريم:68] أي: أقسم بنفسه بعد إقامة الحجة بأنه يحشرهم من قبورهم إلى المعاد كما يحشر المؤمنين (**والشياطين**) أي: ولنحشرن الشياطين قرناء لهم، قيل: يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة كما قال تعالى ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾[الصافات:22] والمعنى: أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم، يقرنون كل كافر مع شيطان في سلسلة.

فإن قلت: هذا إذا أُريد بالإنسان الكفرة خاصة، فإن أريد الأناسي على العموم، فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين؟ قلت: إذا حشر جميع الناس حشراً واحداً وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين، فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة.

فإن قلت: هلاّ عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء.

قتلت: لم يفرق بينهم في المحشر أو أحضروا حيث تجاثوا حول جهنم، وأوردهم معهم النار ليشاهد السّعداء الأحوال التي نجاهم الله منها، وخلّصهم، فيزدادوا لذلك

---

(1) المحرر الوجيز (4/ 206).

غبطة، وسرورًا إلى سرور، ويشمتوا بأعداء الله تعالى وأعدائهم، فتزداد مسائتهم وحسرتهم، وما يغبطهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم، فإن قلت: ما معنى إحضارهم جثياً؟

قلت: أما إذا فسَّر الإنسان بالخصوص بالمعنى: أنهم يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم تمْتلا – أي بالعنف – على حالهم التي كانوا عليها في الموقف، جُثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم، وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية:28] على الحالة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات، من تجاثي أهلها على الركب، لما في ذلك من الاستيفاز – أي عدم الإطمئنان – والقلق، وإطلاق الحُبَا خلاف الطمأنينة، أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثواً، وإن فسر بالعموم، فالمعنى: أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن (**جثياً**) حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين، لأنه من توابع التواقف للحساب، قبل التواصل إلى الثواب والعقاب، ويقال: إن معنى: (**لنحضرنهم حول جهنم جثياً**) ي: جثياً على ركبهم، عن مجاهد، وقتادة، أي: أنهم لشدة ماهم فيه لا يقدرون على القيام و(**حول جهنم**) يجوز أن يكون داخلها، كما تقول: جلس القوم حول البيت أي: داخله مطيفين به[1].

(1) تفسير القرطبي (6/ 120 – 121).

(41)

خطاب الشيطان في أهل النار

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم:22].

قال أبو جعفر بن جرير – رحمه الله -:

"يقول الله تعالى: وقال إبليس لما قضى الأمر، يعني لما أُدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واستقرَّ بكلِّ فريق منهم قرارهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ أيها الأتباع – النار، ووعدتكم النصرة فأخلفتكم وعدى، ووفّى الله لكم وعده﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ يقول: وما كان لي علكم فيما وعدتكم من النصرة من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ) وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول كما تقول: ما ضربته إلا أنه أحمق، ومعناه: ولكن دعوتكم ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ يقول: إلاّ أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله فاستجبتم لدعائي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ على إجابتكم أياي ﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ عليها ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ يقول: ما أنا بمغيثكم﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ولا أنتم بمغيثى من عذاب الله فَمُنَجيَّ منه **"إني كفرت بما اشركتموني"** من ﴿ قَبْلُ﴾ يقول: إن جحدت أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني فهي من عبادتكم ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا. ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: إن الكافرين بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من الله موجع يقال: أصرخت الرجل:" **إذا أغثته إصراخاً، وقد صرخ الصارخ يَصرُخُ، ويَصْرخُ قليلة وهو الصريخ والصراخ"**

ثم روى بسند (561- 2) من طريق داود عن عامر وهو الشعبي أنه قال في قوله تعالى ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾الآية – قال: خطيبان يقومان يوم القيامة: إبليس،

وعيسى ﷺ، فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول هذا القول، وأما عيسى ﷺ فيقول﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦ ﴾[المائدة:117] وذكره بأسانيد مختلفة (20562) (20563) (20564) ثم روى (20656) من طريق عبد الرحمن بن زياد عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ قال:

يقول عيسى: "ذلكم النبي الأمي فيأتونني، فيأذن الله لي أن أقوم فيثور من مجلسي من أطيب ريح شمها أحد حتى آتي ربي، فيشفعني، ويجعل لي نوراً إلى نور من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم يقول الكافرون: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا، فإنك أنت أضللتنا، فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد، ثم يعظم نحيبهم، ويقول عند ذلك (**إن الله وعدم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم**) الآية وأخرجه البخاري في "**خلق أفعال العباد**" (606) والدارمي (2807) وابن المبارك في "**الزهد**" (374/ فوائد) والطبرني في "الكبير (17/ 887) عن طرق عن عبد الرحمن بن زياد وهو ابن أنعم الأفريقي وهو ضعيف وأخرج بن جرير (20566) عن الحسن قال في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ قال: إذا كان يوم القيامة، قام إبليس خطيبا على منبر من نار، فقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ قال: بناصري ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ قال: " **بطاعتكم إياي في الدنيا** " وأخرجه ابن جرير (20567) عن محمد بن كعب مثله.

وأخرج أيضاً (20575) **عن ابن زيد قال: " خطيب السُّو إبليس الصادق، أفرأيتم صادقاً لم ينفعه صدقه**" ثم ذكر الآية [1] .

قال الرازي – رحمه الله-:

"أعلم أنه تعالى لما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفرة الإنس، أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين أتباعه من الإنس فقال ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ وفي المراد بقوله ﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ وجوه:

(1) تفسير الطبري (13/ 207) وتفسير الثعالبي (3/ 379).

القول الأول: قال المفسرون: إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، أخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه فيقوم في النار فيما بينهم خطيباً ويقول ما أخبر الله بقوله ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ وذكر القول الثاني، ورجح الأول السابق.

وأما قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾ [إبراهيم:22] ففيه مباحثة البحث الأول: المراد أن الله تعالى وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفّى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وتقرير الكلام أن النفس تدعو إلى هذه الأحوال الدنيوية ولا تتصور كيفية السعادات الأخروية، والكمالات النفسانية، والله يدعوا إليها ويرغب فيها كما قال ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [الأعلى:17] .

وقوله ﴿وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ التقدير إن الله وعدكم وعد الحق فصدقكم ووعدتكم فأخلفتكم، وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق الوعد، لأنهم كانوا يشاهدونها، وليس وراء العيان بيان، ولأنه ذكر في وعد الشيطان الإ خلاف فدلّ على الصدق في وعد الله تعالى.

وقوله ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾ ووعدتكم أن لا جنة، ولا نار، ولا حشر ولا حساب.

وأما قوله ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي: قدرة ومكْنة وتسلط وقهر، فأقهركم على الكفر والمعاصي، وألجئكم إليها، إلا أن دعوتكم أي: إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني . وقال النحويون: ليس الدعاء من جنس السلطان"[1]

قال القضاعي – رحمة الله-:

ولما كان الشيطان أعظم المستكبرين، خص بالإفراد بالجواب فقيل: (**وقال**) أول المتبوعين في الضلال (**الشيطن**) الذي هو رأس المضلين المستكبرين المقضي ببعده

(1) تفسير الفخر الرازي (19/ 92 – 93) وأنظر هذه التفاسير فلم تأتي بجديد المحرر الوجيز (3/ 333) والوسيط (3/ 28 – 29) والقرطبي (5/ 322- 324) وابن كثير (4/ 497- 495) وروح المعاني (13/ 568- 570) القاسمي (6/ 320- ؟؟؟)

واحتراقه (**لما قضى الأمر**) بتعين قوم للجنة وقوم للنار، جواباً لقول الاتباع مذعناً حيث لا ينفع الإذعان، ومؤمناً حيث فات نفع الإيمان: (**إن الله**) أي الذي له صفات الكمال (**وعدكم وعد الحق**) بأن أرسل إليكم رسلاً وأنزل معهم براهين وكتباً أخبركم فيها "ربكم الواحد القهار، ودعاكم إليه بعد أن أخابتكم الشياطين، وبشر من أجاب، وحذر من أبي، بما هو قادر عليه أتم القدرة، فكل ما قاله طابقة الواقع – كما ترون – فصدقكم فيه ووفي لكم (**ووعدتكم**) أنا بما زينت لكم به المعاصي من الوساوس وعد الباطل (**فأخلقتكم**) فلم أقل شيئاً إلا كان زيغاً، فاتبعتموني مع كوني عدوكم، وتركتم ربكم وهو ربكم ووليكم؛ فالآية في الاحتباك: ذكر (**وعد الحق**) أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً، و (**أخلفتكم**) ثانياً دليلاً على حذف (**صدقكم**) أولاً.

ولما بين غروره، بين سهولة اغترارهم زيادة في تنديمهم فقال: (**وما كان**) لي إليكم في ذلك من ذنب لأنه ما كان (**لي عليكم**) وأبلغ في النفي فقال: (**من سلطان**) أي تسلط كبير أو صغير بشيء من الأشياء (**إلا أن**) أي بأن (**دعوتكم**) بالوسوسة التي كانت سبباً لتقوية دواعيكم إلى الشر (**فاستجبتم**) أي أوجدتم الإجابة إيجاد من هو طالب لها، راغب فيها (**لي**) محكمين الشهوات، معرضين عن مناهيج العقول ودعاء النُصحاء، ولو حكمتم عقولكم لتبعتم الهُداة لما في سبيلهم من النور الداعي إليها وما في سُبل غيرهم من الظلام الساد لها، والمهالك الزاجرة عنها دنيا وأخرى، وساقه على صورة الاستثناء – وإن لم يكن دعاءه من السلطان في شيء – لأن السلطان أخص من البرهان إذ معناه برهان يتسلط به على إبطال مذهب الخصم إشارة إلى أنهم تبعوه ولا قدرة له على غير هذا الدعاء الذي لا سلطان فيه،. وتركوا دعاء من أنزل إليهم من كل سلطان مبين، مع تهديدهم بما هو قادر عليه وضربهم ببعضة، وفاعل مثل ذلك لا لوم له على غير نفسه (**فلا**) أي : فإذ قد تقرر هذا تسبب عنه أني أقول لكم. لا (**تلوموني ولوموا أنفسكم**) لأنكم مؤاخذون بكسبكم، لأنه كانت لكم قدرة واختيار فأخترتم الشر على الخير، وعُلم منه قطعاً أن كلا منا مشغول عن صاحبه بما جُزي به، فعلم أني (**ما أنا بمصرخكم**) أي بمغيثكم فيما يخصكم من العذاب، فآتيكم بما يزيل صراخكم

منه (**وما أنتم بمصرخي**) فيما يخصني منه لتقطع الأسباب، بما دُهي من العذاب، ثم علل ذلك بقوله: (**إني كفرت**) مستهيناً (**بما أشركتمون**) أي بإتخاذكم لي شريكاً مع الله.

ولما كان إشراكهم لم يستغرق الزمان، أتي بالجار فقال: (**من قبل**) لأن ذلك ظلم عظيم، ثم علل هذه العلة بقوله: (**إن الظالمين**) أي العريقين في هذا الوصف (**لهم عذاب أليم**) مكتوب لكل منهم مقداره، لا يغني أحدٌ منهم عن الآخر شيئًا بل كان مقصورٌ على ما قدر له، وحكاية هذه المحاورة لتنبيه السامعين على النظر في العواقب والاستعداد لذلك اليوم قبل أن لا يكون إلا الندم وقرع السن وعض اليد [1]

انتهي المجلد الأول
ويليه بإذن الله المجلد الثاني

تصنيف

أبو أنس المصرى السلفى

حلمى بن محمد إسماعيل الرشيدى

حفظه الله وغفر له

(1) نظم الدرر (4/ 181 – 182) وأنظر زاد المسير (4/ 357) وأنظر لزاماً غرائب القرآن (6/ 562-564) فقيه كلاماً جيداً.

الفهـرس